د. عبد الوهاب الزنتاني

الجهاد الوطني في ليبيا

أدب وتاريخ.. أمس واليوم وغداً

الطبعة الثانية. منقحة مزادة



الجهاد الوطنى أدب وتاريخ

أمس واليوم وغداً

الدكتور

عبد الوهاب محمد الزنتانى



الكتاب : الجهاد الوطنى ادب وتاريخ امس واليوم وغدا
المؤلف : عبد الوهاب محمد الزنتانى
رقم الإيداع : ١٦٤٩٨ / ٢٠٠٥
تاريخ النشر : ٢٠٠٦
الترقيم الدولى : I. S. B. N. 977 - 215 - 856 - 6

الناشر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة
الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)
ت : ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤
التوزيع : دار غريب ٣,١ شارع كامل صدقى الفجالة – القاهرة
ت ٥٩٠٢١٠٧ – ٥٩١٧٩٥٩
إدارة التسويق والمعرض الدائم : ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر – الدور الأول
ت ٢٧٣٨١٤٢ – ٢٧٣٨١٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

اهــــداء

الي النظام الذي يجمع الناس علي الحب، والدليل الـــــذي يحمل المصـــباح في طريق التقـــدم والي الراعي الـــــذي يحمل الـــعلم في يـــده وحب الوطن في قلبه والذي يعلّـــم الناس كيف يصنعـــون الابـــرة والـــمدفع وكيف يستنبتون الارض ويشقـــون المناجم ويـــوفـــقّون بيـــن الدين والدنيا وبيـــن المنفعة العامة والخاصة ألي كل يد طاهـــرة تعمل من اجـــل الخير دون منّة ولا تفـــاخر، الي كـــل قلـــب ينبض بحب الله والوطن .. ألي هـــؤلاء جميعاً أهدى جهـــدا متواضعا بذل في سبيـــل التاريخ الـــوطني مـــن مجتهد يبحث عـــن الحقيقـــة ويتغـــني بحب الوطن اعـــــزاز واعــــــتـزاز ...

وعـــلي الله الاتكـــال ومنـــه الـــعـــون

د. عبد الوهاب محمد الزنتاني

إستهلال

الشعر كما قيل هو ديوان العرب :

قوم اذا خافوا عدواة معشر	سفكوا الدماء بأسنة الاقلام
ولمشقــة مــن كــاتب بمداده	امضى واقطع من صنيع حسام

ويذكر أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال ذات مرة لاحد الشعراء حسان بن ثابت ((شن الغظاريف على بنى عبد مناف فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام فى غلس الظلام) وكان شعراء الرسول ثلاثة وهم (حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد لله بن رواحه) ويصدق هذا على الشعر الشعبى لانه يخاطب الامــى والمــتعلم الكبير والصغير المرأة والرجل على حد سواء، فى إيقاعاته الموســيقية المتفــردة ذات الخصوصية الجمالية التي تمس شغاف القلوب وخلجات النفوس با بدعاتها التعبيرية فى لهجة بيئة وانتماء أولئك الشعراء، وهذا الشعر أو الأدب الشعبى هو وليد بيئة وقريحــة بدوية تطرب السامع من حيث إيقاعاتها وهى تدغدغ مشاعره وتدخل وجدانه علــى الرغم من أن هذا النوع من الشعر الشعبي كما قلنا فيما يأتي هو خــاص بمجموعــة بشرية في منطقة معينة ألا أن وزنه الأيقاعى يتألف مع مسامع بشر في مناطق أخــرى ربما من البلد الواحد كحالة ليبيا مثلا، وغالبا ما تتشكل الصورة الشــعرية في ذهــن الشاعر الشعبي خلال لحظة وقوع نظره أو سمعه على الحدث بحيث يأخذ تنغيمه على شكل ذلك الحدث جمالا أو قبحا، شكرا أو ذما تفاعلا أو انفعالا أمل أو قلق، خوف

أو يأس يتدفق ارتجالا مقفى وموزون، ولهذا قلنا انه يعبر بشكل مباشر ودقيق، ومثال على ذلك نرى شاعرا شعبيا كان يشاهد احد مؤتمرات القمم العربية وفوجئ بإعلان أولئك القادة أنهم سيقدمون مساعدات مالية لانتفاضة الشعب العربى الفلسطينى الذى تطحنه آلة الحرب الصهيونية والذى كأن يأمل منهم المساعدات العسكرية والمعنوية والسياسية فقال: (طز طز فيكم مانبوش أفلوس ....) إلى أخر القصيدة التى يجدها القارئ بين ذفتى الكتاب.

المقدمة

البحث في التاريخ، أي تاريخ يؤدني بالضرورة ودائما إلى اكتشافات جديدة قد يكون مر عليها (زمن طويل أو قصير) و لم يبحث في تفاصيلها احد أو إنها ربما أهملت لأسباب إما شخصية أو سياسية أو حتى اجتماعية خصوصا في العالم الثالث حيث يكون التاريخ الحديث، أو اغلب أحداث التاريخ غير مرغوبة إلا إذا كانت تخدم أغراض سياسية في الغالب واجتماعية أحيانا، وكما قال علماء اللغة الأفاضل (أن الحقائق مرة فاستعينوا بخفة البيان) فلقد حاولت في (الكاتبين، حقيقة معارك الدفاع عن الجبل الغربى وفارس القبلة قائد معركة القارة) اللذين صدرا منذ سنوات أن استعين بخفة البيان، بمعنى عدم الخوض في أحداث تاريخ الجهاد الوطنى تفصيلا ومع دلك فقد عتب علينا بعض الناس فيما ذهبنا إليه على الرغم من أنه حقائق تسندها وتؤيدها الوثائق، دلك أن هناك من يطلب تفاصيل التفاصيل، وهناك من يريد قصر أحداث على منطقة بعينها وأشخاص بذواتهم،على أن أرضاء الناس عامة غاية لا تدرك فعلا، فأننى كنت ومازلت على قناعة بان الجهاد الوطنى الليبى لم ينفرد به شخص أو عائلة ولا قبيلة أو منطقة (خصوصا في المرحلة الأولى ـــ ١٩١١ م ١٩١٥ م) دلك الجهاد الذى تواصل لمدة تزيد على العقدين من الزمان، كان جهاد آبائنا وأجدادنا من

أجل الدين والوطن والحرية وكان جهاداً باسم الإسلام وذلك هو الجهاد الحقيقي، الإسلام جهاد وتعبد وفكر وسلوك، ولقد تغلغلت روح الجهاد في كل شئ، وكان أبلغ ما يعبر عن تلك الروح الجهادية لدى الطفل والمرأة والرجل، ربما حتى الأرض، هو الشعر الشعبي ولذلك أردنا أن نتناول جهاد آبائنا من حيث كونه (أدب وتاريخ) تاريخ يسجل الأحداث وأدب يجمعها ويكسوها دم ولحم لتبقى نابضة في روح ووجدان كل إنسان، كل ليبي، كل من سار على تراب هذا الوطن ورضع من حليبه وتنفس هواءه. والشعر الشعبي هو أدب حي وباق يردده الكبير والصغير، المرأة والرجل، وله مذاق خاص ورائحة خاصة، رائحته طيبة ومذاقه جميل يدغدغ المشاعر ويبعث الأمل ويرسخ الانتماء، ونرى إنه لم يكن هناك ابلغ وأدق تعبير من الشعر الشعبي وان كان إقليميا في إعطاء صورة أدبية لمأساة شعب، المأساة التي عادة ما يرسمها شاعر أو شاعرة عاش أحداثها واقعا فكان شاهد عيان وعبر عنها متأثرا بأحاسيسه ورقيق مشاعره حيث خرجت رائعة ألأدبية رسم وترسم خلجات قلب إنسان وا نفاعالات نفسه الحزينة. والقصائد أدبية الشعبية في ملحمة الجهاد الليبي ضد الغزو الأيطالي هي في الواقع وثائق تاريخية، وان كان هناك فيما يتعلق بالتاريخ من يتحرز أو يحتاط في شأن دقتها ذلك أن المعروف عن الشعر والشعراء أنهم يلجأون إلى المبالغة أو التقليل من الأحداث حسب الأهواء لأن موسيقى اللفظ تسحرهم، على إننا نرى أن الاختلاف أوالتحوط ربما يحدث من أن جمال التعبير في أية لغة أو لهجة أنما يحس به أهل هذه اللغة التي يتحدثونها ويتذوقون معانيها وألفاظها وموسيقاها، ومن المؤكد انه لا يحس بذلك إلا من

كان قادرا على إدراك الفرق بيت عادى الحديث وبين البديع والبليغ، ولذلك فان تذوق الأدب في أية لغة أو لهجة لا يتم الا لمن عاش في موطنها وكان من أهلها تطبع بطباعهم وفى وجدانه مفاهيمهم في الاحساس بالجمال والمثل والأخلاق والسلوكيات، وهذا يكتسب منذ الصغر أو ما يعرف بالوعى الاولى وحاسة التذوق للأحداث في مخارجها وما هى عليه من توافق أو أختلاف في التعابير والكلمات، أي موسيقى اللفظ.

وعلى الرغم من أن العرب أو أهل لغة الضاد جميعا (ربما) تذوقهم للأدب العربي في اللغة الفصحى بديهى فان اللغة أو اللهجة العامية قد تكونت مع مرور الزمن فى كل قطر من أقطار العرب، بل فى الحقيقة (كل منطقة) وتحول بقواعد النطق والتراكيب والأشتقاقات عن اللغة الأم (العربية) حتى صارت لكل منهم آدابه الخاصة المعبرة عن وجتدانهم، وهكذا كان الأدب الشعبى، وبذلك قصر تذوقه علي أهل المنطقة أو الإقليم المعين وحدث أن هذه الصفه أخرجت دائرة الأدب العربى فى شمولية الفهم والتذوق والإيقاع والعروض الخ وحدث انه صار من الصعب على أهل منطقة أو قطر فهم شعر المنطقة أو القطر الأخر، وان فهموه فان موسيقاه لا تهزهم وتطربهم مثلما هو الحال بالنسبة لأهله، والدليل على ذلك إن العرب فى الشام مثلاً لا يمكنهم الأحساس بموسيقية وروعة الأدب الشعبى فى الوطن العربى بالمغرب، ولا يمكن أن تكون إيقاعيته الجمالية كتلك التى يحسون بها إذا ما جاء الشعر بالفصحى سواء أكان من عربى فى المغرب أو مصر أو غير ذلك، على أن هناك شعراء من بلادنا قد أبدعو في

شعر العامية تعبيرا وإيقاعا وموسيقى كما يفعلون في اللغة الفصحى، ومثال على ذلك أدب شاعر الوطن (رفيق المهدوى) الذي عاش فى الجزء الشرقى من ليبيا طوال حياته وقد أرغم على الهجرة فى فترة ما فهاجر الى تركيا، يقول رفيق فى الفصحى :

هجرت وأعلم أنني قد جئت إداً — وداعا أيها الوطن المفدى
وداع مفارق بالرغم شاءت له — الأقدار نيل العيش كداً

وفى العامية يقول :

تبقى على خير ياوطنا بالسلامه — ورفاقاً قداما ياعون من فيك كمل ايامه

وهنا بالنسبة لي كليبي يطرب سمعي موسيقى وألفاظ العامية الليبية ابلغ وأدق وأجمل من تلك التي فى الفصحى علي الرغم من أنها لغتى الأم ...ونأتى هنا لنقول أن الأدب الشعبى أنما هو خاص بالليبيين وبعض بلدان المغرب العربى بالجزائر وتونس وتذوق البلاغة والإيقاعية والإبداع فيه قاصرة عليهم ولا يشاركهم الاحساس بروعته إلا من عاش معهم وتأثر بالجمالية التي يحسون بها فى هذا الشعر،وهو فى الحقيقة أدب منعزل رغم عروبة ألفاظه ..وهذه الظاهرة لا تقتصر على الليبين وحدهم فى مسألة ازدواجية الأدب ولا هى حديثه أو طارئة عندهم وإنما هى لدي كل شعب على وجه الأرض منذ أمد بعيد فى التاريخ وفى كل المجتماعات الإنسانية ذات اللغات واللهجات المنطوقة والمكتوبة ويرجع الأمر فى ذلك إلى مستوى التعليم فى كل مجتمع إنسانى، فالأدب الفصيح محصور فى فئات ذات ثقافة وقد درست اللغة وأدابها ومنها بطبيعة الحال الشعر بأوزانه

حدقته فناً وممارسة صناعية، وهذا يسمى (كلاسيكى) فى بلدان متقدمة مثل أوربا الغربية وهذه مكتسبة بالتحصيل العلمى ....

ولكن الأدب الشعبي فأن منشذه قد يكون أميا لم يلتحق بمدرسة أو كتّاب وشعره بذلك يكون فطرة مفردات لغته هى لغة الناس اليومية فى مجتمعه الذى قد يكون بذائيا ولكن ذلك الشعر يعبر عن احساساته. وأمانيه ورغباته فى عبارات أنيقه موسيقية بديعة فطرية وهى بالتالى صور أدبية جمالية ذات لفظ وقوة وإبذاع متصل بروح الشعب، وقوة الإبداع فيها والحجة وبراعة الأسلوب وحسن اختيار العبارات لاعلاقة لها بالتعليم والثقافة وإنما هى مرتبطة بلهجة يتقنها فى ألفاظ وتراكيب ودلالات يعيها مجتمعه ولهذا فأن نشأة الأدب الشعبى كانت ضرورة فى كل مجتمع له أصول ومميزات.. ولقد عرف الشعر بأنه الكلام الموزون المقفى فى أي لغة جاء، وكانت وما تزال اللغة العربية هى أم اللغات فيما يتعلق بالشعر، وهكذا جاء كتاب الله (القرآن الكريم) شعرى لأنه جاء بلغة الضاد، إلا أن أدباء العرب المعاصرين جاؤا بضرب جديد من الكلام قالوا إنه (شعر حر) وقالوا أنهم تحرروا من ربقة القافية التى يبنى عليها الشعر العربى العمودى وكذلك بحور التحليل وأوزانه، وهذا فى الحقيقة ليس شعراً وإنما هو نثر فحسب، أما الشعر العامى أو الأدب الشعبى فان قصائده وان جاء فى غير الفصحى فقد ألتزمت بالوزن والقافية لأن منشديها كانوا يدركون أهمية وموسيقية الإيقاع اللازمة فى أي شعر، كما أن أوزان الأدب الشعبى وبحوره وقوافيه صارت فى منحى مختلف قليلا عن الفصحى فبدت قليلا أحيانا وكثيرا فى أحيان أخرى

(بحسب القائل والمنطقة أو اللهجة) ومن هنا يمكن القول أن فى العربية وللعرب شعران (عام وخاص) إذا أسقطنا من حسابنا ما يسمى (الشعر الحر)... والعام يتذوقه كل الناطقين باللغة العربية ويفهمونه، وخاص لا يتذوقه ولا يدرك روائعه إلا أبناء قطر أو منطقة محددة معينة من كل بقاع الوطن العربي الكبير، ومرجع هذا أن لغة الضاد لها فنونها من نحو وصرف وبلاغة وبيان وبديع ولها قواعد اشتقاقاتها وتصريفات أفعالها وقواميسها الخاصة بالمفردات وشرح دقة مدلول الألفاظ، أما العامية أي الأدب الشعبي (الخاص) التى يتحدث بها أهل منطقة أو إقليم معين فأنها لا تلتزم بالسواكن والتحركات وفق ما للفصحى، وهى فى هذا الإقليم أو القطر أو المنطقة يفهمها ويتحدث بها الأمى والمثقف وعالى التعليم على حد سواء إلا من كان دخيلاً، دلك أن الجميع من نفس الأرض والمكان والمجتمع، وللعامية مذاقها الذي يحمل إيقاعية صوت ودقة تعبير وبليغ إيجاز ومباشرة معاني ...

و لم يكن الأدب الشعبى بعيدا عن الفعل والانفعال فى الأفراح والاتراح فى فترات الحرب والسلام، ولدلك كان هذا الأدب خصوصا نبعا متدفقا يخصّب أذهان الناس بالأحداث التاريخية لتترسَخ وتعيش متنّقلة بين الشفاه دائرة فى النواجع والبيوت والحواري والمدن، بين الكبير والصغير،المرأة والرجل..

و لم تكن المرأة الليبية بعيدة عن هذا الفعل والانفعال على الرغم من انه لم يكن من المألوف أو المعتاد فى حياة العرب أن تحمل المرأة العربية السيف أو الرمح أو البندقية لتقاتل وان كانت دائما وراء الصفوف تدفع المقاتلين على التقدم والثبات وفداء الوطن والشرف بالروح أن لزم الأمر، وكان سلاحها فى

الغالب (الزغاريد وأبيات الشعر) وتذكر لنا أحداث التاريخ كثير من دلك، فمثلا عندما سمعت السيده (عنايا) وهى ابنة المجاهد الشيخ سالم بن عبد النبى إشاعة تقول أن والدها، وكان قد تغيّب لبعض الوقت عن أهله، أنه ذهب إلى الطليان من أجل استلام مرتبّه، بمعنى أنه خضع للغزاة، وكان الإيطاليون خلال المرحلة الثانية من فترة الجهاد الليبى، ونحن نعرف أن الجهاد الليبي قد مر بثلاث مراحل، وان لم يتوقف طيلة فترة الغزو الإيطالى من سنة (١٩١١ م إلى سنة ١٩٣٠م فقد استعملوا فى المرحلة الثانية بالإضافة إلى السلاح والجند سلاح آخر هو الترغيب والترهيب وسلاح الدعاية والتشكيك والرشوة والإغراءات، قالت هذه السيدة قصيدة طويلة كان مطلعها يقول :

إن كان بُويا فيِرم عالمعاش وأجابا ... أنظهر عقاب الطبل للندابا

والمرتبّ باللهجة الليبية يسمى(معاش) وتعبير (فيرم) يعنى وقعّ أو يوقعّ، ومفهوم القصيدة واضح إذ أن الندب والطبل يستخدمان فى التعبير عن الحزن عند الوفاة، وهى بدلك تقول إن أباها إذا فعل ما سمعت ستعتبره قد مات وسوف تخرج الطبل للنذابات، وما كان لمثل دلك الرجل أن يمد يده لأعداء الوطن والدين فقد مات وهو يجاهد رحمه الله رحمة واسعة.

وكان الجنرال (غراتسيانى) قائد القوات الإيطالية فى الحملة الثانية على ليبيا قد قال فيما كتب : ((لم توقفني عقبة عن وصول الهدف و لم تلحق بي إهانة أبداً نتيجة حرمان،و لم تغريني اغراءات للوصول إلى هدف غير قوي، كل هذا يجعل مني شخصية ذات طابع صعب وهكذا سرت وحدي فى العالم مسلّما أمري إلى قدري وقوتى، ولكن لذي الشجاعة لأن أقول بانى لست مدينا لأحد فيما

أعطتني إياه الحياة قلّة هم حتى اليوم من الكبار والصغار الذين مروا بجانبي استطاعوا أن يدركوا روحى الثائرة على كل هبوط معنوي وأن يدركوا تلك العوامل النبيلة القوية الكبيرة الابدية التى تعتمل في نفسي[1] أنتهى......

وعلى الرغم من أننا لا نقلل من قيمة المذكرات ولا من خبرة صاحبها إلا أننا نعرف تماما أن الشعب الليبى الفقير قد صدّ وأوقف قوات الجنرال (غراتسيانى) منذ نهاية سنة ١٩١٤ وحتى نهاية سنة ١٩٢٩ م بقيادة زعمائه الشعبيين ومنهم هذين القائدين (الشيخ سالم بن عبد النبي والشيخ محمد فكيني اللذين نخص نضالهما بهذا الكتاب وأن هذا الشعب كان عقبة كأداء فى وجه هذا القائد الذي جاء فاتحا والذي قال أن غزو هذه البلاد سوف يكون نزهة تفتح الشهية، ولقد جاء بعد أن هزم الشعب الليبى الفقير قوات ايطاليا المدججة بالسلاح المتقدم جدا بقيادة جنرالات آخرين سبقوا (غراتسيانى) وهم إيطاليون أيضا، جاؤا إلى تلك النزهة التى دامت عشرون سنة كاملة وكانت شرسة ودامية وموجعة، أما الأهداف النبيلة التى تحدث عنها الجنرال (غراتسيانى) فقد كانت تتمثل فى حرق المزارع وهدم البيوت وقتل النساء والرضع وإقامة معسكرات الابادة، وكدليل على دلك نورد فى هذه المقدمة نموذجا لتلك الابادة التى قام بها الجنرال وهى ربما من أعماله المجيدة ...

فى كتاب (طرابلس الغرب) لمؤلفيه التركيين (محمود ناجى واحمد فوزى) ورد فى احصاء قامت به الادارة التركية (٢) أن عدد سكان ليبيا سنة ١٩١١ م كان

---

١ مذكرات الجنرال ادولفوا غراتسياني، نحو فزان

(٧٨٢ ألفا و ٧٩٣ نسمة) وأورد الأستاذ محمد مصطفى بازامه فى مخطوطه (١) على الصفحة (٣٦٦) ما يلى :

أن برقة فقدت من سكانها سنوات ١٩١١ م — ١٩٣١ م (٣٤٠.٣١٧ نسمة وفقدت طرابلس من سكانها سنوات ١٩١١ م — ١٩٣١ م (٥٠٠.٤٣٢ نسمة) وفقدت فزان من سكانها خلال نفس المدة (٦٣٠٨٠ نسمة) أي أن مجموع الذين قتلوا أو اعدموا من سكان ليبيا فى تلك الفترة قد بلغ (٧١٢٩٠٢٠ نسمة) مما يعطى نسبة فقدان قدرها (تسعين فى المائة ٩٠%) وهذا يؤكد أنه لم يحدث أن فقد شعبا فى أي مرحلة من تاريخه مثل هذه النسبة، وربما هذا ما يفتخر به الجنرال (غراتسيانى) أي إبادة شعب بكامله لا لشئ الأ لأنه رفض الإذعان والخضوع لإرادة ايطاليا التى قال قادتها الفاشيون أن ليبيا هى الشاطئ الرابع لأيطاليا، أولئك الفاشيست كانوا يصادرون الفكرة من الرؤوس، والحب من القلوب والابتسامة من الشفاه، لقد كانوا يكرهون الضوء ويأخذون الشمس إلى مقصلة ألإعدام والكلمة الحرة وراء القضبان فى سجون ومعتقلات لم يشهد التاريخ مثيلا لها وسنري فى احد فصول هذا الكتاب بالوثائق كيف إنهم حكموا بالإعدام على شيخ الشهداء عمر المختار قبل أن تعقد المحكمة العسكرية التى شكلوها لمحاكمته قبل أن تعقد الجلسة الأولى !!

وكان نابليون قد قال قبل هؤلاء ((أننى سأسخر لمنفعتى مسرح التاريخ)) وبعدذلك على الرغم من انه حقق بعض الأمجاد قال (لقد سئمت بنى الإنسان وما أحوجنى إلى الوحدة والعزلة) وهكذا فان البقاء دائما كما علمنا التاريخ يكون

للعمل الصالح الطيب وأن دولة الظلم لا تدوم، أما مصادرة الفكرة من الرؤوس والحب من القلوب فأنها غير ممكنة وأن اعتقد بعض الأقوياء أنهم قادرون على دلك، كدلك فان الذين يحاولون تزوير التاريخ لأغراض شخصية أو مناطقية أو عائلية أو قبلية لا يمكن أن يكونوا فى منجأ من الفضح حتى لو طال الزمن، والكاتب (أي كاتب) إذا ما ناقض وخالف ما كتب ويكتب مهما بعدت الشقة لا يكون إلا مزورا إذ انه فى مختلف كتاباته لابد أن يناقض نفسه بسبب أغراض مستجدة كما فعل لأغراض سابقة، وهذا بالضبط ما حدث ويحدث مع السيد القشاط في اغلب كتاباته وحتى لا يعتقد أننا نتجنى عليه نقترح على القارئ الكريم مراجعة ما ذكر في ((كتاب خليفه بن عسكر وكتاب معارك الدفاع عن الجبل الغربي وكتاب الصحراء تشتعل وأخيرا كتاب من قيادات الجهاد، الشيخ على كلّه والشيخ المبروك الغدي، وها نحن نستعرض بعض ما كتب سابقاً ولا حقا على أمل ان نناقش جميع فقرات تلك الكتب فى كتاب يخصص لهذا الغرض : ورغم كل محاولات التصحيح بالوثائق كالوثيقة المنشورة على الصفحة — والتى كانت ردا على فريّة أتى بها السيد القشاط في كتابه الصادر سنة ١٩٩٨ م والمعنون (الصحراء تشتعل) حيث قال (أن الزنتان يميلون مع الريح من أجل مصالحهم بدليل تخليهم عن زعيمهم احمد السنى عندما اعتقله عبد النبى بالخير)وعلى الرغم من أن الشيخ احمد السنى ليس زعيما علي الزنتان فقد تقدم أهالى الزنتان ومعهم سبع قبائل أخرى(مذ كوره في نص لوثيقة رقم ٢٧٤) الى المجاهد الشيخ عبدالنبى بالخير يطلبون فيها أطلاق سراح الشيخ احمد السنى، رغم دلك عاد السيد القشاط فى كتاب إصدره أخيرا بعنوان (من قيادات

الجهاد الشيخ على كلّه والشيخ المبروك الغُدى) الى ترديد نفس القصص المختلفة والتى لا تستند على أى مرجع معترف به، والسيد القشاط فى كل رواياته يستشهد بالأموات لأنهم لا يتكلمون. كدلك حديثه الذى يكرره بمناسبة وبغير مناسبة عن (سقوط قارة سبها سنة ١٩١٤ م ودور الشيخ المجاهد سالم بن عبد النبى فيها) وهو يشكك فى دور هذا الزعيم وقيادة المجاهدين هناك، وقد فندت افتراءاته بالعديد من الوثائق والروايات الشفوية المسجلة فى نشرات مركز جهاد الليبيين، وكدلك كتابات القادة الإيطاليين مثل (غراتسياني وبيلاردينيللى وانجودل بوكا وغيرهم) يجدها القارئ الكريم على صفحات هذا الكتاب، ولقد بلغت به الاستهانة بنضال المجاهدين الليبيين الى أن يصف تلك القارة التى كانت عملية احتلالها فاصلا وفيصلا في تاريخ الجهاد الليبى ضد الغزو الإيطالى عندما وصفها بأنها (مجرد مخزن سلاح يحرسه عدد من المجندين غير الايطاليين) وقد أوردنا وها نحن نورد اعتراف آخر صريح جاء فى كتاب (انجلو دل بوكا) وعنوانه (الايطاليون فى ليبيا الجزء الاول صفحات ٢٦٦ — ٢٦٧ يقول الكاتب الايطالى وهو يَتحدث عن سقوط تلك القلعة واهميتها العسكرية وما فيها من سلاح وضباط وجنود ما يلي :

سقوط قاهرة سبها في ايدى المجاهدين :

لقد كانت حامية قارة سبها والتي كانت تحت إمرة النقيب ميليوريني مكونة من ثمانية ضباط وتسعة من ضباط الصف وثلاثة وسبعون جنديا ايطاليا، وتسعة عشرة جنديا حبشيا وتسعة ليبين من سكان الساحل، وثمانية وستين

عسكريا فزانيا، وكانوا مزودين الى جانب أسلحتهم الفردية بمدفعين جبليين من (٧٠ أ) مع ما يزيد على ١٠٠٠ قذيفة وأربعة رشاشات ثقيلة، وهذا فيه ما يزيد عن الكفاية للاحتفاظ بالحصن (ايلينا) الذى كان مقاما على تلة تشرف على السهل ولكن نظرا لأن أعمال الأنشاء لم تستكمل بعد فقد كان رجال الحامية لا يزالون يقيمون فى التكنات المنتشرة أسفله، وفى ليلة ٢٨ نوفمبر تمكن بضعة مئات من السنوسين يرشدهم جنديا هاربا ويقودهم سالم بن عبدالنبي ومحمد دحنوس وعلى الشنطة وسالم ذنه ،تمكنوا من التسلق الى الحصن دون أن يفطن إليهم احد وسيطروا عليه، ولم ينتبه الإيطاليون إلا في الساعة الرابعة وعشر دقائق فجرا الى هذه الخدعة التى جعلتهم موضع تهكم وسخرية) .. (يجد القارئ مقتطف النص مترجما ضمن الوثائق). إنتهى.

ومع دلك مازال القشاط يردد ما اصطنعه خياله بحيث يقلل من قيمة تلك العملية ودور المجاهدين الليبيين فيها وسيرى القارئ أقواله بروايات مختلفة مفتعله، فمثلا ها نحن نجده يكتب فى (مجلة الوحدة العربية الصادرة سنة ١٩٧٣ م) ما يلى على صفحات المجلة أرقام (٤ـ٥ـ٦ـ) يقول :

كان سالم بن عبد النبى الزنتانى من اخلص العناصر الوطنية فى الجهاد، رجلا لا ينام على ضيم ربته الصحراء فأحسنت تربيته وصهرته المحن فخرج قوي العود صلب صعب الشكيمة حاد الذكاء سريع التدبير في المواقف الحرجة والى جانب دلك كان شجاعا ظهرت بسالته فى الإنجازات التى كانت تقوم بها القبائل لأستياق الإبل أيام ضعف العهد

العثمانى، وكما هى عادة العرب فى القديم،ثم يضيف على نفس الصفحة، استطاع سالم بن عبد النبى أن يجمع مجموعة من الأشخاص قرابة ثلاثمائة أو كما تقدرهم بعض المصادر ٣٢٥ رجلا من مختلف القبائل ويخرج بهم من جهة (ادري) مارا بالقرب من اوباري في حركة سريعة الى أن وصل الرملة (زلاف) وهى منطقة رملية صعب الوصول إليها، وقام فى الرملة باستعراض رجاله وتفقدهم وأتضح له عدم صلاحية بعضهم للقتال فاستبقاهم فى (الرملة) ووضع عليهم حرسا من الموثوق فيهم حتى لا يتسرب احدهم ليخبر العدو، وقسم المجموعة التى اختارها ألى مجموعتين، الأولى تتجه (الى ادري وأوباري) لاحتلالها وعلى رأس المجموعة (المهدى كنيفو الزنتاني والذحنوس الزنتانى) وسارسالم بن عبد النبى على رأس القسم الآخر متجها الى قلعة (القاهرة) الحصينة قلب فزان وقلب القوات الإيطالية الغازية، ويضيف على الصفحة التالية (٥) فيقول: احتلال قلعة القاهرة سبها ٢٨ من نوفمبر ١٩١٤ م، قبض سالم بن عبد النبى على رجل من الحطمان كان جنديا مع الطليان اخذ أجازته لزيارة أهله، واجبر سالم هذا الرجل على السير معهم ليكون خبيرا للقوة الصغيرة المهاجمة، وسارت المجموعة القليلة فى عددها الكبيرة فى إيمانها ووصلت يوم ٢٧ نوفمبر الى جبل صغير يقع غربي سبها بحوالي ١٥ كيلومترا وعسكرت هناك الى أن أظلم الليل وقد كانوا أثناء سيرهم يتتابعون كالذئاب فى طابور طويل حتى لا تنتبه جواسيس العدو لكثرة الآثار ومواطئ الإبل، وتحت عنوان بالخط العريض وعلي نفس الصفحة (٦) يقول القشاط (سالم بن عبد النبى الزنتانى يقود ٤٠ مجاهدا ويقتحم القلعة) اللحظة الحاسمة ،وغرقت الشمس فى بحر الصحراء مساء يوم ٢٧ من نوفمبر ١٩١٤وتناول المجاهدون حبات من التمر كعشاء لهم،

ووقف سالم يختار من مجموعته القليلة والتى لا تملك إلا أربعين بندقية، المجموعة الفدائية التى ستقتحم القلعة وسار أربعون شبحا فى الظلام يتقدمهم قائدهم يسوق أمامه الخبير الذى ربطه بحبل من يده وبيده رأس الحبل (أرجو أن يلاحظ القارئ الكريم إننى انقل كلماته المكتوبة حرفيا وكما هي) مهددا إياه بالقتل في حالة إصدار أي صوت أو تنبيه للعدو ووصلت المجموعة الى مرتفع صغير قرب القلعة غربي (البطاح) بجوار المطار الآن، بينه وبين القلعة قرابة الكيلومترين، وجلسوا هناك للإطمئنان والتأكد من نوم الجنود، وبعد منتصف الليل تحركت المجموعة وأمامها الخبير صاعدة الجبل الذي تقع القلعة على رأسه مع طريق ضيق ملتو مجهول بالنسبة للمدنيين الى أن وصلوا الى الباب حيث وجدوا الحارس نائما فقتلوه بالسيف حتى لا يسمع الجنود إطلاق الرصاص، وخذوا بندقيته وساروا يتسلقون القلعة الى أن وصلوا أعلاها فأطلقوا النار على الجندي المكلف بالمراقبة وكان بجواره كلب بوليس فقتلوه هو الآخر وارتفعت صيحات التكبير فى أرجاء القلعة، وكان أول المكبرين الشيخ (سالم) كما هو الاتفاق بينه وبين زملائه المجاهدين، هذه واحدة من روايات السيد القشاط، ونجده يقول كذلك، وفى سكون الليل ترددت في متاهات الصحراء أصداء التكبير والطلقات النارية فبثت الرعب والفزع في الجنود الذين كانوا يغطون في نومهم ،فأشجعهم هو الذى تمالك أعصابه وعرف طريق الفرار حافي القدمين حاسر الرأس في لباس نومهم، واقتحم المجاهدون مخزن السلاح والذخيرة وتسحلوا جميعا وتم لهم الاستيلاء على القلعة دون خسائر تذكر، وفي الصباح لحق بهم بقية المجاهدين الى الطريق المؤدي للقلعة غيرأن الإيطاليين يقولون فى مصادرهم أن الجنود الفزانيين الموجودين بالقلعة ساعدوا المجاهدين علي احتلالها ...

ولقد ردد دلك الأستاذ (خليفه التليسى) في كتابه (معجم معارك الجهاد فى ليبيا) معتمدا على المصادر الإيطالية التى تريد أن تخفف من هزيمتها... ولقد كنت أتمنى أن يكون دلك حقا، ولكن جميع الذين التقيت بهم سواء أكانوامن الحاضرين في المعركة أم من الذين عاشوها نفوا أن يكون أي جندي مع الإيطاليين ساهم معهم أو ساعدهم باستثناء الحطمانى الخبير الذى سبق ذكره ويستمر السيد القشاط فى سرد تلك المعارك والذي يخالفه بل ويتنكر له بعد مرور أكثر من عقدين من الزمان، ويقول : وبعد معركة (القاهرة) بسببها وسقوطها بيد المجاهدين اندلعت الثورة فى كافة البلاد .. وحاولت ايطاليا إرجاع هيبتها فلم تفلح وبعنوان (الثأر والهزيمة) يقول : موقعة مرسيط ٧ من ابريل، الهزيمة المنكرة التى تعرضت لها القوة الإيطالية فى (خرمة الخداميه) ووادي (مرسيط) والثانية في معركة القرضابية الشهيرة) والواقع إن الإيطاليين جهزوا ثلاث حملات لا ادري كيف أهمل الأستاذ خليفه التليسى ذكر الثالثة خرجت من جادو فى نفس الوقت الذي خرجت فيه حملة مرسيط وحملة القرضابية متجه ألي غدامس لحمايتها من القوة المجاهدة التي استولت علي (اوباري وادري) بقيادة (المهدي كنيفو والذحنوس الزنتاني) وأخيرا التحق بهما خليفه بن عسكر) في رملة (زمزم) بين (غدامس ودرج) ونكتفي بهذا القدر من روايات السيد القشاط. بحيث نخلص من هذا الذي أورده القشاط إلى أن قائد المجموعة فى قارة سبها هو الشيخ سالم بن عبد النبي الناكوع الزنتاني وهوالذى رفع الآذان من اعلي القلعة، هذه واحدة، والثانية أن قائد مجموعة المجاهدين الذين احتلوا اوباري هو (المهدي اكنيفو الزنتاني).

ونسأل الآن تري ماذا قال بعد ئد في كتبه عن القارة وعن سالم بن عبد النبي وعن المهدي اكنيفو؟ هذا ما قاله في كتابين متتاليين، فى كتابه المعنون (الصحراء تشتعل) قال : ليلة ٢٧ ــ ٢٨ هاجم المجاهدون القلعة إذ اختاروا أربعة عشر مجاهدا لأقتحامها والصعود اليها يتقدمهم سالم الحطمانى ويسير خلفهم بسيفه رحومه التركى السباعى وكان سالم بن عبد النبى مع المنتظرين اسفل القلعة ولم يصعد معهم الى أن تم احتلالها ورفعوا الآذان فى اعلاها!!، ها نحن نري العجب العجاب، قال فيما سبق ان سالم بن عبد النبي كان يقود اربعون مجاهدا اقتحم بهم القارة وكان اول من رفع الآذان، وفي هذا الكتاب جعلهم اربعة عشر وجعل سالم بن عبد النبي الذي قال عنه انه شجاع ومقدام وذكي وانه القائد، جعله يخاف ويبقي اسفل القلعة الى ان احتلت ورفع الآذان فى اعلاها وكان المؤذن المجاهد امحمد البريكي !! جاء هذا الكلام على الصفحة رقم (٦٨) من الكتاب المشار اليه اعلاه، وعلى الصفحة رقم (٦٩) قال فى شأن تطهير اوبارى ما يلى :

وصل كاوصن علي رأس قواته المجاهدة الى اوبارى ونشبت المعركة مع الإيطاليين المستحكمين داخل الحصن، وطوقهم المجاهدون مدة ستة عشر يوما حاول خلالها قائد المجموعة الإيطالية الملازم (توكوتيكا) الفرار ولكنه قتل واخيرا استسلمت الحامية بعد ان ارسلت مجموعة من نداءات الإغاثة للجنرال (ميانى) لنجدتها، يذكر القارئ الكريم مما تقدم ان القشاط قال ان الذى قاد مجموعةالمجاهدين الذين احتلوا اوبارى هو (المهدى اكنيفوا الزنتانى) ونراه الأن يجعله شخص آخر...!!

ودون خجل ولاحتى قليلا من الأحترام لما يكتب قال فى كتابه المعنون (من قيادات الجهاد، على كله والمبروك الغدي) وعلى الصفحة رقم (٢٥٨) ان عبد

الوهاب ينصّب المهدي أكنيفو الزنتاني قائدا لمعركة اوباري دون أي دليل يدفعه الحماس لقبيلته متجاهلا قيادتها الفعلية !! يا سبحان الله كيف يستطيع القشاط ان يلحس كلامه ويسّفه نفسه !! ألم يقل أن اكنيفو قائد معركة أوبارى وهو ما أوردناه فيما تقدم ؟؟ وهذه قصة خروج المجاهد الشيخ سالم بن عبد النبي الي تونس بعد انتهاء الحرب حيث سيطر العدو على البلاد وهى التى سماها السيد القشاط هروبا، خروج الشيخ المجاهد سالم بن عبد النبى الناكوع الزنتانى الى تونس خلال سنة١٩٢٩م، ولم يضع الناكوع وقته فقد لاحت بادرة الامل التى يترقبها فبادر ببيع الابل الهزيلة والمواشى التى لا تتحمل السفر وأعد عدته وأختار أحد عشر مجاهدا ممن تسعى السلطات للاطباق عليهم، وممن سألوه عنهم فى التحقيق، وابلغهم بخطة الحرب كاملة وحدد لهم التوقيت، وطلب اليهم تجهيز الزاد والماء ودلهم على البنادق التى خبأها إبنه صالح، ولكى يطمئن (البريقادير) عاد الى ادري وابلغ السلطات بانه سينقل عائلته واقاربه الى ابراك حسب الاوامروالموعد المحدد فارسل معه (البريقادير) عدد من الجنود الايطاليين، فعرج بهم على مزرعته وامر احد العمال بان يعد للجنود طعاما وان يسقيهم عصيرا من جذوع النخيل وبقى معهم حتى ساعة متأخرة من الليل الى ان فقدوا السيطرة على عقولهم ثم اقترح عليهم الاستمرار في لهوهم وسهرهم واضاف انه لا داعى لأزعاج انفسهم إذ انه ذاهب للتأكد ان النجوع قد تم تجهيزها للرحيل واردف قائلا سأراكم فى الصباح الباكر عندما تكون القافلة قد استعدت للتوجه الى (براك) ولكن كان قد بيت امرا فما إن غاب عن انظاهرهم حتى وجد اصحابه في انتظاره ومعهم الابل والزاد والماء والبنادق فدعاهم للاسراع صوب تونس واستغلال ما تبقى من الليل للسير مسافة

أكثر قبل انبلاج الصباح ،وسأله المجاهدون، اتترك ابنك وأخوك فى السجن ؟ فرد قائلا، ليس هذا وقت كلام ولنعتبر الذي حدث بمثابة هجوم نجا منه من نجا وراح من راح، انتظر الحراس الذين تركهم في المزرعة وقتاً طويلا ،ومضت الساعات وهم يتوقعون مجيئه ولكنهم فى النهاية غادروا المزرعة مسرعين الى المركز وابلغوا (البريقادير) بان الناكوع هرب فاودعهم السجن وابرق للقيادة فامروا باعتقاله هو الآخر لأنه وافق على منح الناكوع فرصة لبيع مواشيه وترحيل اسرته فاستغل الناكوع الظرف وأفلت من الاعدام لأن في مخططهم إعدامه بمجرد الحصول على الاسلحة ووضع اسرته وأقاربه بابراك تحت الاقامة الجبرية، وانقطعت اخبارالناكوع والمجاهدين المرافقين له رغم خروج اعداد من الجنود الطليان للبحث عنه، ولكن وبعد خمسة أيام من هروبه قابل رجلا فى مكان يسمى (عوينة ونين)علي حافة الحمادة الحمراء، وسأله عن وجهته فاخبره المجاهد انه ذاهب الي الوالي الايطالى بعد ان يطمئن على ابله ويتركها فى رعاية شخص ذكر له اسمه، واضاف بانه سيخبر الوالى عن المعاملة السيئة التى لقيها من السلطات الايطالية فى سبها وانتشر هذا الخبر فى فزان فساعد على صرف انتباه المستعمرين الى ناحية عدم جدية الهروب، وخلق تباطؤا فى البحث عنه، الامرالذي ساعد المجاهد ورفاقه على النجاة، ونجد السيد القشاط فى كتابه (من قيادات الجهاد، على كله والمبروك الغدى) يقول عكس ذلك تماما، وهذه روايته الجديدة قال على الصفحة رقم (٣١٥) فى غدامس تم تجنيد الشباب بالقوة ومن بينهم الشيخ محمد الذي حمل اسم والده محمد الشيباني الصويعى، ووصل فى الجيش الي رتبة (شمباشى) وقد ساهم فى مساعدة الكثيرين من الليبيين الذين يقعون فى قبضة الايطاليين، كما ساهم فى مساعدة الشيخ سالم

بن عبد النبى الزنتانى على الهروب، وعطل المجموعة التى كلفت باللحاق به وهو يعرف إن الشيخ سالم عند انطلاقه كان بدون سلاح كما اخبرنى شخصيا رحمه الله !!

ما هذا الكذب المفضوح ؟ قال ان الشيخ المجاهد كان معه اربعة عشر مجاهدا يحملون الماء والزاد والسلاح وان السلطات الايطالية حاولت اللحاق به ولسبب ما تأ خرت، ثم نجده ينسب هرب الشيخ لأحد الصيعان الذي عطل الطليان عن اللحاق بالمجاهد الذي لايحمل سلاحا !! شمباشي يعطل الطليان ويساعد مجاهد كبير على الهرب، لاحظوا تعبير الهرب ! ونراه يقول عندما كان يتحدث عن عائلته انها هاجرت ! ومتى كانت هجرة ابيه وجده ؟ لقد هاجروا سنة ١٩١٣م وعادوا الى البلاد سنة ١٩٢٩م أي بعد انتهاء الحرب ومع ذلك يقول انهم هاجروا اما الشيخ المجاهد الذي شارك فى اغلب معارك الجهاد الليبى كقائد شهد له الإيطاليون انفسهم والذي خرج فى نهاية الحرب أي سنة ١٩٢٩فهوحسب تعبير القشاط قد هرب !! والسيد القشاط لا يخجل من التزوير فنجده يختلق المعركة ويصطنع لها قادتها ورجالها كما يصور له خياله مخالفا ما كان كتبه عنها سابقا واحيانا في نفس الكتاب، ففي كتابه المذكور ((من قيادات الجهاد، الشيخ علي كلّه والشيخ المبروك الغدي)) يعود للحديث عن قارة سبها فيقول ما هو اعجب من العجب فى التناقض والتزوير على الصفحة (١٢٢) يقول (توجه الشيخ المهدي السنى من (واو) الى فزان ليستطلع الاوضاع ويحّرض الناس على الجهاد وألتقي في الطريق الى مرزق بأم الأرانب بمجموعة تتكون من حوالي ستين مواطنا ذاهبين لزيارة السيد عابد السنوسي للتبرك به، فاجتمع بهم وحرضهم علي الجهاد

وطلب منهم العودة، وجعل من منطقة زلاف مركزا لتجميع مجموعاته بعد ان اشترط على كل شيخ ان يحضر معه ٢٥ مجاهدا ومن زلاف زحف المجاهدون الى سبها، والى ادري واوباري حيث استطاعوا اقتحام قلعة (قاهره) فى ٢٨ نوفمبر ١٩١٤م وابادوا حامية اوباري واستولوا على ادري)).

يرى القارئ هذا الاختلاف والتزوير المناقض لكل ما ذكر سابقا، وهذه قصة اخري ربما جاءت للسيد القشاط فى منام مسهد، يقول فى هامش الصفحة ١٢٨ من نفس الكتاب ((المجاهد ارحومه التركى السباعى من قيادات الجهاد الليبى وقائد مجموعة اقتحام قلعة سبها (قاهرة) هنا ايضا أدعاء واختلاف وقد جاء فى نفس الكتاب بين الصفحتين فقط، قال فى الاولى ان السنى قاد المجموعة واستولى على القلعة وفى الثانية جعل القائد الذي استولى على القلعة هو ارحومه التركى !! وليس هذا فقط بل انه يكرر هذه الاختلاقات فيما يكتب، وهذه قصة اخرى وما أكثر القصص المختلقة، فى كتابه المعنون خليفه بن عسكر، الثورةوالاستسلام الصادر فى يوليو ١٩٧٨م وعلى الصفحة رقم (٩) يقول ((عندما انسحبت تركيا من ليبيا بموجب معاهدة (اوشى لوزان) حيث بقي الليبيون وحدهم فى الساحة وانقسم سكان طرابلس الى قسمين :

١ ــ قسم يؤيد ايقاف الحرب باعتبار انهم من رعايا تركيا وبما انها اوقفت الحرب اذن عليهم التنفيذ، وهذا القسم يؤيده الزعماء الهادى كعبار ــ عبد النبى بالخير ــ احمد المريض ــ وجميع المناطق التى تقع شرق غريان.

٢ــ قسم يؤيد استمرار القتال علي اعتبار ان ليبيا لليبيين وليست للاتراك ولا للطليان، وهذه المجموعة يمثلها الشيخ سوف المحمودى زعيم المحاميد وسليمان باشا البارونى عضو مجلس المبعوثين ومحمد عبد الله البوسيفى رئيس اولاد بوسيف وسالم بن عبد النبى شيخ الزنتان وسعد حلبوده مدير الصيعان والشيخ حرب النائلي مدير النوائل، وباختصار فأن القبائل التى تقع غربى غريان جميعها كانت ضد التسليم، ولكن الإيطاليين بعد خروج تركيا انفردوا بالمناطق الغربية وبعد مناوشات جهزوا جيشا سار في عدة تشكيلات لتطويق المجاهدين فى الاصابعة، وفى ١٣ مارس ١٩١٣م وقعت موقعة الاصابعه (جندوبه) الشهيرة حيث تكبد العدو خسائر فادحة ونظرا لنفاد ذخيرة المجاهدين تقهقروا وانقسموا، الى قسمين، قسم اتجه الى القبلة (فزان) تزعمه محمد عبدالله البوسيفى وسالم بن عبد النبى حيث خاضوا معارك مجيدة فى اشكده ــ الشب ــ والمحروقه التي استشهد فيها محمد بن عبدالله البوسيفي وواصل سالم بن عبد النبى تقهقره الى الرمله حيث عد العدة وانقض على الطليان فى سبها القاهرة فى نوفمبر ١٩١٤م وأستولى عليها وطردهم من الجنوب، والقسم الثاني وهو ما تبقى من زعماء الجهاد، سوف والبارونى وحلبوده وحرب أتجهوا الى تونس حيث دخلوها بمن معهم من القبائل بعد ان تسلمت فرنسا اسلحتهم فى الحدود، ومن ثم سافر بعضهم الى تركيا وبلاد الشام) كتب القشاط هذا الكلام سنة ١٩٧٨م وبعد حوالى اربعة عقود (٤٠ سنه) نجد السيد القشاط يستحدث قصة اخري مناقضه تماما لما ذكر فى السابق معتمدا فى جزء منها على ما جاء فى كتاب الإيطالى

(بيلاردينيللي) الصادر فى الثلاثينات من القرن الماضى بعنوان (القبله) وهـــذا ما اورده فى كتابه المعنون (من قيادات الجهاد، على كلّه والمبروك الغدي) الــذى يظهــرمن غلافه انه طبع سنة ٢٠٠٢م ووزع فى المكتبات الليبية سنة ٢٠٠٥م وعلى الصفحات (٢٤٨ ــ ٢٤٩) قــال ((وانقــسمت مجمــوعات القبلة بعــد استشهاد محمــد بن عبد الله البوسيــفى الــى مجمــوعتين : مجموعــة استمرت في عدائها للطليان وهاجرت الى (زلة) التى كان المجاهدون يطلقــون عليها (مــكه) لكونها لــم يصلها الطليان، ومجمــوعة اخري الى النوفــليــة وكان اغــلب افــراد هــذه المجمــوعة مــــن اولاد بوسيــف والمشاشــي وبعــض المجموعــات الصغيــرة الاخرى وكان مــــن قادتــــها عبد الحفيــظ بالحاج ابن عــم محمــد البوسيفى وأمحمــد بن بشــير وحســـن الدرويش، ومجمــوعات اخرى استسلمت للطليان بقيــادة الشيخ مـــرسيط الــذي طلب ان يستقــر فى منطــقــة (تزان والدرويش والجاسى) ويقــول بلاردينيللي اما سالم بن عبد النبي واتباعــه مــن الزنتان الرحل فانســحب الى ادري وأستقر بها فى سلام وسكينة ..) يلاحظ القارئ ان القشــاط قــال فى الاولى (واصل سالم بن عبد النبي تقهقره الى الرمله حيث عد العدة وأنقض على الطليان فى سبها القاهرة فى نوفمبر ١٩١٤م واستــولى عليها وطــردهم مــن الجنوب.. وقال فى الثانية سالــم بن عبد النبي انسحب الى ادري واتباعه مــن الزنتان الرحل واستقر بها فى سلام وسكينة .. ونري ان فــارق الــزمن بــين الكتابيــن والكتابتين اكثر من اربعــة عقود !! ومع دلك نجده يقول علــي الصفحة (٩) مــن كتابــه الاخيــر ما يلي (اننــى إذ اتحدث عــن دور أي فرد او قبيلة انما انطلق من وثائق ومخطوطات لا تقبــل الجــدل !! تري بمــاذا

يمكن ان يوصف هذا الكاتب؟ الحكم للقاري والامر من قبل ومن بعد لله ،امــا رأي مفصلا على ما عيرني به القشاط فيجده القارئ فى مقدمة كتابى المعنــون (اسهامات الليبيين فى النضال الفلسطيني مــن الحسينى الى عرفات بعنوان، كلمة لابد منها .) وبعد هذا كله ولولا ضيق المساحة ورغبة فى تخصــيص كتــاب آخرلدحض جميع ما اورده القشــاط فى كتبه لــــذكرت الكثيــــر مــن التناقض والافتــراء والتــزويــر، أما ادعاءه بانني استخدمت صورة الشيــخ سالــم بــن عبد النبي وهى التى رسمها له (فلان) وجعلتها على غلاف كتــابى الخاص بالشيــخ سالــم دون استئذان فهو ادعاء باطل ومردود عليــه لأنــنى نقلت الصورة فوتوغرافيا عن رسم زيتى لشخص الشيخ المجاهــد وهــذا الرسم موجود حتى الان فى المركز الثقافى بالزنتان وبحجم (١٠٠ × ٢٥٠ سم) ثم ها نحن نجــده يقول بكل عنترية على الصفحة رقم (١٢ من كتابه) فلا أحد مــن العقلاء له مصلحة فى تــزوير التاريخ او إخفــاء الحقائق) ونقول صــحيح لا احد من العقلاء ولكن اين العقل مــن هــذا الذي جاء فى كتاباتك يأأستاذ !؟ هل من العقل ان يتعرض الكاتب لبيوت الناس ؟ وهــل من المصــلحة تزويــر وثائق التاريخ ومحاولة قلب الحقائق ؟ بالتأكيد انه ليس من العقل أن يقــول أي عاقل ان زعمــاء الجهاد مــن قبيلــة (كذا) كانوا يقولــون انهــم لابــد ان يشاوروا (نساوينهــم) ومــتي كان دلك ؟

وهل من العقل او المصلحة ان يحاول كاتب احداث فتنة بين اعضــاء القبيلــة الواحدة بالحديث عن امراة (تتحشم) من هذا ولا (تتحشم) من ذاك ؟ وهل من العقل اختــلاق قصة عــن امــراة مــن الرحيبات ووضع نقط امام اسمهــا ممــا يبعــث

الشك في سلوكها او اصلها ؟ وهل من العقل ان يقول كاتب، أي كاتب ان فلان هرب الي تونس سنه ١٩٢٩م أي بعد ان انتهت الحرب، وان يقول عن ابيه وجده انهما هاجرا سنة ١٩١٣م وعادا سنة ١٩٢٩م أي بعد انتهاء الحرب !! ومع دلك يصفهما بالمجاهدان ! ؟ ونري اختلاق القصص ونسجها علي هواه وإن بطريقة خائبة ليس غريبا من السيد محمد القشاط، وربما من اجل التسلي فقط نذكر هذه القصة التي جاءت فى كتابه المعنون (من قيادات الجهاد، على كله والمبروك الغدي) وهي على طريقة (ارسين لوبين) يقول بعنوان (عودة المهاجر) على الصفحات (١٣٦ ـ ١٣٧) كلاما يجعل على كله ((هاربا وليس قائدا)) بنص قوله هو كما يلي ...

سبعة اعوام كاملة وعلى كلّه مهاجرا ببلاد الشام، وما سنحت الفرصة للعودة بعد صلح سوانى بن يادم (يلاحظ القاري ان الصلح تم فى ابريل سنة ١٩١٩م) حتى نجده فى كبرياء وشمم يرفض هذه الوسيلة التي ستوصله الي الوطن، رفض ان يمتطى باخرة للاعداء فهو على خصام معهم، لاصلح لا تفاوض ولا استسلام ولا إلقاء للسلاح حتى يخرج العدو من الوطن (يلاحظ القارئ ان صاحب السيد القشاط قد سبق لاءات الخرطوم باكثر من ستين سنة !!).

يستمر السيد القشاط، عاد المهاجرون فى الباخرة الإيطالية، عون سوف وعبد اللطيف العاشق وآخرون قاسوا الامرين فى المهجر،ولكن على كلّه قرر العودة على طريقته الخاصة وبوسيلته الخاصة، وصل الى بيروت ثم الى الاسكندرية، وهنا قررالشيخ على كلّه الذهاب برا الى طرابلس واشترى حمارا من السوق واركب عليه تلك الطفلة الصغيرة وحمل ما استطاع شراءه من تموين وما يحتاج من الماء،

وانطلق من الاسكندرية فى اتجاه ليبيا، هناك من قال لى : لماذا لم يشتر حصانا يسافر عليه بدلا من الحمار او جملا ؟ الجواب، ان الحصان يحتاج الى تموين لغذائه يوميا وهو عند النزول لذي البدو يعتبرعبئا لانهم ملزمين بعشائه ولا يبيت عندهم بدون ذبيحة، اما الجمل فثمنه اكبر مما لا تتحمله اقتصاديات هذا المهاجر، استمر فى رحلته غير الميسرة يقطع صحراء مصر الغربية بين مضارب نجوع اولاد على الذين كانوا يكرمونه ويقدمون له ما يحتاج اليه، ثم دخل صحراء جنوب الجبل الاخضر وكان ايضا محل تبجيل وتقدير واكرام من مواطنيه ،وكان يقطع الايام والليالى ولا يلتقى احدا، مائة يوم كاملة، ثلاثة اشهر وعشرة ايام قضاها فى قطع الفيافى، وينضب منه الماء فيدخر بقيته لتشربها الطفلة ويبقى هو يتلظى من العطش، وينضب منه الزاد فيدخر بقيته لاطعام الطفلة ويبقى هو يربط بطنه من الجوع، واخيرا وصل طرابلس الغرب ،وصل الى جنته الموعودة، الى هدفه الاسمى الى مركز تضحياته وبؤرة ايمانه، غير انه وجد الدنيا قد تغيرت ....الخ

ونجد السيد القشاط بعد رحلة صاحبه الطويلة وهو قادم على حمار للجهاد فى ليبيا وبعد تلكم السنوات السبع العجاف التى قضاها فى الشام يقول فى هذه القصة التى نسجها للشيخ على كلّه على اعتبار انه من قيادات الجهاد ينتهى فيها ليس ليجعله من قيادات الجهاد بل ليس حتى مجرد مجاهد !! فقد قال انه ترك اسرته فى تونس سنة ١٩١٣م وبقي فى الشام سبع سنوات و لم يعد الا عندما علم بصلح سوانى بن يادم قرابة منتصف سنة ١٩١٩م ولقد عاد على ظهر حمار وبقى فى الطريق من الاسكندرية الى طرابلس ثلاثة شهوروعشرة ايام (نكاية فى الطليان وبواخرهم !!) ثم نراه (حسب تعبير القشاط) فى ليلة ليلاء يتسلل داخل الحدود

التونسية تاركا حتى زوجته وبعد سنة يتسلل مرة اخرى ليلا ليخطف زوجته و لم تلح تباليج الفجر حتى كان وراء الحدود التونسية !! وهـذا نص مـا ذكـره السيـد القشاط على الصفحات (٢٧٢ ــ ٢٧٣) فى كتابه المعنـون (من قيادات الجهـاد، الشيخ علي كلّه والشيخ المبروك الغدي) .. أعجب الضابط الفرنسي بهمة الرجال رغم ضعـفهم وتعبهـم (الـذيـن حفـروا البئر) فاطلق سـراح على كلّه (بعـد ان كان قد كسر بندقيتـه) ومن معه وامـرهم بالعـودة الي الطليان. تظاهـر علـى كلّه بالمـوافقة وارتحل مع النجع متجهيـن شمالا مع الحـدود الليبية الجزائرية. وفى الليلة التالية ركب جمـلا وتسلـل داخـل الحدود التونسـية تاركا زوجتـه مـع اقاربه فى المنتجع، سار على الحـدود بدون طريـق وبـدون خبير وحـتى بـدون زاد.استمر اسبوعا كاملا على ظهر ذاك الجمـل الى ان وصـل الى (اولاد ذبـاب) اكرمـوه وغيـروا له ملابسه بملابس تونسيـة وارسلوه حيث تقيم اسرته فى (قصر لجم) تـلك الاسـرة التي تركها منـذ صيف ١٩١٣م وجاءها بعـد اربعة عشرة سنة ووجـد ابنـه ابى القاسـم الـذى تركه صغيرا شابا يافعا وأقام مع اقربائـه قرابـة سنـة ثـم قـرر التسلل عبـر الحـدود التى يعرفهـا وتعـرف معاركـه وصولاته وجولاتـه راجعـا الى ليبيا حيث تقيـم زوجتـه الاخرى مـع اهلها فى سهل الجفـاره، وصل ليلا الى مخيم اهله واقـربائه ودون ان يسـلم او يخبر احـدا بوصوله اختطف زوجته واردفها على الجمـل وراءه و لم تلج تباليـج الفجر حـتى كان وراء الحدود التونسية ..

ويضيف السيد القشاط، وسمع بزيارة موسولينى وهوالرجل السياسى الذى يتابع اخبار بلاده كما سمع بصدور العفو العام، وعـاد الى سهـل الجفارة سنة ١٩٣٨م .)

يا سلام، كان هذا القائد مع عائلته صيف ١٩١٣م أي اول السنة تلك قد هاجر الى تونس واقام سبـع سـنوات فـي الشـام ولـم يعـد الـى ليبيـا الا بعـد ان سمـع بصلـح سـواني بن يادم !! ثـم هـرب ((تسـلل حسـب تعبـير القشـاط)) الـى تونس تاركا زوجتـه ناهيـك عـن اولئـك الـذين كـان يقودهـم (ايضا حسب تعبـير السيـد القشاط) وبعـد قرابة سنـة تسلل مـرة اخـري خفيـة ودون ان يسلّـم او يخبـر احـدا ليخطف زوجتـه ويهرب بهـا الي داخـل الحدود التونسيـة و لم يعد الا بعد ان سمع بزيارة موسولينى وصدور العفو العام سنة ١٩٣٨ !!

لاتعليـق من عندنا والحكم للقارئ الكريم وقـد نقلنا حرفيا قصة القشاط عن الشيخ (على كلّـه) وعلى أهـل القشاط ان يقرروا ما اذا كان يشكرهم او هــو يذمهم ؟ !!

١

تلك آثارنا تدل علينا

فأنظروا بعدنا الي ألآثار

1

الباب الأول

الأرض والسكان

الأرض

(رازاكوم سيرتيكا سيرينيكا جارمنتى ليبيا)

لم يكن العالم ولا العلماء يعرفون افريقيا الا باسم ليبيا، فقد كانت الارض (العـــالم) مقسم الى ثلاثة اجزاء (ليبيا اسيا واوربا) و لم تعرف أفريقيا الا بمنطقة الشمال فقـــط أي (ليبيا) على ان العلماء عرّفوا وعرفوا بلدان الشمال الافريقي الاخرى باسماء مثل موريتانيا أي (المغرب) ونوميديا أي (الجزائر) و لم يرد وقتئذ اسم تونس وربما كانت تدخل تحـــت اسم ليبيا باعتبارها فى افريقيا التى لم تذكر وقتذاك ذلك ان كلمة (سيرتيكا) أي ســـرت، كانت تطلق على المنطقة الممتدة من (خليج قابس، ويعرف باسم سرت الصغير الى سرت الكبير، أي سرت الحالية فى ليبيا) ثم اطلق علماء الجغرافيا متاخرا اسم (تريـــوليى) علـــى ولاية طرابلس، والاسم فى لغته (يونانيا) ويعنى المدن الثلاث، وصارت الاسماء (رازاكيوم وسيرينايكا وجارمنتى وسيرتيكا) تعنى تونس وبرقة وفزان، اما تريبوليتانيا وقد تغير نطقها فصارت طرابلس الغرب، وهذه الاخيرة كان يطلق عليها اسم (ليبيا البحريـــة) في عهـــد الامبرطور(ادريان) وفى عهد الامبرطور (قسطنطين) اطلق اسم ليبيا على القسم الشـــرقى من طرابلس فقط (وطرابلس تعنى منطقة طرابلس كلها، أي الولاية وليس المدينة) ويعرف الان هذا الجزء بالصحراء الليبية الكبري، وظهرت تسمية اخرى وان لم يتم تداولها كـــثيرا هي (ليبيا العليا وليبيا السفلى، سيرانيكا ومرمريكا) وقبل ان يطلق اسم تريبوليتانيـــا علـــى طرابلس كان اسمها (اويا) ويليها (صابراتا) او صبره) ثم (لبتس) او (لبده) كمـــا تعـــرف الآن، أي طرابلس والعجيلات والخمس حاليا، والمدن الثلاثة كانت اشهر مدن ليبيـــا، او قل افريقيا لأنها تقع على الساحل وكانت مراكز تجارية هامة، ونعرف من التاريخ ان اول

من سيطر على طرابلس هم (الفنيقيون) وكانت فى وقتهم تسمى (وايات او فايات) ومعناها باللغة الفينيقية (سوق القمح) وعندما استولى اليونانيون او الاغريق على القسم الشرقى من ليبيا بدأوا بانشاء بعض المدن ومنها (كيريني) المدينة الرائعة فى الجبل الاخضر، والآثار العظيمة الان، وقد سموا بنغازى باسمها لروعتها (وبنغازى تعنى فى ذلك الوقت، برقة، سيرينايكا) ولان المدن الثلاث كانت منافذ افريقيا فقد كانت الصراعات تدور خولها دائما، وهكذا فقد استولي عليها القرطاجيون عندما انهارت دولة الفينيقيين وبذلك اصبح هؤلاء السادة الجدد يسيطرون على التجارة الى افريقيا ومنها، فقد كانت هناك طرق ثلاث على السواحل الليبية :

١ الطريق من (وايات اى طرابلس) الى جارمانتى، فزان)

٢ الطريق من (تاكابى أي قابس) الى سيداموس، غدامس)

٣ الطريق من (ليبتى أي الخمس) الى صحراء تيبستى)

وتبعا لهذا فقد كان التجار القرطاجيون يجلبون من دواخل افريقيا (الذهب والعاج وريش النعام والابنوس والحجارة الكريمة وكذلك الرقيق، فقد كانت تجارة العبيد من التجارات الرابحة) وكانوا يستبدلون السمك المملح والاسفنج والصبغة الحمراء بالقنب والزيت والخمور . ثم دارت الدوائر كما هى العادة فى تاريخ البشر وانهزم القرطاجيون فى معركة (زاما) امام الرومان وبذلك انتقلت طرابلس الغرب من يد لاخري وقد سموها ولاية طرابلس وكانت بلاد غنية وعامرة تزود روما بضرائب سنوية اهمها زيت الزيتون، وقبل الحملة التى قام بها (لوتشيو كورنيللو باولو) وكانت سنة ١٩ قبل الميلاد) غيّر الرومان فى اسماء المدن الثلاث ربما لاعطاء طابع رومانى وقد بقيت فعلا تلك الاسماء حتي يومنا هذا وهى (ليبتس مانيا اويا سابرتوا) وقد احتلت جيوش

الرومان بقيادة (لوتشيو المذكور) (فازانيا فزان) و (سيداموس وغدامس) حيث جعلت روما من لوتشيو بطلا واقامت التماثيل له واقواس النصر بتلك المناسبة فى كل مكان (وربما يكون الجنرال ادولفوغراتسيانى) يشير الى ذلك عندما وقف يتحدث الى جنوده بعد ألف وستمائة وخمسون سنة فى بنغازى عندما قال، ايها الفتيان لقد تسلمتم اليوم بنادقكم، انما البنادق التى ستستخدمونها دفاعا عن ايطاليا التى نحبها جميعا ومن اجل تعزيز جبروتها عليكم ان لا تنسوا لحظة واحدة بانكم ايطاليون رومانيون تقاتلون، البرابرة فكونوا رحيمين معهم، ولكن كونوا دائماً اسيادهم، تذكروا إنكم رومانيون .

ويضيف المؤلف الايطالى الذي حضر الحفل واورد نص الخطاب قائلا : –

ورفع الجنرال غراتسياني يده مشيرا الى العلم الايطالى المثلث الالوان وقال، ان الراية الايطالية تخفق مجددا فوق هذه البلاد ،وستظل الى الابد عاشت ايطاليا وردد الفتيان باصواتهم القوية ،عاشت ايطاليا، وعزفت الموسيقى من جديد وانشدوا النشيد الفاشى وهم يسيرون واتخذت كتيبة من الاريتيرين مكانها خارج مقر الحكومة وخرج الجنرال غراتسيانى الى الشرفة وخطب فيها وكان احد المترجمين ينقل كلماته الى لغتهم ... قال، جنودي البواسل من اريثيريا انتم الذين رافقتموني خلال المعارك فى طرابلس ضد مرزق وفزان، انتم الذين تحاربون الى جنبي من اجل ان يخفق النّصْر الايطالى بجناحيه مرة اخري فوق ارض ليبيا الرومانية، اقبلوا شكر قائدكم على كل ما قمتم به ان معارك جديدة، تنتظركم وانى لواثق من انكم ستحرزون النصر الى جانبنا نحن الايطاليين الذين نعتنق الدين الذي تعتنقونه انتم لنهتف معا عاشت ايطاليا ومستعمرتها اريتيريا، ورفع الجنرال غراتسياني يده بالتحية الفاشية ورد الضباط الايطاليون الذين كانوا واقفين وسط القوات السوداء الهتاف الذي كان شبيها باصوات الغربان، ويضيف، شاهدنا الاعلام المثلثه الالوان

علي جميع الابنية الرسمية، والشباب الفاشيستي بقمصانهم السـوداء يسـيرون فى عـرض الشارع منشدين النشيد الفاشيستي، وفى كل مكان علق الشعار الفاشيستي مع تاريخ السنة الجديدة التي بدات فيها الفاشيستية (ANNo massoIini vllll) السنة الثالثة عشرمن عهـد موسوليني، اما الجذران فقد رسم عليها جميعا رأس الذكتاتور باللون الاسـود، وبـدت مجموعة من رؤوسى الموت، وكل رأس وضع شعار (من ليس معنا فهو ضدنا) ....

هكذا تحدث الكاتب الايطالى فى كتابه (ليبيا ارض الميعا د) وكذلك تحدث الجنـرال (غراتسياني) قائلا انها ارض ليبيا الرومانية !! ولكن حمدا لله انها لم ولن تكون رومانية بـل عربية ليبية خاصة ... ولكن رغم غطرسة الرومان والحكم الذي سيبقى الى الابـد فقـد ضعفت حكومة روما وظهرت ثورات فى المنطقة وقد استغل اهل البلاد ذلك الضـعف والانحلال وبداؤا يهاجمون حاميات الرومان، وحدث ان احتل (الأوسيريانيين) لبذة سـنة ٣٦٦م وتبع ذلك تداعي بقية المدن حيث دخلت ضمن ملكهم وفي سنة ٤٣٩ م تمكنت قبائل متوحشة من احتلال الشمال الافريقى كله، وهؤلاء يسمون (الوندال) وعلى الرغم من المقاومة العنيفة التي قام بها السكان المحليون حيث كان بينهم زعـيم وطـنى يسـمى (كاباأون) فان سلطة الوندال قد استمرت وان لم تكن شاملة البلاد كلها حتى سنة ٥٣٣ م حيث انهزموا فى معركة (تركيامرون) امام البزانطيين وبذلك تكون طرابلس ومنطقة شمال افريقيا كلها قد دخلت تحت حكم البزانطيين او الدولة البيزانطية ،وكان حكم الوندال جائرا مخربا، وعلى خلاف المحتلين السابقين فان البزانطيين ابقوا فقط بعض القوات فى البلـدان والحصون الواقعة على السواحل الافريقية بينما تركوا الدواخل تحت سيطرة السكان المحليين وكلفوا مشائخهم بتحصيل الضرائب وتجنيد المطلوبين للخدمة العسكرية، وكان هذا شبيها بفترة توسع الرومان فى افريقيا على عهد (ماترنر ونسونتو٣٧م) حيث منحت مدن (لبده

واويا ومبراته) الحكم الذاتى ربما لانها كانت تمثل منافد أفريقيا أعطائها بعـض الامتيـازات يجعلها أكثر ولاء ،وما استنه البزانطيون قبل منتصف القرن السادس ولقد نتج عـن سياسـة البيزانطيين او ربما تراخيهم ان برز قادة وملوكا محليين مثل (كسيله ابن ملز) ثم بعـده تلـك المرأة التى تسمى (هيا) ولقد لقبّت وعرفت باسم (الكاهنة)لأنها كانت ذات كياسة وسياسة وقيل انها تتنبا بالغيب وهى من قبيلة (أوربه الليبيه البربرية) وكان هؤلاء هم السكان المحليـون مع قبائل بربرية اخرى مثل (لواته وهواره وزناته ونفوسه الخ) وعندما دخل ألاسلام كـان اغلبهم وثنيون وبعضهم نصارى ...

ولقد حكمت الكاهنة مدة ٣٥ سنة قادت فيها الكثير من المعارك التى انتصـرت فى اغلبها، وكانت البلاد تواجه اضطربات كثيرة حيث حدثت انتفاضات وثورات عديـدة وربما كان ماقاله الخليفة(عمرالفاروق) كما لوانـه نبـوءه عنـدما اسـتأذنه(عمـربن العاص)فى الزحف على افريقيا وكان قد حدث ان دخلت (فتحت) طرابلس الغرب ضمن الاملاك الاسلامية عامى (٢٢- ٢٣ هجرية) وكانت برقة وطرابلس تابعتين للا مبراطورية الشرقية، وقد هزم الجيش الاسلامى بقيادة عمرو بن العاص البيزانطيين وبسـط السـيطرة الاسلامية حيث انشأ اول مركز قيادة أسلامى فى طرابلس (سيدى الشعاب حاليا) فعندما طلب عمرو بن العاص الاذن بفتح افريقيا أجاب الفاروق (هذه البلاد ليسـت افريقيـا، ولكنها مفرقة وغداره، سوف لايذهب الى غزوها أى واحد مـن المسـلمين فى زمـن خلافتى، لأنى سمعت رسول الله عليه الصلاة السلام يقول ان افريقيا للأفـريقيين ماؤهـا يبعث القسوة فى المسلمين وتتبدل فى الحال اخلاق شاربيه)[١] ولذلك تأخر فـتح افريقيـا على الرغم من ان عمرو بن العاص كان راغبا فى ذلك الفتح وربما كانت ارادة الله تقضى

١ تاريخ طرابلي الغرب، تأليف محمود ناجي ١٢٦

بان يفتحها بعد عمرو بن العاص (عبد الله بن ابى سرح) وليس فى عهد عمر بن الخطاب وانما فى عهد عثمان بن عفان، وعبد الله بن ابى سرح شقيق الخليفة عثمان بالرضاعة (رضى الله عنهم جميعا) وكان بن ابى سرح واليا على مصر ...

وعندما زحف الجيش الاسلامى الذى جهزه الخليفة على افريقيا وكان بين افراده المقاتلين (عبدالله بن الزبير وعبد الله بن عباس والحسين بن على وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمرو بن العاص) ووصل هذا الجيش الى مصر سنة (٢٦ هجرية) اندمج معه جيش المسلمين فى مصر حيث توجه الجيشان الى افريقيا سنة (٢٩ هجرية)وقد التحق الجيش الاسلامى وكان عدده حسب ماذكرت المصادر التاريخية (٢٣ألفا) بقيادة عبدالله بن ابى سرح بينما كان جيش البيزانطين عدده (١٢٠ألفا) وقد تحقق للمسلمين النصر على ذلك الجيش اللجّب خلال ايام اذ تفرق الجيش البيزانطى مند اليوم الاول، وبعد هذا النصر المؤزر دخلت افريقيا كلها ضمن املاك المسلمين(او أدخلت) وقد توالى على افريقيا قادة مسلمين عظام، عظام فى الحنكة السياسية وعظام فى الدين والاخلاق والمثل والرأفة، جميعهم تخلّقوا باخلاق الرسول العظيم محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام ،وكان البارزون فى الحملات الاولى عددهم سبعة، وكان الفاتح الاول عمرو بن العاص فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب، ولقد انشأ قيادته فى برقة ثم فى طرابلس (سيدى الشعاب) سنوات (٢٢ ٢٣ هجرية)...

و لم يسمح له بفتح افريقيا كما ذكرنا، ثم جاء عبد الله بن ابى سرح فى عهد الخليفة عثمان بن عفان وصارت قيادته فى برقة وطرابلس وتونس سنة (٢٩ هجرية) ثم قام بما لم يسمح به لعمرو بن العاص ففتح افريقيا (اى اتجه الى الجنوب بدلا من الساحل وبعد ان ثبّت قيادته فى مدن الساحل الافريقى، كما قلنا ،(برقة وطرابلس وتونس) وانشأ قيادة فى

غدامس سنة (٤٢ هجرية) ثم فى زويلة سنة (٤٣ هجرية) ثم جعلها فى برقة وزويلة سنة (٥٥ هجرية) ثم عندما حدث الخلاف بين على ومعاوية وتضعضع حال المسلمين وقد اضطربت الامور واختلف الناس بينهما،،كان ذلك من اجل الخلافة (لعله الاسفين الذى دق منذئذ) استغل سكان افريقيا الفرصة وقا موا بعصيان واعلنوا على أثره استقلالهم وهب البيزانطيون لنصرتهم بجيش كبير قوامه ثلاثون ألفا وهكذا حال الغازى الاجنبى فهو لابد ان يستغل الفرصة كلما سنحت لتأييد هذا الطرف ضد الاخر خدمة لمصالحة هو وليس من اجل المواطنين، وربما لم تكن نظرية (فرق تسد) من لدن الانجليز كما عرف فى العصر الحديث وأنما هى قديمة قدم الخير والشر، ورغم ذلك فقد كان النصر حليف المسلمين بقيادة (معاوية بن خديج) الذى امره معاوية بن ابى سفيان (وبذلك انتهت نوايا ومؤامرات البيزانطين الى الابد) وفى عهد معاوية جاء عقبة بن نافع وكانت اعماله عظيمة لأنه اول من جعل الاسلام فى افريقيا عاما ،ونقل قيادة جيوش المسلمين من برقة وزويلة الى القيروان،وكانت قيادته فى افريقيا على فترتين، كانت الاولى التى نقل فيها قيادة الجيوش الاسلامية الى القيروان سنة (٥٥ هجرية) وفى عهد يزيد بن معاوية جاء ابى المهاجر مولى ولكن بعد تعيينه مباشرة حد ثت اضطرابات وتمرد بقيادة (كسيله) الذى كان عقبة بن نافع قد جعله هو وقومه فى أمرة المسلمين، ولما لم يتمكن ابى المهاجر هذا من التغلب على الفتن اعيدعقبه بن نافع مرة أخرى لقيا دة المسلمين فى افريقيا ،وفى هذه المرة قتل عقبة بن نافع بواسطة جنود (كسيله) الذى استطاع تأليب قومه وهو ملكهم ضد المسلمين لأهانة لحقت به من طرف عقبة بن نافع، وبعد مقتل عقبة بن نافع جاء زهير بن قيس لقيادة افريقيا ولقمع التمرد الا انه لم يوفق فى ذلك فتم تعين حسان بن النعمان واليا وقائدا لجيوش المسلمين فى افريقيا، وبا ستعداد واقتدار وحنكة استعاد القيروان وهزم المتمردون كما قتل (كسيلة) وبعد مقتل كسيلة تولت (الكاهنة) قيادة المتمردين وجهزت

جيشا كبيرا وقادته ضد المسلمين فى قتال عنيف حيث اضطرهم سنة (٧٩ هجريـــة) الى التخلى عن القيروان وألالتجاء الى مصراته وتاورغاء (وذكر المؤرخون) ان هذه الكاهنة قد امرت بتخريب الحصون واقتلاع الاشجار وردم الآبار وتخريب كل ما يمكن ان يســاعد اى جيش على العودة ،وفى هذه الفترة تولى الخلافة عبد الملك بن مروان وعين حسان بن ثابت لقيادة افريقيا وقد زوده هذا الخليفة بجيش قوى حيث هزم الكاهنة وقتلها وقد بعث برأسها الى الخليفة فى دمشق (وذكر بعض المؤرخين) فى هذا الامر اذ يقول البعض انهــا انتحرت بعد ان هزم جيشها و لم تقتل، والامر سيان، فقد ارسل رأسها الى الخليفة وبذلك بسط المسلمون سلطا نهم على كل البلاد ....

وفى ولاية القائد السابع موسى بن نصيروهو الذى فتح ابواب اوربا للمسلمين حيث كان قد أمر طارق بن زيادلأقتحام المحيط بحيث يكون رأس حربة للفـــتح الاســلامى فى اوربا، وفى عهده نظمت اوضاع افريقيا الشمالية بحلول السنة الهجرية (٨٨) حيث توزع الادارة على اساس اقليمى وسماها أفريقيا الشمالية اى (طرابلس الغرب وتونس والمغـــرب الاوسط الجزائر والمغرب الاقصى) وقد عين لكل منها عاملا يتولى شئونها، وكـــان اول عامل فى عهده لطرابلس الغرب هو (بكر بن قيس) وقد جاءهـــا ســـنة (٩٦ هجريـــة) واحدث موسى بن نصير فى أيالة شمال افريقيا اى (برقة وطرابلس وفزان) نظامـــا اداريـــا شبيها بالنظام المتبع فى ادارة الدول الحديثة من حيث الواجبات فى العمل والنظـــام المـــالى (جباية وصرفا) كما عمم بشكل منظم الدين الاسلامى وأقام المدارس وانشأ الكتاتيـــب لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم اسس الشريعة الغراء،كان شجاعا وغيورا وصاحب قـــدرة عسكرية قتالية فذة، على ان ما قاله عمر بن الخطاب كان فى الواقع صـــوابا اذ كانـــت الانتفاضات والتمرد والثورات متتالية فما تهدأ منطقة حتى تثور الاخـــرى الى درجـــة ان

المتمردين صلبوا واعدموا عامل الولاية (بكر بن قيس)) وفى سنة (١٢٤ هجريـــة)) اى فى اواخر حكم هشام بن عبد الملك قتل من الطرفين مايقدره المؤرخون بمائة وثمانين الفا، كان نداء (الله أكبر) هو مفتاح معارك المسلمين فى كل مكان، وكانت هذه الصيحة هى البداية فى فتح طرابلس الغرب، فقد ذكر ان عمرو بن العاص عندما استعصت عليه مدينـــة طرابلس هذه وقد عسكر فى منطقة (سيدى الشعاب) امرَ احد رجاله ويدعى (المـــدلجى) بمهاجمة المدينة من الجنوب وعندما يدخل عليه ان يرفع صيحة (الله أكبر) فنجح (المدلجى) وعندما اطلق تلك الصيحة اقتحم القائد العظيم المدينة فاحتلها المسلمون .

هذه لمحة استطلاعية تارخية على البلاد التى ناضل من أجلها هؤلاء الرجـــال بعـــد مرورحوالى ألف ومائتى سنة هجرية عندما جاءتها إيطاليا غازية رأينا انها قد تكون مفيـــدة للقارىء ولتكتمل الصورة الأستطلاعية فكان لبد من الحديث عن السكان المقيمين فيهـــا والوافدين اليها واحوالهم ..

السكان ،، من المفهوم ان الهجرات التى تحصل اسبابها كثيرة، طبيعية وغير طبيعيـــة، لذلك فان اختلاط واندماج بنى البشر بالسكن والتزاوج والغزو والاحتلال جعل المؤرخون يجزمون بانه ربما لايوجد شعب واحد يتكون من جنس واحد اصيل بعد سيدنا نوح عليه السلام، ولعل الأمر يتعدى ذلك الزمن، فيقول البعض انه لايوجد ذلك الجنس ذى الاصل الواحد النقى بعد سيدنا آدم عليه السلام وقابيل وهابيل، وبلدنا مثلها مثل بلدان العـــالم، كما اننا كذلك مثل اجناس العالم جئنا من مختلف بقاع الدنيا ، وان كان من المقطوع به ان ليبيا التى تقع فى الشمال الافريقى كانت منذ ما قبل التاريخ مسكونة بالناس، ولقد جاء ذلك التأكيد من خلال الحفريات ونتائج بحوث ودراسات علماء الأثار والأحياء، وكمـــا اوردنا فان العالم كان يعرف بقارات ثلاث (أ سيا وليبيا اى افريقيا واوربـــا) وجـــاء فى

دراسات بعض المؤرخين ان منشأ هؤلاء الناس واحد وهو (اسيا) وقال المؤرخ اليوناني (هيرودوت) ان ليبيا اسم امرأة محّرف ومأخوذ من كلمة (لوب) العربية التى تعنى ارض معطشة، وقيل ان افريقيا انما هى نسبة الى اسم الملك (افريقش بين قيس بن صيفى) واختلف المؤرخون فى اصل السكان الليبيين اهل البلاد كما اختلفوا فى كلمة (بربر) وكان ابن خلدون قد تحدث مطولا عن هؤلاء الناس وقسمهم الى اربعة قبائل (هواره نفوسه زناته لواته) وكلمة بربرقيل انما جاءت على لسان (افريقيش بن قيس) اذ انه عندما استولى على المغرب وجد سكانه يتحدثون بلهجات مختلفة فقال (ما أكثر بربرتكم) كما قال أخرون ان البربر عربا وخاصة (لواته وزناته) اللتين تنحدران من (بنى حمير اليمانية) ومن القبائل الاربعة هذه تفرعت لحمات وقبائل اخرى ربما يأتى ذكرها فيما بعد، اما العرب فقد استقروا بشكل نهائى واختلطوا بالسكان، بل ان السكان المحليين اندمجوا معهم خلال الفترة الثالثة مع نزوح العرب عن جزيرتهم العربية اما فاتحين أومهاجرين، والمعروف ان اول عهد العرب با لشما ل الافريقى ووسط افريقيا وجنوبها وغربها كان بداية الفتح الاسلامى فى مطلع القرن السابع الميلادى، ثم حصلت هجرة عربية فى اتجاه الغرب خلال القرن التاسع الميلادى وكانت هجرة الى مايسمى تعريفا (الشمال الافريقى) وجاءت الهجرة الثالثة فى مطلع القرن الحادى عشر الميلادى اى هجرة بنى سليم وبنى هلال، وهذه قبائل عربية كبيرة احتلت الشمال ألافريقى بتشجيع من طرف الحاكم الفاطمى (المنتصر بالله) الذى كان يحكم مصر انئذ ونعرف من خلال احداث التاريخ ان الهجرات حدثت فى البداية من الشرق الى الغرب ثم صارت من الغرب الى الشرق فى بداية انحلال الدولة العربية الاسلامية هناك وبعد سقوط الاندلس، وان هاتين القبيلتين عندما احتلتا المنطقة حدث ان بنى سليم لم يتجاوزوا غرب تونس وبالتالى فانهم استقروا فى مختلف مناطق ليبيا وبعض اجزاء من الجزائروشرق تونس، ويرجع اصل القبائل العربية الليبية فى الغالب الى

هذه القبيلة وبا لتحديد الى اربعة بطون من بنى سليم هى (زغب وذباب وعوف وحبيب) ولانعتقد اننا فى حاجة الى ذكر هذه القبائل لأن ذلك لا يدخل ضمن موضوع كتابنا هذا وقد تعّرض اليه بعض الذين كتبوا فى اصل القبائل الليبية، وعلى هذا ألاساس فان الليبيين كغيرهم من الشعوب تكاثروا وتكونوا من امتزاج واختلاط واندماج اقوام عديدة ويمكن التأكيدعلى انهم (بربر وعرب وزنوج واتراك وشواكسه وألبان وأكراد ولازين وأغريق وطليان) اما اللغة السائدة هى اللغة العربية القرشية اى لغة القرآن الكريم التى تغلبت على جميع اللغات او اللهجات الاخرى التى كانت متداولة مثل البربرية والسواحيلية، ويمكن ان يقال أن البربرية ماتزال مستعملة فى بعض المناطق،كذلك هناك لكنات اخرى محّرفة من العربية، ومع ذلك فأن اللغة العربية هى لغة المخاطبة والكتابة والتعليم وان الدين إسلامى والمذهب سنى ما لكى،وكان الاسلام قد سا د وترسخ بشكل نهائى كما ذكرنا فى عهد الفاتح العربى (موسى بن نصير) اما المذهب السنى المالكى فقد اخذ به فى عهد دولة بنى زيرى بن باديس ...

وكان اهلنا الذين جاؤا من الجزيرة العربية (بنى سليم وبنى هلال) قد استقروا لفترة من الوقت فى صعيد مصر ثم زحفوا كما ذكرنا على الشمال الافريقى بتشجيع من الحاكم الفاطمى الذى كان يخشاهم وكان قد ملهّم ربما لعدم طاعتهم وخروجهم على القانون باعتبار أنهم بدو رحل، ولقد عمل خيرا حيث انهم كانوا السبب فى جعل العروبة والاسلام اصلا وعقيدة، إنتماء وايمانا، دما وروحا، وكانوا اهل بادية خبروا الصحراء وتحملوا شظف العيش وقاوموا الصعوبات، بيوتهم الشعر ومفرشهم ان وجد الحصير واثاثهم الرحى والقدر ولباسهم الجرد والرداء(وفى شأن اللباس إ يضا هناك اختلاف بين الذين أرخّوا لتلك الفترة اذ هناك من يقول ان الجرد بالذات رومانى اوتركى.. الخ)

وكانت حالهم حل وترحّل لايستقرون الا حيث يوجد الماء والكلأ، وقد جاء بعدهم اقوام آخرون،عرب مسلمين جاؤا هذه المرة غير مهاجرين وانما مطرودين فقد حدث بعد افول نجم الدولة العربية الاسلامية فى الاندلس وتساقط البلدان التى كانت تحت حكم المسلمين فى تلك الجزيرة الواحدة بعد الاخرى ان طرد المسلمون من هناك وربما لم يحدث فى تاريخ البشرية ابشع مما فعل الملك (فرديناند) فى المسلمين، ولقد حدث هربهم من الاندلس بين سنوات (١٢٣٨م ١٣٠٠م) وكانت (بلنسيه) قد سقطت سنة ٦٣٦ هجرية(١٢٣٨م) وقبلها قرطبة سنة ٦٣٣ هجرية (١٢٣٥م) وسقطت (أشبيليه) بعد ذلك سنة ٦٤٦ هجرية (١٢٤٨م) اى ان جميع المدن قد سقطت قبل نهاية القرن الثالث عشر الميلادى فيما عدا (غرناطة) التى حاصرها الملك (فرديناند) لمدة سبعة اشهر سنة (١٤٩١م) وقد استسلمت ضمن شروط ولكن الملك عندما دخلها لم يحافظ على تلك الشروط او العهد الذى اعطاه، واستولى فى يناير سنة(١٤٩٢م) على قصر الحمراء و لم يبق على تعهده الا ثمان سنوات ثم قام باصدار قرار الطرد الجماعى سنة (١٥٠٥ م) وكان قرارا ظالما ومجحفا وقد تضمن الشروط التالية :

١- كل من بلغ سن الرابعة عشرة من الذكور والثانية عشرة من الاناث يطردون .

٢- ان يترك الجميع اسبانيا خلال شهر ابريل ١٥٠٥ م وعدم العودة اليها (اى ان المدة التى يجب ان يغادروا فيها ثلاثة شهورفقط) .

٣- ان تقتصر الهجرة على بلاد غير اقاليم المغرب وبلاد الاتراك وتبعا لهذا فقد كانت وجهة المطرودين (طرابلس وبرقة ومصر وبلاد المشرق العربى)

وكان قرار ملك اسبانيا يقول بطرد المسلمين الذين لم يتنصروا اى لم يتحولوا عن دينهم الاسلامى، إما القرار الثانى فقد كان طرد كل العرب والمسلمين وكان يقول

(لايسمح لأحد بأن يحمل اى شئ الا ما كان على البدن ولا يجوز لأحد بيع اى شئ او اهداء اى شئ) ..

وبعد تلكم الاجراءات (الميز العنصرى والتفرقة الدينية والجنسية) تطلع الاسبان الى التوسع والاحتلال، ففى سنة ١٥١٠ م يوم الخميس ٢٥ يوليو وهو يوم عيد القديس احتل الاسبان طرابلس بواسطة جيش كبير ارسله الملك (فردينانند) وطرد الحفصيون من المدينة ثم قام بطرد المسلمين كأنما اراد ان يكرر فى افريقيا فى بلاد المسلمين ما فعله فى الاندلس !! ولقد استمر حكم الاسبان للبلاد عشرون سنة وفي سنة ١٥٣٩م سلم الملك (شارل الخامس) مدينة طرابلس (لفرسان القديس يوحنا) الذين يقال عنهم الآن انهم فرسان مالطا وهم فى الحقيقة ليسوا كذلك اصلا وإن كانوا قد اقاموا فى مالطا، وبعد ذلك خلّص بلاد طرابلس من سيطرة فرسان القديس يوحنا (باربَاروس خير الدين باشا) اى فى سنة ١٥٣٣م لكن شارل الخامس استعادها ثانية سنة ١٥٥١م واهداها مرة اخرى(للقساوسة) ثم خلصهاالقائدان التركيان (دورغوث باشا وسنان باشا) هذا باختصار ما يتعلق بالسكان ولقد اردت ان اشير الى موضوع احتلال الاسبان لطرابلس فقط لأننى اردت ان انبه مواطن ليبى قال لى ذات مرة انه سمع ان قبيلته من (اصل مالطى) وان ذلك يعود الى عهد (فرسان القديس يوحنا) وهذا قول فيه اجحاف شديد واسقاط لا يمكن القبول به تاريخيا ذلك انه اذا كان الاحتلال المؤقت يكّون الاجناس والقبائل فالاحرى ان نقول العكس لأن العرب هم الذين احتلوا (مالطا) قبل عهد(فرسان القديس يوحنا) بزمن يزيد على ستة قرون ونصف القرن،وان تلك القبيلة التى ذكرها انما هى قبيلة عربية من بنى سليم فخذ(ذباب) ولست فى حاجة الى ان اذكر اسم القبيلة او القائل، على اننى اريد ان اؤكد ان

ماذكرته لا اريد به الاساءة الى جيراننا المالطيين أما قصة أحتلال الأسـبان لبلادنـا فهى معروفة فقد كانت بسبب التهاون وعدم الاستعداد والتفرق وهى معروفة لكل من قرأ تاريخ تلك الفترة.....

٢

الغزو الايطالى ،،

بـــدايـــة الـغـــزو

الـخـيـــارات

الـعـزم

المـعـــارك الاولـــى

****

قــال تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾

صدق الله العظيم

الانبياء — ١٨ —

****

وقال الشاعر :

فحمــر وسود حالكات كأنها ... سوام بنى السيد ازهقته القوائم

يزان لها الطعن فى حومة الوغى ... اذا زينت للعــاجــزين الهزائــم

وفيها اذا ما ضيّع النحس غيرة ... تصان بها المستضعفات الكرائم

2

الباب الثاني

الغزو الإيطالى

الفصــــل الثا نــــى

الغزو الايطالـــى

لغة العرب هى وعاء الشعر ولهجة العامة كذلك، والشعر يعــبر عــن المعــانى الوجدانية كالفرح والغضب والخوف والحزن وألالم، وكذلك الانفعالات النفســية كالانيــن لــدى المريض والضجر وتأوه ألاسيف، والعرب هم اهــل الشعــــر فى حياتهم وسلوكهم ومعتقداتهم،وكان شعر العرب فصيحا اوعاميا متجاوب الاصــداء على قمم الجبال وحنايا الوديان كان يترددعلى الشفاه ذكريات وطنية وبطولات يفخر بها الجيل وتضحيات يعتز بها الوطن والمواطن، لقــد كان فــناً من الفنون ولكنــه سلاح بتار فى الهجاء والمــدح والغزل والرثاء والتاريخ، وكان حِكَمــاً ومــداعبات ومواعظ، وكمثال لدى هذه المداعبة وهى حكمة فى ذات الوقت جاءت فى قصــيدة طويلة للشــاعر الشعبــى السيــد (غيــث محمد الزنتانــى) اريــد ان يــدأ بهــا هذا الفصل .. **يــقــول** :

اليوم لمبسيســى جابــدا كميــه	أوقالت انــا ســيدة الــبر عمــوم
الفيران قالوا كـــوّنوا جمعيــة	القطّوس جــبرى لصــغانا إيــروم
وللضبع فورى وجهــوا برقيــة	حمــير الغنم قــالوا إيمــوت اليــوم
والصَّــل فيــه إتلــز زلموميــه	مكمـــوش فى دارا بــدا مهمــوم
والعقاب شارق حالتــا دونيــه	من ظيــم الأرانــب بــدا مظلــوم

الصقرحامت فى مكانا إحّديه	كامشا طوارى فى البلاد اتحوم
والغراب قال الراى للاغلبيه	راهى التيجا فى سواد القوم

اذا كنا قد بدأنا هذا الفصل بالابيات الشعبية اعلاه فانما ذلك للدلالة على غطرسة الايطاليين الذين مازالوا يحلمون با مجا د روما وربما دون ان يدركوا ان الزمن قد تغير كثيرا وان عقلية القرون الوسطى لم تعد صالحة لهذا الزمان كما ان الشعب الصغير وان كان فقيرا ومتخلفا يمكنه الدفاع عن حريته ودينه ووطنه، وهو ما فعله بجدارة الشعب الليبى ..

وبداية المطامع الايطالية لم تكن وليدة وقتها، اى وقت الغزو الذى حدث فى نهاية سنة ١٩١١م، لقد كانت تلك المطامع قديمة ومترسخة وكانت ايطاليا ضمن اولئك الذين حفروا قبر الرجل المريض (الاسم أطلق على تركيا فى اواخر ايام الدولة العثمانية) ونعلم ان الانذارالايطالى الذى وجه الى تركيا بشأن ليبيا تذرعا بخطورة الوضع فى هذه الاخيرة بالنسبة للرعايا الايطاليين قد صدر فى (٢٦ سبتمبر١٩١١م) وبعد اجتماع سرى خاص عقد فى (٢١سبتمبرمن نفس السنة)حضره الوزراء الاربعة المختصون(الخارجية والبحرية والمالية مع رئيس الحكومة، رئيس الوزراء) درست فيه الامكانيات العسكرية والمالية استعدادا للعمل المزمع القيام به، وكان رئيس الوزراء (جوليتى) قد تلقى مذكرة من وزير الخارجية فى اول سبتمبر (وزير الخارجية السيد دى سان جوليانو) يتحدث فيها عن احتمالات القيام بعمل عسكرى ضد ليبيا، وبعد منتصف سبتمبر ارسل (جوليتى) برقية الى رئاسة اركان الجيش يحثها على الاسراع فى التعبئة العامة والاستعداد للحرب، كما ان رئيس مجا س الوزراء وضع خطة لاحتلال ليبيا، و لم

تنتظر ايطاليا اكثر من اربعة وعشرون ساعة بعد انذارها لتركيا حتى بدأت حملتها العسكرية وكان الرد التركى على الانذار الايطالى مائعا (سنورد نصه حرفيا فيما بعد)وذكر المؤرخون ان ثلاثة اطراف اساسية كانت وراء تغير السياسة الايطالية الى سياسة حرب وهى (رجال المال والاعمال ورجال الصناعة والنقل البحرى ورجال الدين) ذلك ان مصالح هذه الفئات تلتقى فى مسألة التوسع والحرب، وهذه الفئات هى التى جعلت الملك الايطالى(فكتور عمنويل الثالث) يقدم على قرار الحرب، على اننا نلاحظ من خلال دراسات اخرى ان الإساس هو تقطيع الوطن العربى بين الدول الاوربية وما كان يمكن لايطاليا ان تبقى دون حراك ويذكر انها اتفقت مع فرنسا بالذات على تبادل اطلاق الايدى، هذه فى ليبيا وتلك فى تونس الخ ....

وبعد ان اعلنت ايطاليا الحرب على تركيا مباشرة (وكان المقصود عمليا هى ليبيا) على الرغم من المؤامرات التى حاكتها الدول الاوربية ومنها ايطاليا ضد الباب العالى بخلق تلك الانتفاضات التى حدثت فى منطقة البلقان، بدأت البحرية الايطالية بعد اعلان الحرب بالهجوم على طبرق وطرابلس وقد تمت العمليات البحرية بنجاح اذ لم يكن لليبيين قوة بحرية ولا استطاعت القطع البحرية التركية التصدىلأن الموقف التركى لم يكن حاسما (ربما كانت تركيا تريد تسوية المسألة الليبية سلميا تفاديا لمزيد من المشاكل والتعقيدات) وبعد ذلك تم انزال قوات الجيش على الشواطىء الليبية(بنغازى ودرنة والخمس) اى ان الاهداف كانت اثنتان للبحرية وثلاثة للجيش، وكانت البحرية الايطالية قد ضربت حصارا على كل من طبرق وطرابلس قبل اعلان الحرب مباشرة، فقد اعلنت الحرب يوم

(٢٩ سبتمبر ١٩١١م) وفى حين كانت الشواطىء محاصرة والاتصالات بين طرابلس والعالم الخارجى مقطوعة، واسندت قيادة البحرية الايطالية فى هذه العملية للادميرال (فارافللى) وفى الثانى من اكتوبر ١٩١١م قدم هذا انذارا لأحمد نسيم بك الذى يقوم مقام الوالى التركى فى طرابلس يطلب منه ضرورة التسليم واخلاء المدينة، ولكن ذلك لم يستجاب له لأن احمد نسيم لم يتلق الاوامر من الباب العالى وقد اورد الشيخ الطاهر الزاوى رحمه الله فى كتابه (جهاد الابطال) الوضع على النحو التالى [1].

فى اليوم الثانى من اكتوبر ارسل قائد الاسطول الى وكيل الوالى (الدفتردار) الاميرال(فافاريلى) [2] فى بارجة حربية ومعه قنصل ايطاليا فى طرابلس ليطلب منه تسليم المدينة فى الحال واخلاءها من كل ما يعيق الجيش الايطالى فى نزوله الى البر، ويقول الشيخ الطاهر الزاوى، كنت حاضرا انا وجمهور كبير من الطرابلسيين واقفين بقرب دار الحكومة(السرايه الحمراء)حينما تقدت بارجة الاميرال (فافاريلى) ونزل منها وصعد الى وكيل الوالى، وكان نشأت بك وهو اركان حرب الجيش العثمانى فى طرابلس مع الدفتردار فأجاباه بانهما لم يتلقيا أمرا من الباب العالى بالتسليم وانهما يريان تأخير المسألة وديا فلا فائدة من اراقة الدماء فرفض الاميرال الايطالى ذلك وقال، مسألة الاسطول والجيش تتعلق بكرامة ايطاليا والامر الذى صدر لايمكن مقارمته وسيبدأ الحرب عما قريب فرد وكيل الوالى ونشأت بك بما يلى:ـ

ان جيش طرابلس وسكانها لايصغون الى اوامر تصدر اليهم من ايطاليا وهم يعرفون كيف يحافظون على وطنهم،وكانت هذه الكلمة آخر ماقيل فى محاولات

١ جهاد الابطال ـ صفحات ٤٦ ـ ٤٧ ـ الشيخ طاهر الزاوي

٢ اورد اسم الاميرال هكذا ـ مؤلف الكتاب والصحيح هو (فارافيللي)

دفع الشر ووقاية الارواح من الموت،فخرج فافاريلى بدون تحية انتهى كلام الشيخ الطاهر الزاوى، واذا كان من المعروف ان الاتصالات قد قطعت بين طرابلس والعالم الخارجى فان ايطاليا كانت تعلم انه لافائدة من اى رد وانها كانت تتخذ اجراء شكليا فقط عندما قابل اميرال بحريتها (الدفتر دار) وهكذا فقد بدأت القنابل تتساقط على مدينة طرابلس يوم ٢ اكتوبر وبدأ الرد عليها بواسطة المدافع التركية من قلعتى (الحميدية والسلطانية) وهذا الرد يعد تأكيدا على عدم الاستسلام، وبذلك تكون الحرب قد بدأت، وأن كان الضباط التراك قد سحبوا بعض قطع المدفعية خارج المدينة لأنهم اقتنعوا بعدم القدرة على الدفاع عنها ...

ولقد بدأت الحرب وبذلك يكون الاهالى والحامية التركية قد قرروا موقفهم، وبعد القصف حدثت اولى المعارك وهى معركة (سوانى بن يادم) حيث هب الشعب الليبى كبارا وصغارا للدفاع عن الارض والعرض ووصلت افواج المجاهدين من الجبل الغربى الى باب العزيزية ابتداء من يوم ٢ ـ ٤ أكتوبر، جاؤا من كل القبائل فى المنطقة على الرغم من ان الشعب الليبى لاعهد له بالحروب بمعناها الحقيقى، تنادوا وكانت نقطة البداية فى حربهم فى العزيزية ربما لأنهم ادركوا انها المرتكز الذى سينطلق منه الغازى الى الجبل الغربى أو انها الخط الدفاعى الثانى لأخوانهم فى طرابلس، والليبيون لم يكونوا على بينة من عدوهم واسلحته وجيوشه فاغلب هؤلاء لم يركبوا البحر على الاطلاق ولاشاهدوا الطائرة، ولكن مع ذلك ماكان لهم ان يستكينوا او يقبلوا بالاذلال خصوصا ان الغازى من غير دينهم وجنسهم ،وكان قائدالبحرية الايطالية الاميرال (أوبرى) وقائد القوات البرية الجنرال (كانيفا) و لم يكن الجانب الوطنى قيادة موحدة وان كان هناك بعض الضباط الاتراك الذين

كانت تدفعهم حميتهم الاسلامية للقتال ضد الغزاة غير المسلمين ،ولقد كانت فعلا العزيزية مرتكز الهجوم فيما بعد على الجبل ثم القبلة، كانت نقطة بداية ومنها الى بئر الغنم وغريان ثم يفرن فالزنتان ثم الرجبان ثم جادو ومن غريان الى مزدة ثم خرمة بوغرة وسوفجين والقريات وبئر تارسين فالحمادة الحمراء ثم بئر علاّق والملاحة وبئر تاقرفت والطابونية الخ .... وهذا مانتناوله فى هذا الفصل وما يليه، وعلى الرغم من المقاومة الضارية التى ابداها المجاهدون عندما بدأت المواجهة بينهم وبين القوات الايطالية خلال اليوم الاول من نزول تلك القوات على اليابسة اى فى يوم ٣ أكتوبرسنة ١٩١١م وبعد تلك المناقشة الحادة والموقف المتعنت الذى اظهره الاميرال الايطالى (فارافيللى) فى لقائه مع وكيل الوالى التركى بطرابلس يوم٢ أكتوبر ١٩١١م ولقد رأينا انه عندما بدأت البوارج الايطالية فى قصف مدينة طرابلس تم الرد عليها بواسطة مدافع حصني (الحميدية والسلطانية) الاول واقع شرقى المدينة والثاني غربها، ونظرا الى أن القوة العسكرية من حيث نوعية السلاح والجند غير متكافئة وان الدفاع عن المدينة غير ممكن فقد قرر الضباط الاتراك سحب مدافعهم من المدينة الى اطرافها، وكان ان ارتفع صوت المنادي للجهاد فى كل مكان وحدثت معركة ((سواني بن يادم)) وقد هب المواطنون من كل حدب وصوب حيث تجمعوا فى باب العزيزية استعدادا للمعارك التالية، وقد اورد الاستاذ محمد مصطفى بازامه (رحمه الله) فى كتابه ((العدوان والتصدى)) [1] وصفا لذلك التجمع نورده فيما يلي :

اذا كانت الحرب قد اعلنت ضد تركيا، اعلنها الايطاليون ضد الاتراك فانما ليستولوا على ليبيا واذا قاموا بعدوانهم فانما على الاراضى الليبية وان قصفوا

١ بازامه، العدوان والتصدى ،ص ٢٩١ (مخطوط)

بمدافعهم فانما على الاراضى الليبية وان نزلت قواتهم على اليابسة فالارض ليبية وان اطلقوا رصاصهم فعلى الليبيين، ومن هنا فان البحث فى رد الفعل انما يبحث عنه فى الليبيين، ولدى الليبيين قبل غيرهم من سائر الناس، وما من شك فى ان سريان خبر الاعتداء على طبرق واحتلالها وخبر قصف طرابلس والاستيلاء عليها قد سري في دواخل البلاد سريان النار فى الوقود وأثر فى نفسية عامة ناسها تأثير الشرارة فى البارود ودوي انفجاره الواقع عند الساحل كان له صداه المتردد فى اقصى الواحات من الجنوب وهب الشعب، هب وفى يده سلاحه والحماس يدفعه ونار الغضب تتأجج فى اعماقه على هذا العدوان الظالم والعدو الآثم الغادر، وبعد فترة من الذهول الاولى والصدمة المفاجئة التى تصاحب عادة أي نبأ مفأجى لا يصدق لغرابته وعدم توقعه تقاطرت جموع ملبئ داعية النضال لصد العدوان حتي قبل ان تنطلق من حنجرة الداعي لها، تلك الصرخة بالاستنجاد، وكانت فيما تذكره مصادر العدو في سهل جفاره والجبل الغربي بدايتها واولها متطوعون من الزنتان كانوا جمعهم ٥٠٠ ــ ٦٠٠ رجل وصلوا العزيزية مع اول جند الاتراك المنسحب من طرابلس يومي ٢ ــ ٤ اكتوبر ثم وعلي اثرهم جماعة الزاوية يتقدمهم عضو مجلس المبعوثان محمد فرحات وجماعة نالوت يتقدمهم عضو مجلس المبعوثان سليمان الباروني وآخرون من غريان وترهونه وجماعات المحاميد، وسائر قبائل وجماعات تلك الجهات... انتهي ما نقله الاستاذ بازامه عن المصادر الايطالية، وبعد العديد من المعارك التى خاضها المجاهدون والتضحيات التى قدموها فى ميدان الشرف استطاعت القوات الايطالية المدججة بجميع إنواع الاسلحة أن تبسط سيطرتها على منطقة الجبل بعد ان كانت قد سيطرت على الشواطئ الليبية ومدن الساحل، ولأن القيادة الايطالية كانت تدرك انه لايمكن لها ان تبقي مستقرة ومسيطرة الا اذا بسطت

نفودها علي كامل التراب الليبي وقفلت مناطق الحدود الليبية مع تونس والجزائر أي في الغرب والجنوب الغربي من البلاد، وكما نعرف فقد جرت المعارك علي النحو التالي : ـ

بداية، فى خطين (طرابلس– العزيزية ـ طرابلس– زواره) ثم صارت فى ثلاثة خطوط (العزيزية بئر الغنم يفرن ـ العزيزية غريان يفرن) والمسار الثالث (من زواره الوخيم الجوش السلامات) ومن هنا تأخذ اتجاهين، الاول الى (كاباو فنالوت) والثاني (يلتقي مع القوات القادمة من يفرن فى جادو) وبذلك تتم السيطرة على الجبل الغربي بكامله، ولقد كانت القيادة الايطالية العسكرية والسياسية وبين اولئك المتحمسين لغزو ليبيا وزير الخارجية السيد (دي سان جوليانو) كانوا يعتقدون ان هذه الحرب انما هى نزهة او على اسوأ الاحوال هي عملية تدريب لبعض القوات، لذلك جهزوا (٣٤ الف جندي من القوات البرية وثمانية الاف جندي من القوات البحرية) لخمس جبهات فتحت فى ليبيا فى وقت واحد هى(طبرق ودرنه وبنغازي وطرابلس والخمس) ولكن تلك القيادة وقد ادركت ان الليبيين مصممين علي الدفاع عن بلادهم زادت عدد الجنود بحيث وصل عدد القوات (١٠٣ ألاف جندي) قبل نهاية السنة ثم زادت تلك القوات اذ جندت الادارة الايطالية حوالى (٣٠ الفا) من الاريتريين والصوماليين وألحقتهم بجيشها فى ليبيا بحيث صار عدد القوات المقاتلة (١٣٣ الفا) بكامل المعدات والاسلحة المتقدمة، وكان قائد قوات الغزو في المرحلة الاولى الجنرال (كارلوا كانيفا) وهو يتمتع بصلاحيات مطلقة بحيث يمكنه سجن او نفى او طرد أي ليبى ومصادرة امواله، وكانت الحملة على الجنوب الليبى بقيادة العقيد (ميانى) وقد ابتدأت من منطقة سرت يوم ٩ اغسطس ١٩١٢ م والهدف هو السيطرة على كامل الجنوب أي من سرت

الي مرزق، وكانت محطات الحملة الرئيسية هي (سرت سوكنه ـ براك ـ سبها ـ مرزق) وخلال هذه الغزوة تصدى المجاهدون للقوات الايطالية في عدة مواقع وجرت معارك هامة منها (اشكدة والمحروقه الخ ...)

ولم يكن ممكنا ايقاف جحافل ذلك الجيش الجرار وهو متقدم مستخدما جميع وسائل التدمير والقتل حتى وصلت الجحافل منطقة مرزق واقام (مياني) مركز قيادته هناك وتكون بذلك القوات الايطالية قد اطبقت علي البلاد من الجنوب والشمال والغرب ولم تبق الا منطقة القبلة التي كان الايطاليون يعتقدون انها سوف تكون محاصرة من كل جانب وما على اولئك البدو الا التسليم او الموت جوعا وعطشا، (والحقيقة ان القبلة بدلا من ان تكون مطوقة صارت نقطة ارتكاز لقطع طريق المواصلات بين الايطاليين في الجنوب والشمال) وربما كان يمكن ان يحدث ما توقعه الايطاليون بالنسبة للقبلة لولا تلك المعركة الجريئة التي قادها الشيخ سالم بن عبد النبي الناكوع الزنتاني وقد عرفت فى التاريخ (بمعركة قارة سبها) والتي حدثت في ليلة ٢٧ ـ ٢٨ نوفمبر ١٩١٤ م وكان يوم عاشوراء، وهذه المعركة كانت الفيصل والفصل فى هزيمة القوات الايطالية ونهاية قيادة العقيد (مياني) فبعد ان جعل مياني قيادته في مرزق منذ (٣ مارس ١٩١٢ م) واعتقد هو والذين خططوا معه لتلك الحملة انهم أحكموا السيطرة على البلاد اذا بخطوطهم قد قطعت واصبحت فواهم فى ثلاثة مواقع لاأتصال ولاتواصل بينها ولاتنسيق وهى (قوات غرب سبها، سبها ومرزق) و(قوات شرق سبها، سبها سرت) وقوات بعيدة جدا شمال غرب سبها (غريان جادو نالوت) وفى هذه الحالة وبعد العملية

الجريئةالتي قام بها المجاهدون واحتلوا القلعة الحصينة (قارة سبها) لم يكن امام مياني الا الهروب ببعض قواته والرجوع من حيث جاء ان امكن، ولذلك تخلى عن قيادته فى مرزق وبعض قواته (القوات السوداء كما سماها هو) اى الاريتيريين والصوماليين المجندين، وعاد مسرعا الى شاطىء البحر الابيض المتوسط وقد باءت الخطة العسكرية بالفشل الذريع وانتهى بذلك مستقبل العقيد ميانى العسكرى ليبدأ فصل جديد من الغزو البربرى وفصل آخر من الجهاد البطولى الذى كانت بدايته (قارة سبها) ونظراالى ان هذه المعركة كانت الفاصل والفصيل اوهى القشة التي قسمت ظهر البعير كما يقولون، فقد حدث الخلاف الشديد حول الكثير من احداثها،

من مخططها ؟

ومن قائدها ؟

وكيف حدث ذلك ؟

ولهذا فاننا ولأهمية البحث فى الموضوع ووضعا للنقاط على الحروف واحقاقا للحق الذى لايجب ان يغيب عن احد وخصوصا أولئك الذين يهتمون ويبحثون فى احداث تاريخنا الوطنى، نرى اهمية تناولها وان باختصار، فى قصيدتها البليغة تقول السيدة (عنايا) وهى ابنة الشيخ سالم بن عبد النبى مايلى:

سيدى حلف إبصوما للكفر   مايقبل إ بسلطة لروما
ايجىمنتده راكب على مقيوما   انجى ساقطا من عقدها ملزوما

مكابد كلفها من شعير الصابا

نمار فيه بالرواح كابر شوما   حتى الصريما أتكرها ما تابا
سوا ظالما ولاسوا مظلوما حتى   قصر عالى إفقاهرا ما هابا
نمار قاهرا ما ولاّ نظرا على   الرفاقا والعماد عالله
زود على باب الحديد او حلا   راسا صحيح وليمنا ضرابا
تماشا تراكا عالقليل الملا خلص   دين من يابا عليه طلابا
يسحاب فكا البنى كانا علا   طاح فى ذرارى عارفين ضرابا

عارفين دراجا رملك فيه بومشط خفيف الواجا

وأذن إفراس القصر فيسع هاجا   قال عقب رانى انلم بيه أصحابا

والقصيدة طويلة وهى مسجلة وموثقه لدى مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالى، وقد نعود اليها فى فصل آت ....

كذلك نرى الشاعر الشعبى غيث محمد الهادى يسجل احداث تلك المعركة المجيدة فى قصيدة طويلة تزيد على ثلاثمائة بيت نقطف منها هذه الابيات :

ضرب قاهرا ضربة ابطال قويه   غيراسألوا تاريخهافى الروم
اوجاهم امعيط فى عقاب عشيه   ما تضيع دمعتكم أفهب نسوم

وفى مكان آخر من القصيدة يتصور الشاعر ان الشيخ يرد عليه فيقول :

ليه قال من حقك أتلوم على   أوديما الشارق عا لحرار ايلوم
انت والرفاقا كون فى اطمانيه   ما تضيع دمعتكم أفهب نسوم
انادمعكم كالنار يحدث فيا   حديثى معاكم طول موش لزوم
الرجال والولايا عابيين عليّ   انا بو الطيور الفارس الحيطوم

انا اللى فكاك كـل قضـيه انـا — اللـــى أنـــزل الطيرأيحـــوم
انا اللى غاروا هالاوبـاش علـىّ — انا اللــى نــابى عــوج مســموم
انا اللى انمسه مثيل الحيـه ايجـى — فى طريقـــى مـــن قصـــرله يـــوم
طلاقات بجملة الغنانيـة أفـوين — العـــدو يطمـــان بيـــه أنحـــوم

وعن قارة سبها واحتلالها يقول الشاعر الشعبى (العربى المكى الامام)فى قصـيدة بعنوان (ياقاهرا الكفار يامنصورا) .. ما يلى :

ياقـاهرا الكفـار بـا منصـورا — يامحطمـا الأغـلال فى عاشـورا
يامحطمـا الأغـلال ياشـامخا — فوق،فـوق الطويـل العـال

الطليان خشك فى غياب الأهالى

سالم معاه رفاقا شجعان كلـهم — بنداقا تريس حرب ماهمشى من الفلاقه
سالم رئيس محلة ليلة هجوما الفجر — بيهم صلى اوحدد لهم خط القتال أكلّه

هذا قليل من الشعر الشعبى الذى خلّد هذه المعركة وهى التى كانت نصرا مؤزرا من عند الله للمجاهدين على الغزاة المتغطرسين، ومن انتصار (قارة سبها)وبعدها مباشرة انتشرت شرارة الثورة فى كل مكان من ارضنا الطيبة وتحررت المناطق التى سيطر عليها جند الطليان ومنها الجبل الغربى بكامله، وربما يكون مفيدا وان فى عجالة واختصار ان ننقل للقارئْ الكريم ما كتبه الاعداء انفسهم عن معركة (قارة سبها) قبل ان نستعرض ما ذكره المجاهدون الليبيون عنها فى سياق الحديث عن معارك الجهاد الوطنى يقول السيد (انجلو دل بو كا) فى كتابه (الايطاليون فى ليبيا)

مايلى[١] لقد كانت حامية (قارة سبها) تحت امرة النقيب (ايليورين) وكانت الحامية مكونة من ثمانية ضباط وستة من ضباط الصف وثلاثة وسبعون جنديا ايطاليا وتسعة عشره جنديا حبشيا وتسعة ليبيين من سكان الساحل وثمانية وستون عسكزيا فزانيا وكانوا جميعا مزودين الي جانب اسلحتهما الفردية بمدفعين جبليين من عيار (أ ـ ٧٠) مع ما يزيد عن الف قذيفة واربع رشاشات ثقيلة، وهذا ما فيه الكفاية للاحتفاظ بالحصن (ايليا) [٢] الذي كان مقاما علي تلة تشرف علي السهل، ولكن اعمال البناء (الانشاء) [٣] لم تكتمل بعد فقد كان رجال الحامية يقيمون في الثكنات المنتشرة اسفله، وفي ليلة ٢٨ نوفمبر تمكن بضعة مئات من السنوسيين يرشدهم هارب[٤] ويقودهم سالم بن عبد النبي ومحمد دحنوس وعلي الشنطة وسالم دنه، تمكنوا من التسلق (٤) الي الحصن دون ان يفطن إليهم احد وسيطروا عليه، ولم ينتبه الايطاليون الا في الساعة الرابعة وعشر دقائق فجرا لهذه الخدعة التي جعلتهم موضع تهكم وسخرية .. انتهي .

وفي كتاب اخر لكاتب عسكري ايطالى هو العقيد (بيلاردينيللي) يقول (ما ان حل العقيد مياني بسوكنه حتي تلقي بواسطة اللاسلكي نداءات ملّحة من حامية اوباري تطالب بالنجدة، وانقطعت النداءات بالكامل دفعة واحدة، ويضيف.،

هذا ولم يتمكن مياني من انقاد رجال حامية مرزق (البيض) بواسطة قافلة

١ كتاب الايطاليون في ليبيا، الجزء الاول، صفحات ٢٦٦ ـ ٢٦٧ (اجلو دل بوكا)
٢ قارة سبها، الاسم تركي أي (كارقاء) أي قيادة القوات البرية
٣ ربما كانوا يقيمون انشاءات جديدة لاننا نعرف إن القارة كانت مكتملة
٤ في الواقع إن الجندي ليبي ولم يكن هاربا وانما رغب في مساعدة المجاهدين ويمكن الرجوع الي كيابنا ((حقيقة معارك الجهاد في الجبل الغربي لمعرفة حقيقته وكيف ساعد المجاهدين))

صغيرة من الشاحنات الا بشق الانفس دون علم (المجندين الملونين) انفسهم الذين تركهم وشانهم مع كميات كبيرة من الاسلحة والذخائر والمؤن .. انتهي .

هذا الكلام قاله بيلاردينيللي بعد سقوط (قارة سبها) مباشرة وكذلك استيلاء المجاهدين علي مقر حامية أوباري، أي ان العقيد الفاتح الذي انشأ قيادته في (مرزق) بعد أن إحتل المنطقة من سرت الى الجنوب الغربي (مرزق) بالعمل الجهادي الجرئ فى سبها وبالتالي لم يتمكن من مساعدة الذين طلبوا النجدة من اوبارى كما انه لم يتمكن حتى من الاحتفاظ بمقر قيادته وانما سعي فى عجلة الى انقاد عدد من الجنود (البيض) أي الايطاليين وترك الباقون لحالهم مع ما هناك من ذخائر ومؤن، عاد العقيد ميانى لاجئا الى الشاطئ ليحتمى بالبوارج التى يمكنها ان تقصف من البحر لانه لم يكن لدي المجاهدين الليبيين مع الاسف بوارج ولا مدفعية بحرية او ساحلية، وتأكيدا لما نقول يورد (بيلاردينيللي) ذلك كما يلي : [1]

(انسحاب فيلق مياني الى الساحل واخلاء الجفرة فى ٢٢ ديسمبر ١٩١٤م بعد توقفه فى سوكنه واصل الفيلق مسيرته شمالا حتى وصل مصراته فى ٢٦ من الشهر والجنود فى اقصى حالة من الارهاق والانهاك من مشاق لا توصف وبعد ان نزل عددهم الي حوالي الف رجل) .. انتهي ..

هكذا قال الكاتب الايطالى رغم انه فى كتابه قد وصف المجاهدين بمختلف النعوت قطاع الطرق والمخادعين الخ وعلى كل حال فاننا لا يجب ان نتوقع من كاتب معادي وهو كذلك عسكري عاصر تلك الحرب وهرب مثل الهاربين

١ بيلاردينيلي ، كتاب القبلة

المهزومين ان يكون غير ما كان عليه، ونجد كاتب إيطالي آخر يتحدث عن حالة القوات الايطالية بقيادة مياني بعد سقوط (قارة سبها) وان كان بشكل خفي يحاول ان يوحي ان الثورة ونشاط المجاهدين يعود الي دعوة الي الحرب التي اعلنتها (الاستانه) والكاتب هو (باولو مالتيزي) (٢) الذي يقول :

في نهاية سنة ١٩١٤م بلغ الاحتلال الايطالي اقصي مداه في ليبيا الا ان الجهاد أي الحرب المقدسة التي اعلنتها (الاستانه) اثار حماس جميع الاهالي فألهب مشاعرهم بعد ما كان هناك امل كبير في استسلام نهائيا حتي كانت ثورة عارمة شملت البلاد من ادناها الي اقصاها وامتد لهيبها الي فزان، وها هو الساحل اوطرق القوافل تصبح عرضة للهجوم والسلب من جديد، وما لبث الموقف ان تفاقم اكثر فأكثر وأخذ يهدد بالخطر، ويطلب العقيد مياني من فزان بتعزيزات من الوالي الذي يقوم بدوره باخطار روما بهذا الطلب ويقول (اذا تعذر علي هذه الوزارة، وزارة المستعمرات، تدبير ارسال قوة كبيرة علي وجه السرعة وقدر للوضع هنا ان يضطرب ويزداد سوءا فقد يحسن بنا رغم ما ينجم عن ذلك من الشعوربالحسرة والاسئ والاخذ في الاعتبار احتمال اتخاذ قرار بالانسحاب الكامل من فزان ومن واحات منطقة سرت) وقد تلقي من الوزارة ردا علي هذه البرقية يخطره بان الوضع في مواقع اخري هو من الخطورة بحيث يجعل من المستحيل ارسال قوات النجدة الى فزان، فسرعان ما تدهور الوضع تماما وأفلت الزمام من قبضة القيادة الايطالية وما ان حل شهر ديسمبر حتي عمت الثورة والتمرد جميع الارجاء ومن ثم تقرر الجلاء عن كامل تراب فزان وكان قد سبق ذلك منذ اوائل نوفمبر حشد ما بقي من القوات في الحاميا ة ببراك حيث كانت قيادة ميانى، اما

مرزق وغات وغيرهما من الوحات فمحاصرة، وبعد ذلك بقليل سقطت غات فى قبضة الثوار (وبعد هذا الكلام حيث كان المؤلف قد قفز مبتعدا عن سبب حدوت الثورة الحقيقي يعود الى الوراء)...

ليقول :

فى الليلة ما بين ٢٧ ـــ ٢٨ نوفمبر تعرضت القاهرة (قلعة سبها) التى كان فى حمايتها حوالى مائة جندي ايطالى وعدد مماثل من المجندين محليا لهجوم عنيف كاسح يلقى مصرعه فيه قائد الحامية نفسه النقيب ميليوريني، اما من بقي على قيد الحياة من رجال الحامية الذين لا يزيد عددهم على العشرين فقد تمكنوا بعد مسيرة شاقة عبر الصحراء من الالتحاق بالقوات المحتشدة فى واحة براك تحت امرة العقيد (مياني) ... انتهي .

وقد صور الادب الشعبى نتائج (معركة قارة سبها) فى كثير من القصائد البليغة الصادقة مثل هذين البيتين : ـــ

نهار قاهر خلص نهار القاره ، وقعدوا براطيل الكفر بالحاره
اخلص دين غابي دوله، اخلص سي محمد قبل يوفي حوله

ولقد حدث فعلا ان (براطيل الكفره كانت بالحاره او اكثر) اذ ان احتلال (قارة سبها) قد اربك القيادات العسكرية والسياسية الايطالية التي ربما كانت قد اطمأنت لبعض الوقت عندما جعلت لقاهرة(قارة سبها مقرا ومركزا للقيادة العسكرية والسياسية فى فزان وعندما جعل العقيد مياني مقر قيادته العسكرية فيما بعد فى (مرزق) ويعني هذا ان مركز القاهرة (قارة

سبها) يسيطر على جنوب التراب الليبي بكامله بينما يعني وجود القيادة العسكرية متمثلة في العقيد مياني واركان حربه في (مرزق) قطع للطريق على النفود الفرنسي فى الجنوب، وهذا مؤلف الكتاب [1] يصف الحملة على ما حدث فى (قارة سبها) كمايلي : ـــ

في تلك الآونة وصلت وحدة حامية غات الى غدامس ومنها لجأ رجال الحاميتين معا الى الاراضى التونسية، واصبح موقف براك منذ اوائل ديسمبر حرجا للغاية فبدأ الجلاء عنها في ١١ وفي يوم ٢١ وصلت الفيالق الى سوكنه حيث كان قد سبقها اليها رجال حامية مرزق بعد مسيرة شاقة عبر الصحراء الا ان الحامية الصغيرة فى اوباري لم تتمكن من الافلات فأبيدت عن آخرها، وهكذا اصبحت سوكنه ولفترة وجيزة مع ودان أبعد نقطة فى الدواخل ومازالت تحتفظ بها القوات الايطالية الا ان العرب استغلوا خروج بعض رجال الحامية لحماية احدى قوافل التموين ليقتحموا ودان نفسها فيتمكنوا من الاستيلاء عليها ونتيجة لذلك احدق الخطر الآن بسوكنه نفسها وكذلك تضطر القيادة الايطالية الى الجلاء عنها وتركها للعدو، وامتد لهيب الثورة لتشمل بعد فزان جميع ارجاء القطر فجمعت القوات المنسحبة من فزان والجفرة وسرت فى مصراته وجمع بعضها الاخر فى الخمس وطرابلس ...

وفى ٢٩ ابريل قام العقيد مياني على رأس قوة تتألف من ٥٠٠٠ رجل منهم ٣٠٠٠ من المجندين غير النظامين بمحاولة يائسة للاحتفاظ بآخر معقل على الساحل شرقى الخمس وذلك انه حالما نمى الى عمله ان احد احفاد السنوسى كان

١ كتاب ليبيا ارض الميعاد ، باولو مالتيزي

يحشد قوات كبيرة فى منطقة قصر ابى هادي، خطط للانقضاض على تلك الحشود الا انه اصيب بكارثة نتيجة تمرد قسم كبير من المجندين المحليين وانقلابهم عليه و لم ينج هو نفسه من الموت الا باعجوبة بعد ان اصيب بجرح مرتين، ونجم عن المعركة مقتل (١٩ ضابط) و(٦٠٠ جندي) واصابة (٤٥ ضابطا و٤٠٠ جندي آخرين) بجراح عدا ضياع المدافع وعدد كبير من البنادق والذخائر والمؤن ... وفى ٤ يوليو اصدر الوالي اوامره بانسحاب جمع القوات الى الساحل وقد شمل الامر الجلاء عن الهضاب المحيطة بطرابلس حتى انحصر الاحتلال بالنسبة لقطر طرابلس نفسها فى الخمس ومدينة طرابلس بعد معركة ابى هادى وأخلاء مصراته، ... انتهي كلام الكاتب الايطالي .

يلاحظ القارئ مقدار الارباك والارتباك، قائد عسكري كان يقود حملة كاملة باسم دولة صناعية كبرى وقد اعتقد انه احتل ليبيا كلها حتي وصل الى اخر اطراف الاراضى فى الجنوب ينهزم خلال ايام ليعود بجرحاه يجرجر اذيال الخيبة الى الساحل ثم يقوم بعملية كان يرى انها وقائية مصطحبا معه المدافع والرشاشات وخمسة الاف من العسكر النظامي فيصاب بكارثة ويهزم شر هزيمه، ويليه الوالى الذى كان مفترضا انه يحكم البلا د كلها يصدر الاوامربالانسحاب الكامل ليندس هو وجنوده وقادته فى المدن هزائم امام مجاهدين يستخدمون بنادق قديمة، هكذا حدث بالضبط وتلك كلها كانت آثار هزيمة (قارة سبها) أثار عسكرية وسياسية ونفسية مدمرة، ولقد اختلف الكتاب الليبيون الذين تناولوااحداث التاريخ الوطني حول تلكم الاحداث وبالتحديد حول النتائج والمواقع والقادة والغنائم، والخ، وان لم تكن الخلافات حادة وكثيرة

الا انها وقعت، منها المقصود ومنها ربما عدم المعرفة الحقيقية بالقادة والمواقع، منها ما اعتمد على الروايات الشفوية وهى كثيرة وقد جاءت بعد فترة طويلة من تلك الحرب (وهذه كانت الاكثر) ومنها ما اعتمد علي ترجمات كتب بعض المؤرخين او القادة العسكريين واغلبهم ايطاليون، وهذه فى الواقع اقرب الى الصدق اذ إن اولئك الكتاب وخصوصا أن العسكريين منهم كانوا قد قاذوا او شاركوا فى تلك الحرب (بصرف النظر عن تعبيراتهم ووصفهم للمجاهدين) ومع كامل التقدير للجهود التى بذلت في البحث والتنقيب والدراسة فاننا نعتقد ان هناك من حاول التشكيك والتغاضي بسوء نية، وهناك من قلّل من قيمة المعارك التي خاضها المجاهدون ومن قدراتهم وتضحياتهم مثلما فعل الاستاذ محمد القشاط في كتابه (الصحراء تشتعل) الذي نتناول جزء منه هنا رغبة فى التصحيح ووضع الامور فى موضعها ونصابها الحقيقي مستعرضين ما جاء فى كتابات أخرى تدليلا على ما نقول وتنويرا للقارئ الكريم الذي لابد ان تهمه الحقيقة مهما كانت .. قلت ان خلافات قد حدثت فى تناول احداث التاريخ الوطني (تاريخ الجهاد الليبي)

بين اولئك الذين كتبوا فى هذا الموضوع، وتلك الكتابات فى الواقع هي اجتهادات مقدرة وما كانت الخلافات الا فى وجهات النظر من زوايا مختلفه والأخذ احيانا بروايات شفوية شابها بعض الخلط والغموض لطول المدة وكبر سن الرواة وامزجة بعضهم، ويمكن تلافي ذلك مستقبلا عندما يتناول احداث تاريخ جهادنا الوطني مختصون فى علم التاريخ ...

وما نستغربه ولا نعرف له سببا هو ان يقوم كاتب ليبي بالتشكيك في

ادوار بعـض قادة الجـهادالليـبـى والتقليل من قيـمة تضحياتهم وجهادهـم عنـدما يتحـدث عن المعارك التى خاضوها مثلما فعل الاستاذ القشـاط فى كتابـه هـذا والـذي صدر عن دار (الملتقى) فلقد أتي بما لم يرد في أي كتاب تناول تاريخ الجهاد الليبي، وعلى الرغم من اننا لا نود العودة الى تناول كتابات الاستاذ القشـاط بحيث لا نتيح لـه فرصة تحويل الخلاف او الاختلاف فى الراي الى مواقف قبلية، فلقد وجدنا انه من الواجب علينا وطنيا وقوميا وانسانيا ان نصحح واحدة من اهم احداث تاريخ الجهاد الوطني الليبي متغاضين عن بقية ما جاء فى كتابه مـن اسـاءة وتشكيك وتشويه لأحداث واشخاص، والحادثة هي ((معركة قارة سبها التى جرت خلال ليلة ٢٧ ــ ٢٨ نوفمبر ١٩١٤ م) فقد تحدث الاستاذ القشاط عن هذه المعركة قائلا :

(وسالم بن عبد النبي ومن معه توجهوا الي سبها وكان الايطاليون في سبها اقل من مائة جندي اغلبهم مـن الاريترين وتكمـن اهميتها في انها مركـز الامـداد لقوات مياني في الجنـوب، في ليلة ٢٧ ــ ٢٨ نوفمبر هاجم المجاهـدون القلعـة اذ اختاروا اربعة عشر مجاهدا لأقتحامها والصعود اليها يتقدمهمْ سالم الحطماني ويسـير خلفهـم بسـيفه رحومه التركى السباعـى وكان سالم بن عبد النبي من المنتظـرين اسفل القلعة و لم يصعد معهم الـى ان تـم احتلالها ورفعـوا الآذان فى اعلاها وكان المـؤذن هـو المجاهد احمد البريكى ويقول بترانياني انه سمع اطـلاق الـرصاص في القلعة عـند الساعة ٤٥، ٤ صبـاحـا اذ انه كان ينام خارج القلعة وكذلك اغلب الجنود بامر من آمر القلعة باستثناء مجموعة الحراسات وقد حاول الجنود الايطاليـون الصعود الى القلعة ولكن نارا حامـية واجهتهـم وردتهـم على اعقابهـم، عنـد

الصباح سيطر المجاهدون على القلعة وفـر الجنود الايطاليـون والاريتريـون باتجـاه براك وقتـل بعضهـم واسـر النقـيب بترانياني الـذي روي الواقعـة فى كتابـه (الصحراء الطرابلسية) وقد استشهد مجاهد من الجعافرة وجرح اثنان، حمـل المجاهدون غنائمهـم من الالبسة والتمـوين والسلاح والـذخائر علـى (٧٥٠) جـمـلا استاجـروها مـن علي الشنطة الذي كان تاجـرا يشترى التمر مـن الزوائـد و لم يحضر المعركة ... انتهي.

هذا ما أورده الاستاذ القشاط فى كتابه عـن اهم معركة جهادية جرت فى تلك الفـترة وجعلت قائد الحمـلة الايطالية العقـيد (مياني) بعـد ان وصل مرزق وأقام قيادتـه هناك يعـود هاربا ببعض قـواته الى شاطئ البحر قرب مصراته!!

ولقد فهمنا مـن رواية الاستاذ القشاط التى نسبها الي ضو بوخـتيره الوارده فـى روايات الجهاد الليبى ان سالم بن عبد النبي الذي كان قائدا لأولئك المجاهدين لم يصعد الى القلعة (ربما لانه كان خائفا !!) وهو المجاهد الذي دوّخ القادة الطليان (وباعترافهم فـى كتاباتهـم) وان على الشـنطة كان تاجر تمـر ولـم يحضر المعركـة وهـو المجاهـد والسياسى المرموق وان المجاهدين استأجـروا (٧٥٠ جملا) سبعمائة وخمسـون جملا !! وفهمنا كذلك ان القلعة لم تكن بها الا مجمـوعة الحـراسات بمعني انه عدد قليـل مـن الجنود، ولـم يكن فى سـبها (كلها) الا اقـل من مائـة جندي اغلبهم مـن الاريتيرين !! وفهمنا ان تلك القلعة لـم تكن ترسانة سـلاح بمقاييـس ذلك الوقت حيث كان بها مدافع ورشاشات ثقيله وذخائر وضباط ايطاليون !!

واذا ما قبلنا القـول ان على الشنـطه كان تاجر تمر و لم يكن مجاهدا وسياسيا مرموقا فكيف يسـتوي الامر بين تاجر التمـر والمليونير الـذى يمـلك (٧٥٠ جملا) استأجرها

منه المجاهدون !! (واذا كان قد اجر ذلك العدد من الجمال فلا بد انه يملك اكثر من ذلك) ومن يملك ذلك العدد الهائل من الابل في ذلك الوقت وبحسب ظروف ليبيا وقتئذ لابد ان يكون مليونيراً، ولوا قال السيد القشاط انهم استأجروا خمسون جملا او هكذا لكنا قد قبلنا منه ذلك القول ؟! ويمكننا ان نجزم ان ليبيا في ارضها كلها لم يكن بها مثل ذلك العدد من الجمال فى ذلك الزمان، اما كون القلعة لم يكن فيها الا مجموعة الحراسات بمعنى انه ربما كان هناك عشرة او خمسة عشر من الجنود وربما هم جميعا من الاريتيريين وان الجنود فى سبها كما قال كانوا اقل من مائة جندى واغلبهم من الاريتيريين (وهؤلاء ربما لا يعرفون استعمال السلاح مثل الايطاليين !!) وقد فات الاستاذ القشاط ان يخبرنا بذلك، فاننا نرد عليه بتفصيلات مما كتبه الايطاليون انفسهم ونقل عنهم ومنهم الكاتب الذي اشار اليه والي كتابه أي (باترانياني، وكتابه الصحراء الطرابلسية)...

يقول الكاتب الايطالي (انجلو دل بوكا في كتابه، الايطاليون فى ليبيا) ان حامية قارة سبها كانت تحت امرة النقيب (ميليوريني) وكانت مكونة من ثمانية ضباط وتسعة من ضباط الصف وسبعون جنديا ايطاليا وتسعة عشر جنديا حبشيا وتسعة من الجنود الليبيين من سكان الساحل وثمانية وستين عسكريا فزانيا وكانوا جميعا مزودين باسلحة فردية مع مدفعين جبليين عيار (أ ــ ٧٠) مع ما يزيد علي الف قذيفة لهذه المدافع وكذلك اربع رشاشات ثقيلة ،، (ص ٢٩) انتهي...

وهنا نفهم من كتاب السيد (انجلو دل بوكا) ان القلعة كان بها مائة وثلاثة وثمانون جنديا وضابط صف بين ايطالى وحبشى وليبى مع المدافع والرشاشات والقذائف والبنادق الفردية، و لم يقل السيد انجلو وهو ايطالى انها كانت عبارة عن مركز تموين وان الجنود الايطاليين كانوا خارجها ؟؟ لعل الكاتب الايطالي انجلو دل

بوكا كان ضد بلاده ومع ليبيا وجهادها ؟؟!! ربما، ويقول الاستاذ خليفه التليسي في كتابه (معجم معارك الجهاد في ليبيا) ...

كانت حامية قلعة سبها تتألف من ٨٧جنديا ايطاليا منهم ٨ ضباط و٨٥ جنديا من فزان و١٩ جنديا اريتريا مزودين بمدفعي جبال عيار (أ ــ ٧٠ م) واربعة رشاشات وصناديق كثيرة من الذخيرة (ص ٢٧٥).... انتهي

وقال الاستاذ احمد عطية مدلل فى كتابه (المقاومة الليبية ضد الغزو الايطالي) ان عدد الايطاليين فى القلعة كان ٧٨ من بينهم ٨ ضباط و٨٥ من المجندين المحليين التابعين للسرية المستقلة وعدد ١٩ جنديا اريتريا وقطعتين من مدافع الجبال عيار (أ ــ ٧٠م) واربعة رشاشات ثقيلة وكمية كبيرة من صناديق الذخيرة ... انتهي

وما قاله الاستاذ القشاط كما يري القارئ الكريم يخالف تماما ما كان ذكره اولئك الذين كتبوا ليبين وغيرهم وحتي اولئك الذين كانوا يقودون المعارك ضد المجاهدين الليبيين ، ولو كانوا قد قللوا من قيمة تلك المعارك كأن يقولوا ان القلعة كانت خالية تماما من المدافعين وانما مركز امداد وتموين فقط لوجدنا لهم العذر والمبرر فالعدو عادة يحاول التقليل من اهمية وقدرة وشجاعة عدوه، اما ان يأتي كاتب ليبي ويقول ما قاله الاستاذ القشاط فذلك والله لهو العجب العجاب !!

اقل من مائة جندي في سبها اغلبهم من الاريترين، وحتي ان هؤلاء المائة لم يكونوا في القارة اذ كانوا ينامون خارجها وكان بها مجموعة الحراسات فقط !! تلك رواية القشاط الكاتب الليبي ؟

ويحار المرء في من يصدّق !! ؟

القادة العسكريون الايطاليون الذين خططوا وقادوا تلك المعارك وكتبوا عنها في

وقــتها، والمــؤرخون الايطاليون الــذين ساندوا تلــك الحــملة وعاصــروها، والكــتّاب الليبيون الذين بحثوا ونقّبواودرسوا الوثائق الايطالية، ام الاستاذ القشــاط الذي جاء يكتب عن هذه المعركة وغيرها من معارك الجهاد بعد مــضي سبعة وثمانون سنة علي وقوعها فيقلل من قيمتها التاريخية واهميتها الحربية ورجالها المجاهدين !!

ولا يفوته ان يقول لنا أنه ليس غريبا علي الصحراء كأنما ذلك يعطيه الحــق فى مخالفة احداث التاريخ والتجّنى على المجاهدين وعلى الوطن !! ؟

ونحن نتساءل بتعجب شــديد، كيف يمكن لليــبي ان ينكــر علي المجاهــدين الليبين بطــولاتهم ؟ ونسأل الاستاذ القشاط، ترى لمن تقذّف يا أستاذ والى اين ؟؟

ولعــله يكون مفيــدا ان نستعرض احــداث تلك الفترة والتطورات الحربيــة التي جاءت مفاجئة للكولونيل (مياني) وهــى التي ربما لــم يكن يتوقعها، وذلك من خلال ما كتب او قيــل عنــها في روايات شفوية .،

يقول الاستاذ خليفة التليسى : (استمرت المقاومة التى اثارها محمد بن عبدالله البوسيفي تعمل حتي بعد استشهاده فى معركة محروقه وظل المجاهدون يسيرون علــى نفس الدرب الذي اختطه باثارة المقاومة فى وجه العدو والاستفادة من توزعه وتشتت قواته ومهاجمــة قوافل امداده وتموينه ومحاولة قطع الصلة بينه وبين الساحل بالسيطرة على منــاطق القبلــة والشاطــئ والجفــرة وســرت، واخذت الاوضاع المحيطة بالقوة الايطالية تزداد ســوءا بالانفجار المفاجئ للحرب العالمية االاولى واستغــل المجاهــدون هذا الظــرف احســن استغلال واستفادوا مــنه فى إنــهاك القوة الايطالية واضعــافها، وكان لهــذا العامــل اثر هــام على الاحداث التي جاءت بعده، وبالنظر الى الموقف الذى التزمته تركيا والمانيا فى ليبيا فــى هــذه المرحلة وهــو الموقف الــذى كان يهدف في المقام الاول الى خلــق متاعب

لايطاليا فى مستعمــراتها وفعــلا فــان المجاهدين ما كادوا يطمئــنون الى مساعدة تركيا والمانيا ويشعرون بالظــروف الحــرجة التــى تواجهها ايطاليا حتى مضوا فى اشعال الثورة الى اقصى مدى ممكن وتمكنوا فعلا من تهديم الصرح الاستعماري الذى حاولت ايطاليا ان تقيمه وتعليه فى تلك الفترة، وقد اربكت الثورة الشاملة الكولونيل مياني الذي لم يعــد يسيطــر على الوضــع و لم يعــد يحسن حتى التصــرف ازاءه اذ اوجــبدته هــذه الثــورة باستراتيجيتها البسيطة التي تقوم على سرعة الانتقال والتحول فى حالة من التخبط لا يحــسد عليــها فعنــدما علم بوجود تجمع المجاهدين فى الشاطئ الغربي اتجه على رأس قوة كبيرة الي (غــردة) فلما وصلها لم يجد بها شيئا وعاد ادراجه الى براك، وبعد ايام قليلة من وصوله الى براك انفجرت الثورة فى سبها حيث تمكن المجاهــدون من احتلالها، احتلال قلعتها (القاهرة) وذلك فى ليلة ٢٨ نوفمبر ١٩١٤ م وقتلوا واسروا اغلب من كان فــيها ولاذ البعض بالفرار [1] وقــد تمت هذه العملية الناجحة بمساعدة الحرس الفزاني الذي جنده مياني نفسه واضطرت هذه العملية الناجحة مياني الى ان ينجو بجلده وينسحب فى نفــس مساء (اليوم ٢٨ نــوفمبر١٩١٤م) الى ســوكنه دون إن ينتــظر تخليــص بقية الحاميات وانقاذها، وتــلاحقــت الاحــداث بعد هــذا الحا دث الكبــير واصــبحت بقية الحاميات الايطالية المتناثرة فى ارجاء فزان فى حالة سئية وخطيــرة، وصدرت التعليمــات اليها جميعــها بالانسحاب الى الساحل ولكن اصــدار الاوامــر اسهل من تنفيذها فــقد كان مــن العسير جمع هــذه الحاميات المتناثره وضمان وصولهــا الى المــواقع الساحليــة بسلام .. انتهى

١ عودنا الاستاذ التليسي الذي تناول احداث تاريخ الجهاد الوطني في اكثر من كتاب علي الدقة فيما يكتــب، ولا نعرف لماذا نسي إن يذكر اسم قائد المعركة ،،

ونجد فى كتاب آخر وصفا لعـــملية احـــتلال (قـــارة سبها) اكـــثر وضــوحا، والكتاب عنوانه (المقاومـــة الليـــبية ضـــد الغزو الايطالى وتأثــــيرات الاوضـــاع الدوليـــة عليها للاستاذ احمد عطيه امدلل)، ويقول :

لقد افزعت تلك الانتفاضة العقيـــد ميانى فـــتوجه مـــن مركز قيادته فى قاهــره الى براك حيث حشد قواته هناك وفى مخيلته انه بامكانه السيطره علـــى الموقف المتردى واعادة الامور الى نصابهاوعلى حد رأية فى القيام بعملية تأديبيـــة ضـــد الـــثواروالثـــورة التـــى عمـــت وادى الشاطئ ويـــبدو إن اراءه كانت لا تتفق مـــع تقديره ودقة حكمه علـــي الامور عندما توجه الي براك مؤملا النجاح في كبح الثورة وبالمثل كانت خطة المجاهدين التي اعتـــمدت على المناورة الجـــريئة واستـــدراجه الى براك أقـــدر منه وبشكل لا يجـــوز معه المقارنـــة ومن ثم استغـــل المجاهدون هـــذه الفرصة التـــى توافـــقت مـــع خروجه لضـــرب مـــؤخرته ومباغته (قاهرة) فـــى سبهـــا وكان القـــرار الحاســـم قـــد تمثـــل فى إن يسبق هجـــوم (قاهرة) غيرها من الحاميات الاخرى لأنهـــا تمثل مـــركز القيـــادة السياســـية والعسكرية فـــي فـــزان (ومستـــودع جمع المؤن والمعـــدات العسكـــرية الايطالية) وفي هزيمـــتها ما يقطع المدد عن بقية الحا ميات الاخرى مما يجبرها على الهروب دون مقاومة، وكان سا لم بن عبدالنبي الذي وصف بحدة الـــذكاء والنشاط الكبير وبسرعة العمل واتخاذ القرارات الحاسمة في طليعة الصفوف الامامية عند احتدام وطيس القتال قائدا للمجموعة ومن بين من تولى مهمة تنفيذ مهاجمـــة اكبر قاعدة عسكرية بفزان [1] وكان هذا والمهدى السني قبل ذلك قد مهدا لهذه العملية الجريئة بعـــد مراسلات وعلى اتصال مباشر (بسالم قرضه) و(السنوسي بن صالح) الذى زودهما بكل التفاصيل عن اوضـــاع

١ ما حيلتنا اذا كان الاستاذ القشاط يري انها مجرد مركز تموين وليس به الا اقل من مائة مجند اغلبهم من الاريتيريين وكان اغلبهم ينامون خارج القلعة وليس بها الا مجموعة حراسات !!

الحامية الايطالية ومدى قوتها ومراكز توزيعها وعن الطريقة التى ينبغى اتباعهـــا لنجـــاح الهجـــوم وفـــى مساء يـــوم ٢٧ نوفمـــبر قـــام (سالم بن عبدالنبى) [1] بمهاجمة قلعـــة (قاهرة) على رأس عددمـــن الرجال ممـــن عرفوا الاستبسال فى الحـــرب و لم يكـــن لهؤلاء من سلاح غيـــر الايمان بالقضية وبضع بنادق تركية وايطالية إغتنمـــوها فى المعارك السابقة، بالمقابل كان فى الثكنة حامية ايطالية (٨٧) ايطاليا من بينهم ثمانية ضباط و(٨٥) من المجـــندين محليا التابعين للسرية المستقلة و(١٩) عسكريا اريتيريا بالاضافة الـــى قطعتيـــن مـــن مـــدافع الجبال عيار (٧٠ م) واربعة رشاشـــات وكميـــة كبيـــرة مـــن الـــذخيـــرة ومما ساعـــد على إقتحامها إستها نتهم ببعض الحرس الحـــراس ممـــن ارغموا علي التجنيد وكانت اول خطوة اقدم عليها احد المجندين محليا [2] من الثكنة وهذه الثكنة لم تكن نظره مثـــوى او مأوى بل كانت تحت ظـــروف التجنيد التعســـفـــي الذي نظر اليه الايطاليـــون على انه غلـــطة غير قابلة للاصـــلاح من هـــؤلاء وعلـــى حـــد قولهـــم انبعثت منها اول شعلة اوقـــدت نار الثورة ... انتهي

هذا ما جاء في كتابات مهتمون ومؤرخون بحثوا ودققوا واجتهدوا في احـــداث التاريخ الوطني وكانت جهـــودهـــم مشكورة، وان حـــدث بعـــض الخـــلاف او الاخـــتلاف فـــان ذلك ربمـــا راجـــع الـــى اجتـــهادات واستنتـــاجات مـــن خـــلال بعض المراجع التـــاريخية، وذلك باتأكـــيد لايعيـــب هـــذه الكتابـــات، وتصحيحها او الاشارة اليها لا يقـــلل من قيمتها التاريخية، الا ان الاستاذ القشـــاط سامحـــه الله يتجاوز حدود الاجتهاد او الاستنتاج فيغّير ويختلق ويحذف ويضيـــف

١ سالم بن عبد النبي الناكوع وكما اورد المؤلف معه الشيخ سلطان القائدى وعلى بن سالم الجبال ومحمد الدحنوس ومحمد حموده دنه والشيخ الصديق وعلى الشنطه .

٢ كذلك هناك اختلاف في الرواية بشأن العسكري الفزاني ...

وذلك يخل بالحدث ويسئ للتاريخ ويعدّ تزويرا، فمثلا عندما اشار فى كتابه (الصحراء تشتعل) الى معركة الطابونية وما جاء بعدها لم ينقل الا ما اسماه (استسلام الزنتان) كأنما هم فقط الذين استسلموا او كأن العملية كانت في بداية مرحلة الجهاد الوطني وليست فى نهايته عندما نضب الضرع والزرع ! ! وهو اذا نقل عن كتاب العقيد (بيلاردينيللي) الذى اصدر بعنوان (القبلة) والمسجّل لذى مركز جهاد الليبين ضد الغزو الايطالى تحت رقم (٣١٢٧) انتقى جملا وعبارات وقفز بين هذه الاسطر وتلك كما حوّر الكلمات كيفما اراد (لغرض فى نفس يعقوب) فمثلا كلمة (أخطر) يكتبها الاستاذ القشاط (اكثر) فهى قد وردت في كتاب (بيلاردينيللي) (الزعماء الاخطر شأنا) فكتبها القشاط (الزعماء الأكثر شأنا) ورغبة فى جعل الامر مستقيما ننقل من نفس الكتاب الذى ألفه العقيد الايطالى حرفيا أحداث معركة الطابونية وما جاء بعدها ونأمل ممن يأتي ذكرهم من اشخاص او قبائل في هذا النص ان يعلموا انه ورد في ذلك الكتاب وليس من عندنا .....

يقول بيلاردينيللى (مشكلة القبلة)

كانت هناك مشكلة اخرى تتطلب الحل هى مشكلة القبلة تلك المنطقة المترامية الاطراف التى كانت تعتبر فى الماضى على حد تعبير الجنرال (غراتسياني) حجرة انفجار بالنسبة لقطر طرابلس، والتخلص من اخطرتهديد تواجهه قواتنا في هذه الآونة يتطلب القضاء على حشود قوات العصيان فى المثلث (القريات ــ الطبقة ــ الطابونية) الذى اصبح وكرا لتفشي العصيان حيث تجمع مقاتلو سالم بن عبد النبي واحمد السني واحمد البدوى واحمد الصيد مع مقاتلي

الزنتان الرحل الذين ما زالوا متحفزين للقتال، واعداد كبيرة اخرى من المنشقين والغاضبين القادمين من مناطق اخرى (المقاطعات الشرقية والجبل) وفي مثل تلك الظروف كان من المتوقع ان تقوم هذه القوات عاجلا او آجلا بالتعرض لقواتنا في الشمال وعلي خطوط مواصلاتنا مع غدامس وبني وليد، والعداء التقليدى بين الزنتان والمشاشى واولاد بوسيف كان معروفا لدينا ايضا ولذا تمكنا من استغلال هذا الانشقاق لصالحنا ولأسباب يقتضيها توازن تحركنا، نفذنا خطتنا خاصة باولاد بوسيف تارة وبطريقة مباشرة واخرى بواسطة زعماء موالينا لنا ومن ينهم الشيخ عمر بن سَلمَي أحد زعماء اولادبوسيف ومن اتباع عابد السنوسي السابقين الذى رافق احمد العياط الى طرابلس لتقديم فروض الولاء للحكومة في صيف١٩٢٣م.

... ويضيف،

الحملة على الطابونية مارس ١٩٢٤ م ... عندما اصبح من الضروري تسديد ضربة حاسمة للزنتان كوّنت قوة من المجندين غير النظاميين (لا نريد ذكر اسماء القبائل التى تكون منها المجندين رغم ورودها في كتاب بيلاردينيللي) بقيادة كبار زعمائهم مثل (ايضا لسنا في حاجة لذكر اسماء اولئك الزعماء) واختير لقيادة هذه الحملة التأديبية التى كانت ايضا بمثابة استعراض لعضلاتنا فى القبلة (الرائد ايتوري قاليانى) قائد قطاع يفرن الذى كان استعماريا عريقا وضليعا بشئون تلك الاراضى وناسها وبالوضع ككل، كانت تلك القوات المتألفة من ٩٠٠ رجل من المشاة و١٧٠ فارسا من الريايئة ومفرزة مدفعية محمولة على الابل قد تحركت من جادو في اول مارس، وفى يوم ٤ وصلت بئر المرحان (كتبها المترجم، بئر المرهان) لتنظم الى مقاتلى احمد العياط القادمين من

مزده (حيث استطاع تكوين محلة قوامها ٣٠٠ رجل بين اولاد بوسيف والاصابعة والقنطرار) وفى اليوم التالى مضت فى طريقها صوب وادى الخيل حيث ادركتها محلة المشاشى (٥٠ مسلحا) بقيادة محمد بن الحاج حسن، بعد ضم هذه القوات فى فيقل واحد أستأنف الرائد قاليانى مسيرته فى ٧ مارس عبر الحمادة حيث تبين له انه كانت توجد مخيمات كثيرة للزنتان المتمردين، وفى يوم ٩ وفى الجنوب من طريق الناصره (او ناصره) الطابونية تقابل مع طلائع مقاتلى الزنتان عندما كانوا يتأهبون للانسحاب فداهمهم وحطم عددا من خيامهم واستولى على ماشيتهم وفي ظهيرة ذات اليوم ادرك محلات ضخمة للعدو فشن عليها هجوما بالغ العنف تلته معركة تواصلت حتي الغروب وانتهت بانتصار قواتنا انتصارا باهرا الا ان ذلك اليوم المشهود قد عكر صفوه مصرع احمد العياط الوفى، حدث ذلك كما يلي (عندما اقترب العياط برفقة نفر من اتباعه الاوفياء من معسكر العدو قبل وصول القوات الرئيسية اليه، وشاهد جماعة من المسلحين فوق تل صغير ظن انها فرصة ثمينة لتحقيق حلمه فى الانتقام من اعداء قومه فاندفع صوبهم علي صهوة جواده في تهور كامل وما ان تعرف الجماعة عليه حتي امطروه بوابل من عيارات بنادقهم ومازالوا به حتي خر صريعا يتخبط في دمه الا ان قاتليه لم ينجوا من الموت وقتلوا علي بكرة ابيهم، وكانوا من زوائد الحطية (شرقي ادري) الذين حطوا رحالهم مع عائلاتهم ونصبوا خيامهم علي بعد بضعة كيلو مترات من الزنتان وظلوا يجولون بين النجوع لبيع تمورهم التي امتنع عليهم بيعها فوق الجبال، كانوا ينتمون الي قبيلة ظل العياط يقاتلها بكل اصرار حتي كاد يبيدها عن آخرها في السنوات الماضية ... ويتحدث عن ام الخيل فيقول: ام الخيل (١٦ مارس ١٩٢٤ م) بسبب قلة الماء اضطر الفيلق ان يتوقف بوادى الخيل، وفي صبيحة اليوم

التالي تعرض لهجوم مفاجئ شنته عليه محلة قوامها ٩٠٠ مسلح بقيادة ذلك المعلم الرهيب في فنون المكر والخديعة سالم بن عبد النبي الناكوع او (الباكوع)، عندما كان سالم بن عبد النبي متربصا في الطابونية في انتظار الفيلق ابلغه شيخ من الزنتان (كان قد هرب من الاسر وتمكن من الفرار) بمواقع مختلف وحدات فيلق قالياني فغادر الطابونية علي الفور وحل بام الخيل فى ساعة متأخرة من الليل، واغتنم فرصة زوبعة القبلة الهوجاء التي كانت تجتاح المنطقة ليتسلل فى صمت مطبق ويضرب حصارا حول معسكرنا (وما ان طلع فجرالساعة ٤) حتي بادر باطلاق نيران مكثفة عليه، انقض بعدها علي المعسكر ليداهمه باقصي عنف حتي تغلغل الي داخله الا ان قواتنا سرعان ما تمكنت من تدارك الموقف فقاومت الهجوم ببسالة وحزم وتحولنا الى شن هجوم مضاد خاطف اسفر عن هرب شراذم سالم بن عبد النبي وملاحقتها حتي الملاحات، وفى الاشتباكات المتفرقة فقد الزنتان فضلا عن الخسائر الجسيمة فى الارواح كميات كبيرة من المؤن واعداد كبيرة من الماشية، بعد ان كلل مهمته بهذا الانتصار الباهر عاد قالياني مع عصابات خريبش وجلبان الى جادو عن طريق تلاكشين، اما مشاشى محمد بن الحاج حسن فتمركزوا بقوة في فساتو وعاد اولاد ابوسيف الي مناطق ترحالهم المعتادة، وبهذه العملية الموفقة حقق الجنرال غراتسياني الغرضين اللذين يستهدف تحقيقهما، الغرض الاول عسكري وهو تسديد ضربة قاسية اخري لرحّل الزنتان الذين اصبحوا في وضع سوف لن يمكنّهم من عرقلة احتلالنا لغدامس والغرض الثاني سياسي وهو ترسيخ الحزازات والخلافات التي ظلت تفصل الزنتان عن المشاشية وعن بربر الجبل والرياينة والاصابعة وبدافع من حرصه علي تحقيق الهدف الثاني بالذات فضلا عن ضرورة

مواجهه متطلبات التموين والامداد شكل فيلق قاليانـي اساسا من عناصر (الجنود غير النظاميين) الذين برهنوا في هذه المناسبة على مدى تضامنهم وتلاحمهم ليمحوا صفحة عار خيانة (قصر ابى هادى) من خلال ما اظهروه من شجاعة خارقة فى القتال، ويضيف ..

عواقب عملية الطابونية :

كان للانتصار الذي حققته وحداتنا اعظم الاثر في كافة ارجاء القبلة وخارجها ولمس العصاة بانفسهم الدليل المادي على انهم سوف لن ينعموا بالراحة والسكينة فى الحمادة حيث أن قبضة الحكومة باستطاعتها الوصول اليهم وضربهم فى المخابي كانت حتى عهد قريب منيعه لاتدركها الضربة الرادعة، ولللاول مرة يقول غراتسياني فى كتابه اصبحت قوة سلاحنا تشعر بثقلها وخطورتها فى قلب الصحراء الحمادة (يرد هنا التعبير نمتنع عن نقله) اخذ الكثيرمن الخارجين عن طاعة الحكومة طريق الغرب ليلجأؤالي الجزائر وغيرهم عادوا الي اوطانهم الاصلية عن طريق غدامس، نالوت وسلموا الجزء الاكبر من اسلحتهم الا ان الزنتان رغم الاضرار الجسيمة التى لحقت بهم من جراء الانتصارالباهر الذي احرزه العقيد قالياني ضدهم تجمعوا من جديد حول الطابونية حيث تمكنوا بعد زوال الهلع عن روعهم من اعادة تكوين محلاتهم واظهروا رغبة جامحة فى استئناف غاراتهم وغزواتهم، الا ان تقدم فصل الصيف وقيضه ونـدره الامطار وقلة الآبار علي خط مزده القريات وغموض موقف اولاد ابو سيف بعد مصرع احمد العياط كلها امور دفعت قياداتنا الي العدول عن الزحف عن الطابونية ....

اعادة احتلال مزده :

بدا انه قد آن الاوان لأعادة احتلال مزده بصورة نهائية وبواسطة القوات النظامية فارسلت فعلا الي هناك اول تشكيلة من مجندي ككلة والاصابعه غير النظاميين بقيادة رئيس عرفاء شرطة (الكرابينيري المارشال مورو) وهو التنزيونالي أي الوطني الوحيد التي سرعان ما لحقت بها (الجمل الثلاث جاءت هكذا ونقلناهما كما هى) وكان يجب ان تكون (الذي سرعان ما لحق به) الا اننا حرصنا على النقل السليم ولم نغيّر النص (١٠ مايو) المجموعة الصحراوية المركزية بقيادة النقيب (ميانى) لإستكمال قدراتها علي الدفاع، وفي (١١ مايو) اصدرت قيادة القوات امرا بقيام طائراتنا بغارات علي مراكز العصاة فى الطابونية البعيدة وقصفها بعنف حتى يشعر العصاة هناك بقدرتنا على الوصول اليهم اينما وجدوا وبكل الوسائل، وفيما كان الوضع يتطور بهذا الشكل قدم الزنتان (مزبطة) استسلام تحمل تواقيع جميع زعمائهم بمن فيهم سالم بن عبد النبي وكانت قد اعدت منذ ٩ مايو سلمها الي الجنرال غراتسياني فى يفرن مبعوث أفلت باعجوبة من مكامن القبيلة ولفخاخها، وفى (١٥ يونيه) وبعد بث اشاعة مدبرة مفادها ان قواتنا كانت تتأهب للزحف على القريات وصل ايضا الى مزدة قاليانى على رأس الكتيبة الثانية عشرة ليتولي قيادة ذلك القاطع .

عودة جميع اهالي قنطرار :

فى تلك الايام كتب احمد الشريف المناعي رسالة من رويس الطبل الى المرشال مورو يعرب فيها عن رغبته فى العودة الى دياره، وما ان تلقي رداً بالإيجاب حتى ارتاح باله وعاد هو وافراد قبيلته الى منازلهم المتواضعه فى مزدة (اللوطيه) بعد ان سلم

السلاح القليل الذى كان فى حوزته، وهكذا تمت اعادة احتلال مزدة بعد مرور تسعة سنوات بالتدريج وبدون هزات او قلاقل وعلى أي حال بدون تغيير فى العلاقات مع المشاشى وبذلك تكامل تواصل الخط الرابط بين سوف الجين وسناون الذي تمثل مزده جزءا منه حيويا خاصة فيما يتعلق بانعكاسات ذلك على جبل غريان والجبل الاوسط ..

تاثير قصف الطابونية بالطائرات واستسلام الزنتان :

زلزلت غارات طائراتنا عل الطابونية وقصفها بقنابل الغار اركان كيان العصاة من جذورها فانزلت فى روعهم الدعر حتى التدمر وتوقفت فى الحال عمليات الغزو والسلب والنهب بعدما بدات تظهر من جديد هنا وهناك وفي كل مكان تقريبا، ونشبت فتن ومعارك محلية بين قبيلة واخرى حتى اضطر الزنتان اخيرا الى اتخاذ اصعب قرار بالاستسلام، فما كان الرائد قاليانى (يلاحظ ان رتبة هذا قد اختلفت فاحياننا يذكر على انه عقيد واحياننا اخرى على إنه رائد وهذا للتنبيه فقط) المكلف بالاشراف على المفاوضات والسلطة اللازمة بتحديد الكيفية التى يتم بها استسلام الزنتان الا إنه اجرى اتصالات مباشرة مع احمد البدوي فكتب رسائل بعث بها اليه بواسطة الاخوين المناعى احمد ومحمد الشريف للذين كانا وضعا نفسيهما تحت تصرف الحكومة مع تكلفيهما ايضا بنشر الدعاية واسداء النصائح للبدوي لحمله على الاسراع بالاستسلام الصادق والصحيح، فرد البدوي مؤكدا علي صدق موقفه با سراع الضمانات وموقف اتباعه المخلص.ن له مع ابداء التحفظات حول موقف بعض الزعماء كسالم بن عبد النبي الناك ع المرابط بالطابونية ومحمد فكيني في بئر الناصره او (النصره) اللذين كان يظهر تردد عليهما الآن رغم اشتراكهما فى

التوقيع على مزابطه الاستسلام، وما حدث هو إنه على اثر انتشار نبأ إستسلام الزنتان فى ومضة عين هرع الي الطابونية زعماء العصيان (المهدي السني والهادي كعبار) وغيرهما اللذين قاما بمحاولات مع عبد النبي بن الخير لحملهم على العدول عن اعتزامهم هذا وتحريضهم على المقاومة ليس ذلك فحسب بل كان السني يحمل رسائل من زعماء السنوسية تتضمن وعودا بمنحهم العون والمساعدة وايضا المال الذي جمعته اللجان المصرية الا ان الشعب العريض بعد ما انهكته المحن والمتاعب ونال من عزيمته ما استحمله من خسائر وما لحق به من اضرار لم يعد في وضع يمكنه من تصديق وعود وعهود تلك الروح الشريرة المتمثلة فى هذا الداعية الي الفتنة والمروج للضلالة.

وبالتالي قرروا بدون تردد الاستسلام بواسطة مندوبين اختيروا من بين من كانوا يشعرون بانهم اقل تورطا ومسؤلية بالنسبة للحكومة وعلي اثر ذلك قرر سا لم بن عبد النبي الماكر الذي كان يشعر بجسامة الخطايا التى كان قد ارتكابها فى سنة ١٩١٥ م ورفيقاه اللذين كانا على شاكلته عبد النبي بالخير والمهدى السني، قرروا مغادرة المكان والاتجاه نحو الجنوب وبعد ان حشدوا مسلحيتهم تحركوا صوب فزان حيث كان يدفعهم الطمع وسراب جمع الغنائم اضرارا بخليفة الزاوى، وحتى زعماء اولاد ابو سيف وابوبكر قرزه ومحمد بن بشير وغيرهما حاولا من جانبهم (هكذا كلمة من جانبهم حسب ما جاء فى النص) منع الزنتان من الاستسلام رغم انهم كانوا يعرضون علينا وساطتهم لتحقيق تصالح بين المشاشى وهؤلاء وهم خصوم عنيدين بعضهم لبعض وذلك بقصد الحد من المقاومة المسلحة جنوبي مزده مما يخدم مصالحهم دون سواهم وفي ذلك الوقت

ظلــوا يماطلون ويســوّفون و لم يحددوا مواقفهم بوضوح وبدون مواربة من الحكومة حيث انه لم يكن من مصلحتهم استسلام بقية الاهالي بصورة نهائية الا ان الحكومــة اختصرت الطريق بردها علي عروضهــم ورفض وساطتهم وعــدم قبــول اجــراء محادثات معهــم بل اصرت علــى استسلامهم بالشروط المتروكة لتقــديرها هــي، وهكذا تبخّر الاجتماع الذى كان ولاد ابــو سيف يعتزمــون عقــده فى دريــدر (جنوبــى نــسمه) بيــن زعمــاء الزنتــان والمشاشــى، ذلك الاجتماع الــذي كــان من المتوقع ان يسفر عن تحقيق المصلحة بينهم بعيدا عن الحكومة وعن اعارة أي وزن كبير لها وربما عن حمل مدير المشاشى محمد بن الحاج حسن علــى الرضــوخ لوعودهم المعسولة حيث لم يكن لهذا الزعــيم اى مصلحة آنذاك فــى الانفصال عنا ذلك إن طموحه كان يدفعه الى الاستئثار بالسيطرة على القبــيلة وعلــى اولاد بوسيف انفسهم الذين كان يدور فى فلكهم من قبل،كما كان مصلحته ومصلحة قومه تدعوه الى الاحتفاظ بعلاقات صادقة ووفية معنا، اضف الىذلك إن خوفه من انتقامهم منه شخصيا حيث كان المسؤول الاول عن دماء الزنتان التي اهدرت، كان يحمله على هــذا الاحتراس منهم وعدم الاطمئنان لنواياهــم، ومحمد الحاج حســن كان رجلا تســتوجب معاملته بمنتــهى الصراحة .

وكــان لابد من السعى لخلق الــثقة بنا فى نفســه واذا ماحدث وارتاب يوما مــا فــى نوايانا حيــاله ولــم يعد يشعر بضمان نفسه فان ذلك سوف يكون اليوم الــذى ينفصل فيه المشاشى عنا نهائيا مما يترتب على ذلك من عواقب وخيمة بالنسبة لنا امــا اذا استعملنا معه طرق المصــارحة النابعة مــن سياسة الثقــة المتبادلة لأصبح هو وجماعته على العكس من ذلك أداة طيعة فى ايدينا(كما كانوا فعلا)(اللواء غراتســياني)..

عقد اجتماع آخرفى الطابونية حضره احمد بن بشير الشرع ومحمد لامين الجميل الا إن الزنتان رفضوا الدعوة و لم يشاؤا مقابلة المبعوثين ..

وصول مندوبي الزنتان الى مزده (يوليو ١٩٢٤ م)

كان مندوبو الزنتان الذين اوفدوا الى مزده الشيخ احمد بن على التير واللافى بــن بالقاسم والحاج مسعود بن عمار (عن النازحين من مزده) والطاهر الامام واحمد بــن على محمد (عن اللاجئين الى تاقرمين، والصحيح تا غرمين وليســت تقرمين) ومحمد سا لم الجريو (عن زنتان طبقه) والشيخ على بن عيسى (عن قواليــش ككله) تقرر فى ذلك الاجتماع عودة جميع اهالى الزنتان المستقرين وكذلك جميع البدو شبه الرحــل وتسلــيم السلاح، ومنــحت القبائل المقيمة فى الطابونيــة وبــئر الخــرب الأذن بالاحتفاظ بخمسين بندقية بالنسبة للموقع الاول وثلاثون بــندقية للثــانى، فعــاد المبعوثون لأعلام قبائلهم بهذه القرارات وبما إن وصول المستسلمين الى مزدة قد تأخر عن موعده اقلعت طائراتنا التي من نوع (كابونى) لتحلق من جديد فى سماء الطابونية والقريات الا انها اكتفت هذه المرة بالقاء المنشورات التي تلحّ على الاستسلام مــع التهديد بضربهم من جديد بالقنابل فكان هذا التحذير كافيا ليس فقــط لحمل الزنتان وحــدهم بل ايضــا الفارين الــى منــاطق الجــبل الاخرى (غريان ككلــه قصر القــواليش الريانيه الرجبان ترهونه)على الاسراع بالتدفق على مزدة وتسليم اسلحتهم فبتعــاد سا لم بن عبد النبي ورفاقه وعودة النازحين بسرعة وبدون انقطاع انهار مركز العصاة فى الطابونية بالكامل واستسلم كل المندوبين احمد البدوى وغيره من صــغار الزعماء، وبعــد تصفية مشكلة الزنتان وبقــاء وضــع المشاشــى على مــا كــان علــيه بــدون تغيــر، و لم يبــق ما يتطلب الحل الا وضع اولاد بوسيف الــذين لم

يكن موقفهم واضحا مند مصرع احمد العياط .. انتــهى (الصفحات١٨٣ ــ ١٨٤ ــ ١٨٥ ــ ١٨٦ ــ ١٨٧ ــ ١٨٨ ــ ١٨٩ ــ ١٩٠ ــ ١٩١ ــ كتاب القبلــة لبيــلار دينيلــلى) .

هنا نلاحظ قفزات السيدالقشاط وانتقائه سطورا محددة من هنا وهناك وذلك بقصد الاساءة لجهات معينة وذلك لغــرض فى نفس يعقــوب الشئ الذى لا يتفــق اطلاقا مع حــوادث التاريخ واسلوب كتابة التاريخ، واذ اكان الحديث عن القبلة ومعركــة الطابونية وعواقبها يبدأ متتاليا فى كتاب السيد بيلاردينيللى المعنون (القبلة مــن الصفحة ١٨٣ الى الصفحة ٢٠٠) فان السيــد القشاط لم يجد فيه ما يذكر رغم كل المعارك والقصف بالطيران وقنابل الغاز الا ما اسماه استسلام الزنتان نقله محرفا من الصــفحة (١٩٩) وكذلك ماسمّاه الخلاف بين احمد السنى وعبد النبى بالخير وتخلّى الزنتان عــن الاول الذى سحنه الثانى، وردا على هــذا الافــتراء والقــول المسئ نكتفى بنــشر الرسالة الموجهــة مــن (الــزنتان والرجبــان والتــوارق والسبعــــه والغنائــــم والقديرات) الى المجاهــد عبد النبى بلخير التي يجــدها القارئ ضمن ملاحق الكتاب بنصها الاصلى مخــتومة وموقّعة من كل هذه القبائل، علما بان كتاب بيلا ردينيللــى (القبلة) فيه الكثير من التفاصيل عن تلك الحروب والمعارك وعــن ادوار هــذه القبائل فــى تلــك الحرب وكيــف إن ايطاليا استعملت الطائرات وقنابل الغاز للقــضاء عليهــم، اضافــة الى إن الكثيريــن لم يستسلمــوا رغــم الوعيـــد والتهديــد والاغراءات، مثل الشيخ المجاهد سالم بن عبد النبى واذ كان الشيخ سالم قــد رفــض التسليم وهو زعيم جهاد فاننا نعلم إن الزعيم مهما كان لايمكنه إن يستمر فى محاربــة دولة تستخدم الدبابات والمدفعية والطائرات لوحده ومنفرداً، بمعنى إن الاستسلام الذى

تحدث عنه الأستاذ القشاط لم يكن كــذلك، وتذكر لنا اغلب الكتابات عن تلــك الحرب والاحداث إن الذين سلمّوا هم اولئك الذين عجزوا حتى عن الحصول علــى وجبة اكل واحدة فى اليوم، ومتى كان هــذا الاســتسلام او التسليم؟ لقد حدث بعد اكثر من عقد من الزمان فى حرب ضروس .. وفى مناسبة الحديث عن معارك الجهاد هذه نود إن نشير هناالى إن اولئك الذين حــررّوا وأعــدوا كتاب سلسلة معــارك الجهاد الصــادر بأسم(القرضابية ورقمه ٧) وقد أصدروه بأسم مركز جهاد الليبيــين ضد الغزوالايطالى، هذا المركز الذى نحمل له تقديرا عاليا من اجل رسالته السامية ونجّل ما قام به المسؤولون فيه من اعمال جيدة خدمة للتاريــخ الوطنى وللانســان الليــبى وللتاريخ بصورة عامة، اقــول إن هؤلاء الذين اصدروا الكتاب (وبالقطع هــم ليبيون) وقالوا انه كتاب وثائقى مصــوّر بمناسبــة إحيــاء الذكــرى الخامســة والسبعــين لمعركــة القرظابيــة قــد جانبهــم الصــواب فيمــا ذهبوا اليه والمتعلق بمعركة (قارة سبها) وهم اذ اصدروا ذلك الكتاب باسم مركز جهاد الليبيين فانما ينسبون الى المركز ذلك العمل، ونحــن نعتقد إن المركز يعتمد المنهج العلمى فى البحث التاريخى ويتحرى الحقائق ويدقق فى الاحداث، وانه مركز كل الليبيين ولمجمل التاريخ الوطنى الليبى، ولأننا نقدر جهود القائمين على هذا المركز فاننا نرى انه ربما يمكن القول إن الرقابة غير دقيقة على بعض الاصدرات ولذلك جاء الكتاب المــذكور منحازا بشكــل مــؤسف واعــوج واعــرج وبرغــم إن المركز يقــف على رجلين قويتين وثابتيــن فيمــا نعتــقــد!!؟ واذا كان الزمــلاء الذين اصــدروا الكتاب قــد قصدوا تجاهــل بعــض الاحــداث التاريخية فانهم قد أساؤا لأنفسهم وللمركز وان لــم يكن التجاهل مقصــودا فانهم قد قصّروا، وافتراض حسن النية وعدم القصد يجعلنا نصحح مــا نعتقد أنهــم أخطا ؤا فيه وهذا مانراه :

لا نريد مناقشة الموضوع كله وانما نود الاشارة الى أن ما جاء فى شأن معركة (قارة سبها) واحتلالها، ويجب الملاحظة هنا إن الدراسة وما جاء فى ذلك الكتاب لو مر على جميع المعارك دون إن يذكر اسماء قادة تلك المعارك لما كان لنا اعتراض اذ ربما يكون الزملاء الذين اعدّوا الدراسة وأصدروها فى ذلك الكتاب ارادوا تحاشى بعض الحساسيات، الا إن العكس كان هو الصحيح فقد ذكروا اسماء القادة بل نشروا اسماء ستة منهم وهم (عبد النبى بالخير — ومحمد سوف المحمودى — ورمضان السويحلى واحمد الشريف — وحمد بن سيف النصر — وسليمان البارونى) ونحن نعتز بهؤلاء القادة ونجلّهم ونذكر لهم بكل فخر ادوارهم فى قيادة معارك الجهاد الليبى فى الوقت الذى لا نوافق فيه على اهمال غيرهم مهما كانت المبررات او الاسباب اذ إن تلك الاعمال التاريخية ليست ملكا لأحد ولايجب ابتسارها او احتكارها (ونرى إن هؤلاء الزملاء يجب إن يعتذروا ويصححوا ...) وللتذكير نورد بعض ما جاء فى كتابهم وللتأكيد نكرر إن عنوانه (القرضابية سلسلة معارك الجهاد رقم ٧) .. قالوا :

(وامام هذا الوضع المتفجر فى الجنوب امرت قيادة قوات العدو بحشد قواتها المتواجدة فى فزان فى مكان واحد ليسهل الدفاع عنه وقد حشد العقيد ميانى قواته فى براك لمهاجمة قوات المجاهدين المتمركزة فى زلاّف وزحف على منطقة الغردق التى وصلها و لم يجد بها احدا، لأن قوات المجاهدين التى تملك السيرة الكاملة على رمال زلاّف كانت قد تسللت الى سبها وهاجمت قلعة قاهرة ليلة ٢٧ — ٢٨ نوفمبر ١٩١٤ م وفتكت بجنودها واستولت على كافة مخازنها، امام هذا التطور الجديد اسرع ميانى بالانسحاب نحو سوكنه فورا دون انتظار لتخليص بقية الحاميات وانقاذها، وعندما وصل الى سوكنه جاءته إنباء سقوط حامية

اوبارى، اما فى حامية مرزق فان الايطاليين تمكنوا من الفرار فى سيارات ارسلت لهم ولحقوا بميانى اما المجندون الاريتيريون والمحليين فقد تركوا ليواجهوا مصيرهم المحتوم ومعهم كميات كبيرة من الاسلحة والذخائر والمؤن وقد وصلت فلول جيش ميانى المنسحب الى مصراته فى ٢٢ من شهر ديسمبر١٩١٤ م واستولى احمد سيف النصر على الجفرة بعد إن اخلى العدو سوكنه فى ٢٧ من يناير ١٩١٥ م كما تعرض للقوات المنسحبة فى بونجيم وقضى عليها واستولى على مالديها من اسلحة ومؤن وأبل مما اجبر العدو على التخلى عن بونجيم والتحول الى بنى وليد وبذلك انتهت مرحلة من مراحل الثورة ضد العدو وتوجّت بتحرير فزان والجفرة، لقد كان لثورة سبها واجلاء العدو من فزان نتائج بعيدة المدىعلى حركة الجهاد والثورة ضد العدو، فقد اججت هذه الاحداث روح الثورة وزادت من تصميم المجاهدين على ملاحقة العدو وطرده من المناطق الاخرى وتزعزعت ثقة المستسلمين والمتعاونين والخونة مع العدو فى قوة السلطات الاستعمارية وقدرتها على حمايتهم فبدأوا يثورون فى مناطقهم ضد الطليان وينضمون الى المجاهدين وهكذا فقد اعلن الكثيرون من الزعماء والرؤساء عن انضمامهم وجماعاتهم المسلحين الى حركة الثورة وقد عززوا بذلك مركز وقوة المجاهدين واخذوا يهاجمون قوافل الامدادات الحاميات على امدادات طرق ومواصلات العدو وذلك لمنع اى اتصال بين الساحل والدواخل، وهكذا اصبح العدو محاصرا ومع ازدياد الصعوبات امام قوات العدو فقد اجبر على الانسحاب، ويضيف مؤلفو الكتاب فى ٣ من شهر ابريل غادرت قوات العدو تجر أذيال الخيبة مزدة فى إتجاه القريات وفى (٦) منه اصطدمت بها قوات المجاهدين التى هاجمتها فى الوقت الذى كان جنود العدو يهمون

بنصب خيامهم فى وادى مرسيط وقد اثار هجوم المجاهدين المباغت الرعب والفزع فى قوات العدو التي فقد قادتها السيطرة على الموقف وكانت خسائر العدو كبيرة فى الارواح والمعدات وقد تعرضت قوات العدو المهزومة المنسحبة فى اليوم التالى الى هجوم آخر شتت ما تبقى من افراد الحملة وقد قام المجاهدون بارسال الضباط الجرحى الذين اسروهم الى مزدة لتلقى العلاج واستولوا على كافة الموجودات من اسلحة وذخائر وتموين ووسائل نقل آلية وحيوانية، ويقول بيلار دينيللى فى كتابه القبلة : إن بقايا هذه الحملة المشتتة دخلت مزدة بلا ذخيرة ولا امتعة وبلا مؤن ولا مدفعية، إن معركة وادى مرسيط التي قضى فيها المجاهدون على كامل القوة العسكرية الايطالية كانت بداية النهاية للوجود العسكرى لقوات الاحتلال .. انتهى ما جاء فى كتاب (القرضابية بشأن قارة سبها ومرسيط والقبلة) .(ونلاحظ هنا تجاهل متعمد لأسم الشيخ سالم بن عبد النبي الناكوع، فقد ذكروا اسماء القادة فى القرضابية وعندما تحدثوا عن الجفرة قالوا، استولى احمد سيف النصر على الجفرة فلا مبرر إن لايقال استولى سالم بن عبد النبي على قارة سبها وهي اهم معركة قبل كل الاحداث التي اشاروا اليها) ولكن ولأن الكتاب صادر عن مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالى فاننا نرد على ذلك الكتاب بما جاء فى مطبوعات مركز الجهاد نفسه وعلى افواه المجاهدين تاركين الحكم فيما ما قالوا .

وقلنا للقارئ الكريم ...

(ففى سلسلة الروايات الشفوية، الكتاب رقم ١٢) نجد اثنتى عشرة شهادة تؤكد إن الشيخ سالم بن عبد النبي هو الذى خطط وقاد معركة اقتحام (قارة سبها) والاستيلاء

عليها، وهذه الشهادات كما جاءت فى الكتاب المشار اليه .. على الصفحة (٢٧) يقول المجاهد بالقاسم حموده على أن بعد تحدث عن معركتي الشب والدويسة، أما سالم بن عبد النبي فقد أتجه بمجموعته الى (قاهرة) سبها واستولى عليها اما على بن انبيه وكوسه التارقى فقد اتجهوا الى اوبارى وحاصروها لمدة عشرين يوما واستولوا عليها بعد ذلك ..وعلى الصفحة (٥٧) يقول المجاهد ابراهيم المبروك الزيانى عندما سئل (من استولى على قاهرة ؟) قال، استولى عليها سالم بن عبد النبي ومعه المهدى السنى، وسئل مرة اخرى، من استولى عليها ؟

اجاب المهدى السنى كان قائد الدور اما قائد المعركة فقد كان سالم بن عبد النبي ولم يكن عدد المجاهدين كثيرا ولكن النصر من عند الله . وعلى الصفحة (١٣٧) قال المجاهد محمد ارحومه، نحن ذهبنا الى الرمله باهلنا وقد هجمت الناس على قارة سبها واستطاعوا الاستيلاء عليها وانسحب الايطاليون، بقينا بعد ذلك مدة وجيزة ورجعنا، وردا على سؤال ما هو دور سالم بن عبد النبي فى قاهرة ؟ قال، هو رئيس الحملة التي هجمت على قاهرة ..

وعلى (١٢٥) قال المجاهد ضو على بوحنتيره ردا على سؤال من كان رئيسكم؟ قال، سالم بن عبد النبي هو الرئيس اما دليلنا فهو سالم سعد هو الدليل ..

وعلى الصفحة (١٧٩) قال المجاهد زايد محمد امصيلخ ردا على سؤال من كان قائد المجاهدين؟ قال القائد كان سالم بن عبد النبي ولكن قيادة المجاهدين فى زلاف كانت لسيدى المهدى ..وفى كتاب الروايات الشفوية رقم (١) الذى حرره المبروك الساعدى نجد شهادات اخرى ادلى بها المجاهدون حول احتلال قارة سبها، فعلى الصفحة رقم (١٤٧) قال المجاهد عبد القادر محمد عمر، حضرت

معركة جنان بن نصيب ونمار بوعجيله كما حضرت معركة بوغره وكنت من ضمن الجرحى وفقدت عينى اليمنى وحضرت معركة القريات وأول معركة حضرتها كانت معركة (قارة سبها) معركة القاهرة بسبها وكنا حوالى ٢٨٠ شخصا وقد جئنا من خارج سبها جئنا من الرملة وكان رجل حطمانى مجندا من الايطاليين ولكنه تمكن من الفرار والتقينا به وهو الذى اعتمدنا علية وكان الوقت خريفا، وكان معنا مجموعةمن الشرق يحاربون معناوبعد إن قطعنا مسافة اتجهوا الى اوبارى اما نحن فقد اتجهنا الى سبها وسرنا طوال الليل وقد أمرونا نأخذ كل مانجده وكان الرئيس الذى سار معنا هو سالم بن عبد النبى اما المهدى السنى فقد بقى ولم يكن معنا وعند ما اقتربنا من سبها استرحنا الى قبيل الغروب ثم نهضنا وكنا قد ارسلنا شخصا فى الوقت الذى ابتدأت فيه رحلتنا ليستطلع الاحوال فى سبها وهل اضيف عدد من العساكر ام لا وانتظرنا قريبا من سبها ولكنه لم يقدم الينا فطلب الشخص الحطمانى من سالم بن عبد النبى إن يبعث معه شخصا يرافقه ليقوم بعملية الاستطلاع وبعد إن اصبح ميئوسا من عودة الشخص الاول، فاختار معه رجلا وذهب الاثنان الى سبها فوجدا شخصا يقوم بسقاية بستانه فسألهما عن حاجتهما فأجاباه بان لديهما بضاعة ونظرا لأن الايطاليين يأخذون الابل من اصحابها فنحن نريد إن تخفى لديك بضاعتنا ونرجع بابلنا اذا وافقت على قبول البضاعة فوافق الرجل وفى طرف الحديث سألاه عن الايطاليين وهل جاء اليهم مدد من مرزق او تراغن او اية جهة اخرى فاجابهم بانه لم يقدم اليهم اى مدد وعادا الرجلان بعد إن طلبا منه إن يبقى مكانه حتى يعودا اليه وبمجرد وصولهما الينا توجهنا الى سبها، كان الوقت آخر الليل وفى الطريق اطلقنا عيارا ناريا فتحيرت المجموعة وقام سالم بن عبد النبي بتقسيمنا الي اربعة اقسام وكان قسم الذي

مع الرجل الحطماني يبلغ عدد افراده ٣٥ رجل تم اختيارهم بعناية وكان يوجد معهم حصان واحد وقد وصلوا الي اسفل القلعة ولما صهل الحصان اندفع الرجال بسرعة وكان الحطماني يتقدم المجموعة واخترق الخندق وكان توجد تلة بالسور دخل منها الحطماني واتبعناه وفي راس التل يوجد سور الا انه قصير يمكن للرجل إن يجتازه بقفزه عادية فاجتزناه [1] ولما جاء الي الباب وجده مقفولا (يقصد الحطماني) فاشّر لنا بالوقوف وذهب الي ركن به المفاتيح واحظر مفتاحا وطلب منا إن نكون علي استعداد تام وبمجرد فتح الباب تكلم الحراس الثلاثة فاطلقنا عليهم النار وقتلناهم وكان يوجد في القلعة مدفعان وثلاث رشاشات وكان اصحابهما موجودون في الخندق وبمجرد سماعهم أطلاق النيران اشعل احدهم عود الثقاب كان السبب في قتلهم جميعا فقد اطلقنا عليهم النار حين اشعل احدهم عود الثقاب وارتفع صوت الاذان في تلك القلعة ونظرا لانه لم يمض سنة علي الاحتلال الايطاليين لسبها فلم تكن لهم مباني كثيرة وكان اغلب العساكر فى خيام وحين شاهدنا الانوار فى الخيام اخذنا نطلق النار عليهم واطفاواء الانوار ولذلك اوقفنا اطلاق النار وبقينا فى القلعة، كان اكثر عساكرهم من الاحباش وكانوا موجودين الي الشرق من القلعة بعد إن اوقفنا اطلاق النار جاؤا نحونا وهم يصيحون (أمان يا عرب آمان) نحن بدورنا لم نطلق النار عليهم الا انهم حين اقتربوا من القلعة اطلقوا النار فاطلقنا نحن بدورنا النار واسقطنا منهم سبعة او ثمانية رجال وهرب الباقون، الغنائم كانت كثيرة ومن بينها كميات هائلة من التموين (الشاي والسكر والدقيق والارز والقمح)

١ نعتقد اننا لم نخطي عندما ذكرنا في كتابنا (حقيقة معارك الدفاع عن الجبل الغربي) إن الحطماني لم يكن قد اجبر علي المساعدة وانما لابد انه تطوع ليقوم بدور مع المجاهدين اذ لا يعقل إن يجبر ....

وحين رجعنا من قتال الاحباش وجدنا الاهالي ينهبون الارزاق فأمرنا سالم بن عبد النبى إن تمنع الناس من النهب حتي اجتمع الاهالي من البلدان المحيط بسببها واستمروا باخذ تلك الارزاق مدة ثلاثة ايام وبعد ذلك بعثوا الينا من الرملة (٧٠٠) رأس من الابل رجعت كلها محملة وكان من بين تلك الغنائم عدد اثنين مدفع ورشاشات عدد (٣) بالاضافة الي كميات هائلة من الاسلحة والذخيرة ...

وعلي الصفحة (٢١٣) قال المجاهد ابو عجيلة احمد ابو عجيلة :

تجمع المجاهدون فى الرملة وكان الايطاليون متمركزون فى القاهرة وغات ومرزق، والقاهرة عبارة عن تل مرتفع، وعندما تجمعنا كان معنا المهدي السني وكان القائد الذي يجمع المجاهدين هو سالم بن عبد النبي وكان سالم بن عبد النبي هو المخطط والمنفذ لمعركة القاهرة وقد سرنا الي القاهرة حتي اقتربنا منها فى مساء احد الايام وكان شخص من الحطمان اسمه سالم مجندا مع الايطاليين فى القاهرة وهو الذي قدم الينا ... انتهي

هذه نماذج من شهادات المجاهدين الذين اشتركوا فى كثير من معارك الجهاد ومنها معركة (قارة سبها) ولابد إن هؤلاء قد انتقلوا الى الدار الآخرة فى هذا الوقت، وعندما أدلوا بشهاداتهم كانوا كبار السن وشبه عجزة ولا نعتقد إن لأى منهم اغراض او مطامع او انهم كلهم او بعضهم لم يكونوا صادقين، ولقد قدمنا هذه النماذج للتدليل على إن القائد والمخطط والمنفذ لمعركة (قارة سبها) هو الشيخ سالم بن عبد النبى الزنتانى، ونحن بذلك لانقلل من قيمة احد ولا من تضحيات اولئك الرجال الذين قاتلوا الغازى لمدة تزيد على عقدين من الزمان دون إن تكون لهم اهداف

او مطامع غير الجهاد فى سبيل الله والوطن، وما قصدنا اليه هو إن نضع الامور فى موضعها الطبيعى والحقيقى وان نرد ردا بليغا على الخلط والتحريف مهما كان ومن اى كائن، ولكن ربما يصدق على ذلك ما قاله الشاعر العربى :

لن تستقيم امور الناس في عصر ... ولا استقامت فذا أمن وذا رعبا
ولا يقوم علي حق بنو زمن ... من عهد آدم كانوا في الهوي شعبا

لقد كانت هناك كثير من المعارك التي ابلى فيها المجاهدون بلاء رائعا رغم عدم معرفتهم السابقة بالحرب المنظمة وعدم درايتهم باحوال العدو وجنده، واسلحته ومآثرهم لابد إن تذكر فى هذا الفصل من الكتاب بالشكل الذي خلدهم به الشعر الشعبى، وهو شكل من الشعر الجهادى الذي يطرب ويحزن فى نفس الوقت ذلك أن الحرب حتى مع النصر جروحها كثيره واضرارها اكثر، كذلك هي حالة الهجرة وترك البلاد قسرا الشئ الذي لاسابق لليبي به فى أى وقت ونظن انه لن يحدث مهما كان العدوان والتكالب، وكان المجاهدون فى البداية او قبل أى معركة يطلبون من احدهم رفع صوته (بالمهاجاة) والمهاجاة ليست فى معناها كالهجاء فى اللغة الفصحى وانما هى ترنّم بصوت شجّى لأبيات شعبية تؤجج مشاعر الوطنية والفداء، فمثلا كان المهاجى يقول :-

احنا وطنا ما نخلّوه ... للي جاى جاه دراف
واحنا وطنا انفكّوه ... علي لايذات المعارف

او كذاك الذى كانوا يرددونه بصوت جماعى شجىّ خلال معركة (فروتن):

مـــن الغـــرب ســيدى الســنى   ومن الشـــرق ســيدى العابـــد
ياحصـــــلتك يـــــا مطلـــــين   حصــــــلة جمــــــل في مجابــــد

وكذلك النوع الآخر من الادب الشعبي الذي يمثل هجاء الفصحى ويسمى (معايره) او عزّار مثل قول الشاعر (حسن درويش) : ـــ

تّراس ســـلم دقرتـــا واحلاطـــا   إيدير صالحا واحزام بو شـــواطا
تّـــراس ســـلم دقرتـــا لغـــيره   ايدير صالحا واحزام فيـــه مريـــرا
يـــا خـــالقي لا تـــذهبلنا شـــيرا   ولا تخدموا شرشـــور لا برواطـــا

وللسيدة (عنايا) بنت الشيخ سالم بن عبد النبي ابيات جميلة تعّزر فيها من يتخلى عن البندقية او يركن الى الراحة ومهادنة الاعداء، تقول : ـــ

انهار البنادق يطلعوا من أيـــديكم   تبدوا ولايا أفدرجـــة ام عصـــابا
ولد طاليا ماهوش ممـــن فـــيكم   من يوم مرداس الكـــرم والغابـــا

وبلاغة البـــيت الاول تأ تي ليس من كونه تعزيراً فقط وانما هي تقـــول (تبـــدو ولايا) وهذا يعني في درجة امرأة لاتعمل شيئا غير ربط رأسها تأكيدا على انها انثي أى انها حتى بالنسبة للولايا تجعل فـــرق واقل تلك الفروق مستوى هى تلك التي لا تعمل شيئا غير التّزيين باعتبارها أنثي ....

وللسيدة فاطمة عثمان بن الحاج حمد شعر جميل وان كان متوجعا بســـبب مـــا كانت ترى مـــن ظلم واقع علي ابناء بلادها من الغازى الاجنبى وتلك المشانق الـــتى كانت تنصب في الميادين لقتل الاحرار، تقول :

خرابين ياوطن مافيك باقى   انجلّي انكادى   ايبّض العقل بعد الســـوادى
ندهتكم يا مشايخ بـــلادى   انجو عند بالى   في يوم حامى عليهم ايكالى
في يوم حامى عليهم ايـــزر   عجاجه اكـــبر   وتفاح لسلام كيف المطـــر
ايباتن مطاويح روس الكفر   تحت النعـــالى   هاناك نزهى ويطمان بـــالي
خرابين يا وطن مافيك عيله   عدوا جـــزيله   ولا زول بمواجعى نشكـــيله
لى جوف ياناس مثل الفتيله   ســـامر ليـــالى   ويارب خالقنا عاليك التكالى

وكانت المرأة الليبية تشد ازر الـــرجال وقت تلك المحـــن التى تعرضت لها البلاد من عـــدو غاشم واكثـــر الاوربيين تخلفا اعتمـــد علـــى القتـــال والاعتقـــال والتنكيل، وعندما بدأت اول معركة شنها أؤلئك الغزاة تنادى الناس من كل حـــدب وصوب فـــى ليبيا وقـــد غاب طـــويلا اولئك الذين جـــاؤا من مناطق بعيدة عن طرابلـــس وانقطعت اخبارهـــم عـــن ذويهم فكان إن بعثت امرأة هذه الابيات تسأ ل وتطلب الرد ذلك إن القلق قد استبد بالعائلات والاطفال جراء ذلك الغياب والبلاد في حالة الحرب، تقول :

دّزولنـــا يلـــى ابعـــاد جبـــاكم   خطّين ينبونا علـــى طـــرواكم ..

ولقـــد تبارى الشـــعراء كما يتبارون في القتال، تباروا في الـــرد علـــي هـــذه الابيـــات التي ارسلتها الشاعرة مؤكـــدين إن الاسلام بخيـــر وان النصـــر بجانـــب المجاهدين باذن الله، ولقد اختـــرنا بعض المعارك التى تناولـــها الادب الشعبي ليبقيها في ذاكرة الناس حية، والمعارك كثيرة الا اننا اردنا إن تكون هـــذه نمـــاذج لمـــا للشـــعر الشعبي من دور في الجهاد وفي احداث التاريخ : وهذه اول معركة وادي الخيل :

هذه المعركة حدثت مباشرة بعد معركة الطابونية ولقد حدثت في وقت اعتقد فيه الايطاليون إن زخم النضال الوطني قد تراجع بعد الضربات العنيفة التي وجهوها للمجاهدين في مواقع اخرى، ولم تكن بين معركة الطابونية ووادي الخيل غير ثلاثة ايام ،والمعركتان حدثتا في المنطقة التي قال عنها قائد القوات الايطالية الجنرال (غراتسياني) انها قبر مفتوح او انها حجرة الانفجار كما سماها العقيد بيلاردنيللي (حجرة الانفجار في القبلة) وهي مركز ومقر المجاهدين الذي استعصى على الطليان رغم تفوقهم عددا وعدة، ويذكر الاستاذ التليسي معركة الطابونية كما يالي :

(تدخل هذه المعركة في نطاق الحملة العسكرية التي شنها الايطاليون على المجاهدين من قبائل الزنتان الذين عرفوا بصمودهم ومقاومتهم العنيدة للاحتلال الايطالي وسيطرتهم علي هذه المنطقة سيطرة تامة الامر الذي دفع الايطاليين الى الاعداد لحملة قمع واسعة ضد هذه القبائل، وقد جرد الايطاليون حملة مكونة من الجيش الايطالي والقوات غير النظامية بقيادة الماجور (قاليايي) الذي زحف يوم ١ مارس ١٩٢٤م من جادو نحو بئر مرهان (١) وودي الخيل واشتبك هناك مع قبائل الزنتان المرابطة عند بئر الناصرة والطابونية يوم ٩ مارس ١٩٢٤ م وقد استطاعت القوات الايطالية إن تتغلب في البداية لكن هذه القبائل لم تلبث إن عادت في المساء بقوة اكبر وشنت هجوما عنيفا على العدو واستمرت المعركة دائرة الرحي حتي ساعة متأخرة من المساء وتعترف المصادر الايطالية بعنف المعركة، وتقول المصادر الايطالية انه قد سقط من المجاهدين في المعركة حوالي ستين شهيدا كما استولى الايطاليون علي عشرة آلاف رأس من الغنم وقتل في هذه المعركة احمد العياط الذى كان مواليا للايطاليين،

وتحول المجاهدون من الزنتان عقب هذه المعركة الي ودىّ الخيل حيث نشبت هناك معركة جديدة ... انتهي [1]

وفى ودى الخيل كانت المعركة التى تغنى بها الشعراء الشعبيون والتى اكدت للايطاليين ان المجاهدين ما زالوا فى عنفوانهم وإيمانهم بقضيتهم ذلك ان معارك اخرى فى اماكن اخرى من التراب الليبى كانت تدور فى نفس الوقت، وهذا نموذج من الشعر الشعبي الذى خلد تلك المعركة يقول الشاعر عمرالقحيص :

ترى خبر يا ودىّ الخيل — احكى تفصيل — شن داروا فى بوبرطيل
خبر شن صار وفهمها — للناس الحضار — بين المسلم والكفار
قالوا صار إنهار طويل — فيهم يادارو — بازار حمامات الدم اتسيل
فراسين وشجعان كبار — عوايدهم من جيل لجيل
جوهم من غادى فى اخشوم — اللى قرب الوادى
عقب الليل كتح المادى — ودار البارود تزلزيل
وديما يغلب هللى بادى — وهللى راقد موش رحيل
حاطت بيهم ناس آبادى — خلصوا منهم باوفى كيل
با لجمله جا تا اترد — الثار ولا تركاته
وحلفت با للّه لا فاتاته — ها لفرصه ما لهاش مثيل
بكل شجاعه طبآته لا — قاوم لا عندا حيل
ضربوا جيشا راح شتاتا — بو مشطه قاصد وطويل
جاته جمله كل الناس — اللى فى الطابنويه

١ الواقع إن الاسم هو بئر المرحان وليس المرهان ، والمرحان قبيلة من الزنتان) .

جاتــه ضــربه شــيطانيه   امنين لا دوا بيه رجاجيــل

وهان اســلاحه والتقليــه   وحدد كذبــه والتــدجيل

ولقد صار مطلع هذه القصيدة (ترى خبر ياودى الخيل) ملهما لاغلب الشعراء الذين نظموا شعرا فى ذكرى هذه المعركة، وفصاغوا الكثير من القصائد البليغة الرائعــة، وتحدث عن المعركة كثيرون من اولئك القادة الطليان مــن أمثــال (بيلاردنيللــى) (غراتسيانى) الخ ونجد غراتسيانى بعد ان تحدث عن معركتى الطابونية والنصره مزهوا بما حققه الجند الايطالى فى معركة غير متكافئة، نجده يتحدث عن بدايــة معركــة ودى الخيل فيقول (وبعد ان امضى ألألاى ليلته فى مكان (العمليات) وصل الى محلات الثوار يوم ١٠ والى (وادى الخيل) يوم ١١ وبقى فيها حتى يوم ١٦ وفى الصباح قامت محلة كبيرة من الزنتان يشد ازرها عناصر اخرى من الثوار بقيادة سالم بن عبد النبى الطاعن في السن بمهاجمة معسكرنا بمنتهى الشدة وتلت ذلك معركة عنيفة ولكن رجالنا تغلبوا علي الخصم الذى ولى الادبار الى الطابونية) [١] .... انتهى

لم يذكرهذا الجنرال شيئا عن الحالة التى كانت عليها القوات ايطالية ومجنديها في بداية تلك المعركة كما فعل غيره ونرى تلك الحقيقة في كتابــات اخــرى مثــل العقيــد (بيلاردنيللى) الذي يقول :

(كانت هناك مشكلة اخرى تتطلب حل وهي مشكلة القبلة، تلك المنطقة المتراميــة الاطراف التي كانت تعتبر في الماضى على حد تعبير الجنرال (غراتسياني) حجرة للانفجار بالنسبة لقطر طرابلس، والتخلص من اخطر تهديد تواجهه قواته في هذه الاونــة يتطلــب القضاء علي جنود تجمع مقاتلو سالم بن عبدالنبى واحمد السني واحمد البدوى واحمد الصيد

١ كتاب نحو فزان ، تأليف الجنرال ادولفو غراتسياني ص ٢٦٥

مع مقاتلى الزنتان الرحل الذين مازالوا متحفزين للقتال، واعداد كبيرة اخرى من المنشقين والغاضبين القادمين من مناطق اخرى (الجبل والمقاطعات الشرقية) وفى مثل تلك الظروف كان من المتوقع إن تقوم هذه القوات عاجلا او اجلا بالتعرض لقواتنا في الشمال وعلــى خطوط مواصلاتنا مع اغدامس وبن وليد وعندما اصبح من الضروري تسديد ضربة حاسمة للزنتان كونت قوة كبيرة من المجندين غير نظاميين واختير لقيادة هذه الحملة التأديبية الــتي كانت اعدادها بمثابة استعراض لعضلاتنا في القبلة، الرائد ايتورى ڤاليانى قائد قطاع يفــرن الذى كان استعماريا عريقا وضليعا بشئون تلك المنطقة وناسها وبالوضع ككل) [١]

كانت تلك القوات تتألف من (٩٠٠ رجل من المشاة و١٧٠ فارسا ومفــرزة محملة على الابل قد تحركت من جادو في اول مارس وفي يوم ٤ وصلت لبئر المرهان [٢] لتنضم الى مقاتلي احمد العياط القادمين من مزدة حيث استطاع تكوين محلة تتكون من ٢٠٠ رجل[٣] بعد ضم جميع هذه القوات في فيلق واحد استانف الرائد (ڤاليــانى) مسيرته وفى يوم ٧ مارس تبين انه كانت توجد مخيمات كثيرة للزنتان والمتمردين، وفي ٩ مارس وفي الجنوب من طريق بئر النصرة او(الناصرة) الطابونية تقابل مع طلائــع مقاتلى الزنتان عندما كانوا يتاهبون للانسحاب فداهمهم وحطم عددا من خيــامهم واستولى على ماشيتهم، وفى يوم ١٦ مارس وبسبب قلة الماء اضطر الفيلق إن يتوقف فى (وادى الخيل) وفى صبيحة اليوم التالى تعرض لهجوم مفاجئ شنته عليه محلة قوامها (٩٠٠ مسلح) بقيادة ذلك المعلم الرهيب فى فنون المكر والخديعة سالم بن عبد الــنبي الناكوع (الباكوع) عندما كان سالم هذا متربصا فى الطابونية فى انتظار الفيلق ابلغه

١ بئر المرحان وليس المرهان كما جاءت في كتاب بيلاردينيللي وقد اشرنا تايها عدة مرات ...

٢ هنا ايضا ذكر المؤلف اسماء القبائل التي ينتمي اليها المجندون الليبيون عملاء الطليان ...

٣ كتاب القبلة يأليف العقيد بيلاردينللي صفحات ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ....

شيخ من الزنتان (كان قد هرب من الاسر وتمكن من الفرار) بمواقع مختلف وحـدات قاليانى فغادر الطابونية على الفور وحل بودى الخيل فى ساعة متأخرة من الليل واغتنم فرصة زوبعة القبلى الهوجاء التي كانت تجتاح المنطقة ليتسـلل في صـمت مطبـق ويضرب حصارا حول معسكرنا وما إن طلع فجر (الساعة ٤) حتى بادر باطلاق نيران مكثفة عليه انقض بعدها علي المعسكر ليداهمه باقصى عنف حتى تغلغل الى داخلـه الا إن قواتنا سرعان ما تمكنت من تدارك الموقف فقاومت الهجوم بيسالة وحزم وتحولـت الى شن هجوم خاطف مضاد اسفر عن دحر شراذم سالم بن عبد النبى ولاحقتها حتى الملاحات، وفي الاشتباكات المتفرقة فقد الزنتان فضلا عن الخسائر الجسيمة فى الارواح وكميات كبيرة من المؤن والعتاد وعدد كبير من الماشية .... انتهى.

ذلك ما رواه كتّاب العدو خصوصا العسكريون منهم، وقد تواترت روايات كـثيرة فى كتب اخرى عن تلكم المعارك وعلي الرغم من إن العسكريين الايطاليين لم يشـيروا الى الاسلحة التى استخدمت فى هذه المعركة ضد الثوار (وذلك بطبيعة الحال مفهومـا لأن تلك الاسلحة محرمة دوليا) وقد اوردها الاستاذ التليسى بوضـوح ودقـة فى كتابـه (معجم معارك الجهاد فى ليبيا) حيث قال :

(بعد معركة الطابونية انتقلت القوات الايطالية الي ودى الخيل الذى وصلته يـوم ١٢ مارس ١٩٢٤ م وذلك لتأمين الحصول على المياه واستيفاء المعلومات عن المواقع الـتى تحول اليها المجاهدون من الزنتان بعد معركة الطابونية قدفوجئ العـدوبهجوم شـنه الزنتان الذين خاضوا معركة الطابونية التى سلبت فيها مواشيهم، وتقدر هذه الحملـة بحوالى ستمائة مسلح استشهد منها ستون بعد إن كبدوا العدو خسائر فادحة وعـادوا الى مواقعهم في الطابونية ولجأت القوات الايطالية الى استخدام الطائرات في رمـيهم

بالقنابل كما قامت بالقاء الغازات السامة بمحاولة شريرة دنيئة لاخماد المقاومة التي رفع الزنتان لواءها في هذه المنطقة .... انتهي [١]

تلك كانت واحدة من مئات المعارك البطولية التى خاضها المجاهدون الليبيون، ونكتفي بهذا القدر وننتقل الى معركة اخرى وملاحم اخرى ....

خرمه ابو غره :

هذه المنطقة شهدت عدة مناوشات ومعارك اهمها معركتان عرفتا بهذا الاسم، كانت الاولى فى ٨ يونيو ١٩١٥ م والثانية ١٢ يونيو ١٩٢٨ م، أى إن الاولى كانت ضمن المعارك المتوجه للاعمال البطولية التي قام بها المجاهدون الليبيون (معركة قـارة سـبها ومعركة اوبارى ومعركة مرسيط ومعركة القرضابية الخ) هذه المعارك التي حقق فيها المجاهدون الليبيون اهم انتصاراتهم فى تاريخ الجهاد الوطنى، وهى وان جاءت بعد هذه المعارك فقد حاول الايطاليون إن يتباهوا بما حدث فيها واعتبروا نتائجها مؤثرة وفعالة فى احداث القبلة فيما بعد، والحقيقية غير ذلك تماما اما المعركة الثانية في خرمة ابـو غره فقد جاءت في وقت اعتقد فيه القادة العسكريون والسياسـيون الايطـاليون إن جدوة النظال الوطني قد خفتت وان عزائم المجاهدين قد فلت وانه لم يعد هناك مـن صعاب امام جند ايطاليا في الشاطئ الرابع ولكن جاءت المعركة مخيبة لأما لهم وقـد ذكرها الاستاذ التليسى فى كتابه (معجم معارك الجهادفى ليبيا) كما يلى : [٢]

(وكان من الطبيعى ان يتجه الاهتمام الايطالى الى أحكام السيطرةعلى القبلة، خاصة

---

١ كتاب معجم الجهاد في ليبيا ، التليسي ص ٥٢٨

٢ نفس المصدر ص ٧٣ .

ان الهدف من عمليات الجفرة والواحات الجنوبية كان هدفا تمهيديا من اجـل تحقيـق السيطرة الكاملة على فزان والمناطق الجنوبية من ليبيا والقضاء على احتمالات العودة الى اى وضع يشبه الوضع الذى قام فى سنتي ١٩١٤ م و ١٩١٥ م ويلاحظ هنا تغير الاستراتيجة الايطالية فى عملية أحتلال فزان الثا نية واختلافها عن العملية السابقة التى تمت فى عهد ميانى فى خط رأس دون الأطمئنان فيه الى الجوانب والمؤخرة اما فى هـذه المرة فقد مهدوا لعملية احتلال فزان بالسيطرة اولا على الشريط الساحلى واحكـام الربط بين الولايتين ثم الاستئلاء على الجفرة وزلة والواحات الجنوبية من برقة واخـيرا القبلة التى ظلت حتى سنة ١٩٢٨ م خارجة عن نطاق السيادة الفعلية لايطاليا وقد اتخذ منها قادة الجهاد قواعد لعملياتهم ضد مواقع العدو ومراكزه وقـام المجاهـدون فعـلا بمحاولات لعزل الحاميات الايطالية وقطع خطوط المواصلات خـلال شـهر يونيـو ١٩٢٨ م مما دفع بالايطاليين الى تحريك قوة كبيرة لاحتلال القريـات (١٥ يوليـو) وشهدت المنطقة عدت اشتباكات ومعارك منها (خرمة ابو غرة) ... انتهي

اما الجنرال غراتسياني و هو الذى تولى قيادة الحملة فقد قال (ان المكان يرتبط بـذكرى غير مجيده اذ تعرضت احدى فرقنا الوطنية فى هذا المكان للتدمير التا م، وكان محمد بن حسن هوالمحرك لهذا العمل الحربى الذى افاده شهرة وامتيازا حربيا) انتهى..

ولأن معارك خرمة ابوغرة كا نت فى مرحلتيها ذات معنى ومغزى فقـد تغـنى بهـا الشعراء وتحدث عنها المجاهدون الذين شاركوا فيها وأولئك الذين سمعوا عنها ..

يقول الشا عر المهدى مفتاح جلغم :

صار اليوم للطليان فى بوغره كمـل … لين ميتـهم غلـب مـن كـره
جوه جماعه اخفاف الغـدد لكـن … اصحاب شجاعه لين سلم فى الخزين
امتاعه والناس ما لقيت عليش اتكره

وبين ما وصل بعضه وثبت واستاعه … تريح اوصارت فى العبـاد مضـره
قعد بينهم راسم اطناشـن سـاعه … يزوى كما حس النحل فى الجـره
جوه ضرارى واخذين عاده من عوائد ضا رى
عابين علسوق الـدعاك سـوارى … ونـاقلين الطيبـة والمـره
خلوهم ذوارى تبن بـين مـذارى … ذبابه تقفـن سـعى ليلـة قـره
صارت هجمه عقاب الليل ساعة النجمه
اخفاف العدد لكن تريس ابعزمـه … اوهـو فى ثـلاث آلاف عشـر
جيش قريسيا نى اجنده با للزمه من … غير البا نده كل حـد مـن بـره

ولقد كانت القصيدة طويلة اكتفينا منها بهذا القدر الذى يفى با لغرض...

ولم يختلف الكاتب الايطالى (بيلاردينللى) فى كتابه (القبلة) وحديثه عـن معركـة (بوغره) الاولى عن حديث الجنرال (غراتسيانى) ذلك ان كلاهما يمجد بطولات الجنود الطليان والمجندين ويحاول التقليل من قدرة وشجاعة المجاهدين وذلك فى الواقع لا يهمنا كثيرا فهو جزء من الدعاية والتهويل للحيلولة دون انهيار المعنويات بين الجنود الذين قد يفقدوا الثقة فى قادتهم والقدرة فى معاركهم .

ونعود الى الشعر الشعبى ودوره فى تمجيد العمليات الجهادية، يقول المجاهدعبد الـرحمن خليفة الحواس انهم عندما كانوا في بوغره جاءهم على البصباص وروى لهم هذه القصـيدة، ولا نعرف ما اذا كان البصباص هو القائل ام غيره [1]

صار يـوم في خرمـة بـو غـره … الشح تعرا جاء المسلم للكافر ضره
جـاء المسـلم للكـافر ناشـه … ودار خباشـه فى الكفـار

١ ديوان الشعر الشعبي ، المجلد الثاني ص ٦٤

الكـافر في ملصـاق خشاشـه … مـابين الغفـه والانظـار
لعبـوا بيـه اولاد رواشـه … لعبـة قطـوس علـى فـار
ايقولـوا فلاقـه متناشـه … وهم اسـلام أصـحاح انصـار
مـن صـنعة يـده يتغاشـى … بقصـبا يـه ومشـطه وازرار
ايجيـب الملبانـه تتماشـى … فى شـل الفـارغ نطـار
يلـوح فى الفـارغ بقشاشـه … فى شـغل الفـارغ فطـار
بـوه روايـه مـوش دهاشـه … كولونيـه فنيـت فى نهـار
لـو مـوش دراوش درواشـه … مـا عـود ايعإنـد منشـار
أيلاقـوا فى شواشـين احباشـه … لضـرارى اشـراف وأحـرار
شـ جـاب اللـى دايـر فاشـه … للـى دار أحـلاط اسـطار
ـن جـاب المسـلم لفلاشـه … شـن جـاب العـالم لشـعار
وشـن جـاب العفـار لباشـه … وشـن جـاب الجنـه للنـار
الـبى اللـى يشـهوه فى قلاشـه … حـر خـبطهم كـف وطـار
وصـفق صـف لعـب دياسـه … وخـش سـرير اتقـول بحـار

الي اخر القصيدة وهي كذلك طويلة جدا وكانت بليغة وكلماتها رقيقة كالنسيم مفعمة بالمعاني والفخر، وقد تجاوزت ابياتها المئة بيت انهاها الشاعر بقوله :

انشا لله أيفـوت المـالح غـادى … ايهج البره ورزقه للاسلام اتكـره

جندوبه اوالاصابعه ،،،

عرفت المعركة باسم جندوبه، أى المكان الذى وقعت فيه وجاءت مباشرة بعد معاهدة الصلح والاتفاق التركى الايطالى الذى اضطرت بموجبه تركيا إن تتخلى عن ليبيا وكـان

المتوقع إن تكون لأيطاليا اليدالطولى والحرة في هذا البلد الذى اريد له إن يكـون غنيمـة لأيطاليا يعوضها عن خسائرها فى كل مكان من اريتيريا والصومال ذلكم البلدين اللـذين احتلتهما ايطاليا واكتشفت فيما بعد إن تكاليف احتلالهما اكثر من عائد البقاء فيهما والواقع انه بالاضافة الى الفائدة المرجوة من احتلال لليبيا فان المخططين الايطاليين وخصوصـا فى العهد الفاشى ارادوا إن تكون لهم ميزة استراتيجية للضغط على كل من بريطانيا وفرنسا لأن أحتلال ليبيا يضع مناطق نفوذ الدولتين بين فكى الوجود الايطالى فى افريقيا، ولقد حاولت تركيا رغم ظروفها القاسية فى مواجهة تلك الانتفاضات التى برزت فى منطقـة البلقـان وكذلك مشاكلها الداخلية، حاولت إن تحافظ على ماء الوجه فيما يتصل بليبيا وخروجها منها فارادت إن تضع بعض الشروط مثل السلطة الدينية للسلطان فى ليبيا كذلك تحقيـق مكسب ما لليبيين يعرف باسم الحكم الذاتي وان كانت ايطاليا لم تولى ذلك أى اهتمام لأنها ترى فى نفسها القدرة على فرض شروط القوى القادر فىمواجهة سلطة اصبحت تسـمى الرجل المريض، سنرى فى الرد التركى على الانذار الايطالى وكذلك قرار السلطان العثمانى بشأن ليبيا المنشورين فى اخر هذا الكتاب كيف كانت محاولات تركيا مع ايطاليا وكيـف كانت العجرفة الايطالية في الردود والقرارات (النصوص في آخر الكتاب) ومن المعروف إن المناضل (سليمان الباروني) والقادة الذين كانوا معه قد ادركوا منذ البداية اهمية الوقوف فى وجه القوات الايطالية بعد إن احتلت ايطاليا كلا من سوانى بن يادم والعزيزية وفندق بـن غشير ثم العجيلات والزاوية وغريان، ادركوا إن الهدف هو احتلال الجبل بكا مله كتهيئة لأختلال باقى الاراضى الليبية فاذا كانت القوات الايطالية قد سيرت حملة على الجنـوب مبتدئة من سرت الى مرزق فمن المؤكد إن احتلال غريان انما هو خطوة في اتجاه احـتلال الجبل وبالتالى وضع جميع المجاهدين بين فكى الكماشه الايطالية، وهو ما حدث فيما بعـد وان اختلفت الاوضاع، حدثت معركة جندوبة فى (٢٣ مارس ١٩١٣ م) ولقد احتـل

الايطاليون منطقة الجبل الغربى بعد معركة الاصابعه (جندوبه) على الرغم من المقاومة التى واجهوها من قبل المجاهدين، وقد احتلوا يفرن في ٢٧ مارس والزنتان في ٥ ابريل وجادو فى ٦ ابريل ونالوت فى ١٢ ابريل، وفى نفس الوقت كانت هناك قوات ايطالية اخرى تتقدم في خط مواز للجبل أى (من بئر الغنم الى زواره) ثم الجوش لتلتقى مع قوات الجبل فى جـادو وبعد ذلك تتجه القوات الى نالوت كرأس حزبه واخرى منها تتجه الى مزده ... وكـان للادب الشعبى اسهاما كبيرا فى تخليد هذه المعركة، فقد ذكر منصور سعد قرزه إن محمـد عمر على قد روى له شعرا عن معركة جندوبه من نظم الشاعر با لقاسم الممهور، يقول :

طوابير جـوا للحـرب لاقينـاهم　　　مشو قهر تفتاف الرصاص هفـاهم

طوابير جـت بالجملـة وجـابوا　　　عسـاكر ياسـرا مثيـل النملـة

لاتفرز المكسـور لا للـى يمـلأ　　　ولا تفرز الطايح من اللى جـاهم

واحنا عبينـا بحسـاب الكملـه　　　وهما عبـو منـا قليـل نجاهم

طـــوابير جـــت تداعـــه　　　طوابير جـو مـن طاليـا فزاعـا

بقص بينا فى الصبح فـاول سـاعة　　　أشابيب من مازق غزير رمـاهم

بدو ضـنا لجـواد غـير بضـاعه　　　لكن جيـوش الكفـر عوقنـاهم

طوابير جـو للحـرب لاقينـاهم　　　مشوا قهر تفتاف الرصاص هفاهم

وبعد الاحتلال غادر المجاهدون الى القبلة ليكونوا في مأمن ولتستقر اسرهم وماشيتهم هناك بحيث يمكنهم إن يخططوا لحرب طويلة وهجمات خاطفة أى (حرب عصـابات) وهناك فى الحقيقة من هاجر الى خارج البلاد اذ انه ليس في مقدور كل الناس إن يعيشوا فى الصحراء ويتحملوا شظف العيش فيها، وفى قصيدة طويلة للشاعر (علي بن حسن المصراتي) الذى كان قد شارك في مختلف المعارك ومنها معركة الهانى، ولما تغلب الايطاليون علـى

المجاهدين فى هذه المعارك قرر إن يهاجر الى تونس ولما كان الايطاليون وقتئد قد احتلـوا ازواره فقد قبضوا عليه هناك وسجنوه الا إنه بعد فترة تمكن من الهرب الى تونس، ومن هناك بدأ يناجى بلاده ويحث مواطنيه على الاستمرار فى الجهاد، وكانت تلك هى الفترة الاولى من الغزو الايطالى و لم تكن احوال المجاهدين قد تنظمت مثلما حدث بعدئذ أى بعد (معارك قارة سبها ومرسيط والقرضابية) كان يقول :

هنى بال من ساكن خلا وسريره　　　لاصليب لا ناقوس لابنديره

من يركب تليله شقرا وسلسل احلاطه فوق منه ودقره لها زناد قاسى تل عالى زقره سالك الشظه ريحة التدويره :

ويدخل نهار الحرب يظهر طقره　　　يمسح غشاش القلـب والتكـديره

ياجد الهون وتنفلـق هـالوقره　　　اللى من زمان امغونته فى ضـميره

ويصبح غنى بعد احتياجه وفقره　　　ساهل على المولى قريـب خـيره

حديث ما يتعجب فيه فاهم يقرا　　　علاش يصرف فيه جهـد وغـيره

ايدق العدو وتصقى دراه الكبده　　　وهى بيه تصـفق مثيـل الطـيره

وكان ربنا وجه رضـاه العبـده　　　ونال الشهادة ايش كيفها من خيره

مخض الحليب ونال منه الزبـده　　　وخلا الشـنينه فى قسـامه غـيره

والواقع إن الادب الشعبى قد صور آلام الغربة ادق التصوير وعبر عن احساسـات اولئك الرجال الذين اجبروا على ترك بلادهم وهم الذين لم يغادروها من قبل، وسوف نأ تى الى ذلك النوع من الشعر في الفصل الخامس بأذن الله ...

وقد تواصل الجهاد وتتابعت المعارك رغم الظروف المعيشية الصعبة التى يواجهها الناس ورغم عدم التكافؤ فى السلاح والجند، ولكن الايمان بالحق والارتباط بالوطن وحـب

الحرية وقبل هذه جميعا الايمان بالله الواحد الاحد والرغبة فى نيل الشهادة، هذه جميعها كانت أقوى سلاح توفر للمجاهد الليبى، انتقل المجاهدون الى القبلة للاعداد والاستعداد وهى ارض تستعصى على غير اهلها الذين خبروها كما وصفها الغزاة انفسهم، و لم ينته النضال ولا استطاع الايطاليون السيطرة على تلك الاراضى الا بعد إن نضب كل شئ، و لم يبق هناك من ضرع ولا زرع ولا عتاد ولا مؤن، كان المجاهدون يقاتلون ويزرعون ويحصدون طيلة عقدين من الزمان، و لم يكن هناك من ممول ولا مساعد ولا داعى او مبشر فلا اذاعة ولا لجان ولا امم متحدة ولا حقوق انسان ولا رادع للغزاة الا سلاح المجاهدين وعزائمهم وعون الله ....

تلك كانت الصورة من نوفمبر سنة ١٩١١ م الى نوفمبر سنة ١٩١٤ م، بداية الغزو الايطالى فى مرحلته الاولى والتى قالوا عنها انها ستكون نزهة !!

كان تقدمهم في اتجاه الغرب والشرق والجنوب وبداية الجهاد ضد الغزو والمعاناة والتضحية، ثم بداية الانتصارات الوطنية واندحار الغزاة عائدين الى الشواطئ للألتجاء والاحتماء بالبوارج والمدافع البحرية، ثم جاءت الهجمة الثانية والمواجهة الثانية .

٣

العهد الفاشي

* بربرية الغزو الثانى،،
* الاختلاف والتفرق،،
* الزعامات والقبائل ،،

قال ابو ريشه :

(انها سنة الوجود فشعب للبقاء واخر لنفاذ فعلى
الحادثات إن تتوالى وعلينا الوقوف بالمرصاد)

وقال جرير :

(لولا الحياة لهاجنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار)

وقال الحكماء :

(ويل لأمة تدين زعماؤها وتحقّر ابطالها)

3

الباب الثالث

ليبيـــا والمصير

الفصل الثالث

ليبيا والمصير

بعد أحداث (قارة سبها ووادى مرسيط والقرضابية) وتلك الهزائم التى لحقت بالجيش الايطالى تتابعت الاعمال البطولية فى كل مكان من ارضنا الطيبة واصبح الجيش الايطالى فى جميع المواقع غربا وشرقا وجنوبا فى موضع الدفاع بينما كان المجاهدون فى حالة الهجوم الدائم والخاطف، ولم تنتصف سنة ١٩١٥ م حتى بات ذلك الجيش مهزوما معنويا اذ لم يعد فى الامكان الاحتفاظ بالمواقع التى كان يحتلها وصار لزاما فى هذه الحالة على قيادته العسكرية والسياسية إن تلجأ الى أحد حلين او طريقين او خيارين أحلاهما مر :

(١) القيام بحملة عسكرية او حملات عسكرية كبيرة لرد الاعتبار وكسر شوكة المجاهدين والحد من جرأتهم وبالتالى تثبيت المواقع وابقاء ما اسموه الحاميات التى لم تعد قادرة على حماية مواقعها وافرادها .

(٢) او إن تسحب جميع حامياتها لتعود بها الى الشاطئ إن امكن معترفة بالهزيمة العسكرية بعد المعنوية وربما كان من الصعب على الفكر العسكرى الايطالى او الرومانى كما يحلو لهم إن يقولوا إن يقبل بالامر الواقع، هذا الامر الواقع هو إن صاحب الارض الذى يستخدم اسلحة بدائية قياسا بما يستخدم الجيش الايطالى قد هزم عمليا جيش روما، ولذلك قرروا القيام بعمليتين كبيرتين، الاولى هى عملية وادى مرسيط والثانية هى عملية القرضابية، وهذا ما ذكر بشأنهما :

معركة مرسيط حدثت (٧ أبريل ١٩١٥م) وهى من المعارك الحاسمة والبارزة والمشرفة فى تاريخ الجهاد الليبى وربما فى تاريخ النضال الوطنى العالمى اذا ما قيست بظروفها التاريخية (الزمانية والنفسية والاقتصادية والعسكرية) ولعل وصف الجنرال (غراتسيانى) ادق وصف لتلك المعركة اذ انه يقطر مرارة وألما، وهذا نصه :-

(وبعد الهجوم على سبها (٢٧ نوفمبر١٩١٤م) واستيلاء الثوار عليها اتسع نطاق الثورة اتساعا كبيرا وتلى ذلك سقوط اوبارى ولما فوجئت الحكومة بهذه الحوادث، وكانت تعوزها القوات لمواجهة الموقف اصدرت امرها الى الكولونيل ميانى لسحب القوات من فزان ونزولا على هذا الامر أخذ الكولونيل ميانى بعد إن عمل على انقاذ مواطنيه فى مرزق [1] فى التراجع من (براك) حيث كان معسكرا هو وجنودة واتجه الى (سوكنه) (١ ديسمبر) وبلغ مصراته (٢٥ ديسمبر) وفى هذه الاثناء كان قد بدأ تراجع حامية غات وبعد ذلك مباشرة (٢٧ يناير ١٩١٥ م) تم اخلاء الجفرة، وكان عدوان الثوار وهياجهم يزداد باستمرار بعد ترك فزان والجفرة وكان لذلك اثره ايضا فى المنطقة الغربية ورغبة فى قمع الثورة التى كانت الدلائل تدل على إن نطاقها سوف يتسع على وجه السرعة قررت الحكومة القيام بعمليتين حربيتين هامتين سواء فى (القبلة) او فى (سرت) ولكن الاولى باءت بالفشل فى المعركة المشؤومة التى وقعت فى (وادى مرسيط ٧ أبريل) أما الثانية فقد انتهت نهاية اليمة فى (قصر بوهادى ٢٩ أبريل) وعلى اثر هذه الخسارة التى اصابتنا عمل السنوسيون على [2] تقوية صفوفهم بالعصابات الغادرة وبعد ذلك بقليل استولوا على (ترهونة وبنى وليد) اللتين كانتا محاصرتين واشعلوا النيران فى الجبل و لم تتأخر كثيرا مذبحة حامية ترهونة التى وقعت عندما كانت هذه الحامية تحاول الوصول الى الشاطئ (١٨ يونيه) ولما رأت الحكومة إن كل هذه

١ لاتعرف باي وسيلة انقذ هذا العقيد مواطنيه في مرزق اذا كان قد هرب الجنود البيض وتخلي عن بقية مجنديه السود

٢ درج الايطاليون علي تسمية كل المجاهدين بالسنوسية ...

المحاولات تم القيام بها فى سبيل تقديم المدد والمساعدة الى الحا ميات المحا صرة ذهبت ادراج الرياح قررت الجلاء عن مزده التى كانت هى الاخرى مهددة بالحصار (١٥ ٢١ يونيه) كما وقعت بنى وليد فى تلك الاثناء بايدى الثوار .. انتهى

كلام الجنرال الايطالى (غراتسيانى عن هذه الحملة ..

ولكنه لم يذكر كم اعدت حكومته من القوات والاسلحة للقيام بهاتين العمليتين فى مواجهة عدد قليل من المجاهدين، وما هى الخسائر فى العتاد والجنود والضباط التى لحقت بالقوات الايطالية نتيجة تلكم المغامرتين، وقد تناول الشعر الشعبى معركتى (وادى مرسيط وبوهادى او القرضابية) بكلمات بليغة نابضة بالحياة والفخر، وكيف لا وقد انتصر الحق بالبندقية والكلمة، الكلمة التى لم يصمت عنها صاحب الارض وان لم يسمعها او يستصغها الغازى الذى لم يفهم الا لغة الحديد والنار، وكان لزاما على الليبيين إن يستخدموا نفس اللغة التى لابد إن يفهمها ويتوجع منها هذا الغازى المتغطرس..

وفى كتابه المعنون (القبلة) يبين العقيد بيلار دينيللى اعداد القوات واسلحتها ويتحدث عن معركة (وادى مرسيط) على الشكل التالى :

(لأخماد نار الثورة التى كانت تمدد بالإنتشار السريع قررت الحكومة القيام بعمليتى تطهير على نطاق واسع، احداهما تشمل منطقة سرت والاخرى القبلة، وفى ٢١ مارس وصل المقدم (جانيناتزى) قائد منطقة غريان الى مزده ليقود فيلقا يتكون من الكتيبة الليبية الاولى بقيادة النقيب (سبيرناتزانى) وبطارية مدفعية بقيادة النقيب (بولاتى) ومفرزة رشاشات محملة على الآليات بقيادة (موريللى) و١٥٠ رجلا من عصابة يفرن وعلى رأسهم الشاوش مبروك و٤٠ رجال من عصابة غريان الجديده

و٢٠٠ رجل من عصابة غريان القديمه[١] وعين قائدا على مجندى غيرالنظاميين راسم كعبار، وحالما تطرق الى علم احمد السنى نبأ هذه الاستعدادات للحملة حشد فى وادى تاقجه محلة تتكون من ٤٠٠ مسلح من القنطرار واولاد بوسيف (بقيادة محمد شرع) والزنتان (بقيادة احمد البدوى مع أخوى سالم بن عبد النبي ابراهيم ومحمد) والمشاشى وفرق صغيرة اخرى، وبقى متربصا هنا وهناك ينتظر تطور الوضع وقد راجت شائعات مفادها إن الحكومة دعت اهالى غريان الى جنى كامل محصول الشعير الذى قد زرعه الرحل فى وديان القبلة تحت حماية جنودها، كما ذاع خبر بان عبد النبي بالخير قد غادر ورفلة مع ٤٠٠ مقاتل من ورفلة وعرض خدماته لتعزيز قوات الحكومة وفى يوم ٣ أبريل غادر فيلق (جانيناتزى) مزده وفى يوم ٦ منه وصل الى مشارف وادى مرسيط وارسلت دوريات من الفرسان للاستطلاع فى اتجاه خرمة الخدامية فأكدت عند عودتها خلو كامل المنطقة من اى أثر للعصاة وهكذا حط الفيلق رحاله وسط الوادى لقضاء الليلة فى اطمئنان، فى تلك الآنه وبعد إن ابلغ احد مخبرى القنطرار احمد السنى فى نفس ذلك اليوم باقتراب ذلك الفيلق ومعه جمع ضخم من رجال غريان انحرف فى اتجاه فروتن بعد إن ارسل حرسا لمراقبة التحركات من على خشم فروتن وعندما ادرك إن قواتنا تسير فى محاذاة وادى الطلحة تيقن بما لا يتطرق اليه الشك فى نوايا الحكومة التى كانت تعتزم تنفيدها على حد رأيه هو على الاقل، فعقد العزم مع زعماء العصابة الآخرين على مجابهة كل شئ مهما كانت النتيجة، وعندما كان العساكر يهمون بنصب الخيم سمع صفير اول أطلاقة قادما من ناحية الشرق الامر الذى كهرب الجميع ثم دوى صفير اطلاقة ثانية بعد الاولى ثم زخة من العيارات حتى انهال على المعسكر

١ تعبير عصابة أورده المؤلف كما هو ولم يكن ممكنا تغييره .

وابل لا ينقطع من العيارات، كل ذلك فى برهة خلال ثوان معدودة فتزل الهلع فى روح رجال الوحدات المجندة الذين ولوا الى الادبار فى فرار خاطف جارين وراءهم بعض الجنود النظاميين، وهنا ينتهى المؤلف الى القول، تواصل القتال حتى ساعة متأخرة من المساء الا إن عنف القتال وضراوته افقدت الفيلق فعاليته وقد اصيب قائد الفيلق نفسه بجراح كما اصيب بجراح متفاوته جميع الضباط الآخرين تقريبا وقتل النقيب (بيرناردى) من جراء عيار اصابه فى بطنه وكانت الخسائر بين العساكر (وشواشهم) فادحة ومن واقع اقتناعه بعدم جدوى مواصلة الزحف اصدر قائد الفيلق الرائد (سارترارنا) الذى خلف القائد الاصلى اوامره بالتأهب للانسحاب فى حوالى منتصف الليل .... إنتهى)

ولا نعتقد بفائدة سرد بقية ما ذكر لأنه ترديد لما جاء فى كتاب غراتسيانى، والمهم انهم رغم تفوقهم العددى وتقدم اسلحتهم ومعداتهم العسكرية هزموا هزيمة نكراء امام المجاهدين ..

ولقد ذكر المعركتين بشئ من التفصيل الاستاذ التليسى فى كتابه (معجم معارك الجهاد فى ليبيا) كذلك الاستاد احمد عطيه امدلل فى كتابه (المقاومة الليبية ضد الغزو الايطالى) وربما لم يخل منها اى كتاب تناول تاريخ الجهاد الوطنى الليبى ذلك إن المعارك الثلاث كانت من الاحداث الجسام البارزة فى هذا التاريخ وبالتالى فانه لايمكن لكاتب منصف سواء كان عربيا او غيرعربى(فيما عدا الاستاذ القشاط) إن يتجاهل اهميتها وتأثيرها فى المعنويات سلبا على الجانب الايطالى، وفى تخليد معركة القرضابية يقول الشاعر الشعبى موسى حموده المغربى ما يلى :

الرومى اللى قبل جابد ارسامه   طاحن ايامه   وجيش العرب تم واقف امامه
تكسر حصل فى مصلك الحصنه   حازو ضمامه   محاسبا اصداها لغات الكمامه

الرومى اللى قبل طاير اطيور وهد القصور وركب على ناس وطنا الزور
الرومى اللى قبل داير مدافع بحرمة المنافع وقتا لمسناه ما عاد نافع
بعد بقيته كان فينا ايرافع طرظش نظامه وقطط كما فار خش العدامه
الرومى اللى قبل جابد استاد مساكن اجداد وطلب شئ مينحاصله اعداد
فداهم عطيناه ضو الزناد من اللى رشاد فراسين يزايدن عالعناد
نوى لنا التنكيد جاه النكاد قليل الفهامه ردى لأصل بوجمجمه بورعامه
بعد بقيته نار تما رماد بحرمة مقامه ردى جاى ما عنده زعامه
الرومى اللى قبل داير جنود مالها حدود ايانن كما المزن صفات سود[1]

وعن الكيفية التى ينظر بها الناس الى هؤلاء الغزاة وكيف انهم كفار جاؤا غازين معتدين لايجب القبول بوجودهم، نقتطف ابيات من قصيدة الشاعر الشعبى حسين محمد الاحلافى، وهى كما يلى :

على ماتعب لالان لاطاع للكفر لاحط فى كفه الطاهر لير
وياطول ما كافح وياطول ماصبر ولكن مراد الله ويش اندير
جاهد وهاجر نين ميجاله حتر بجوار النبى بوفاطمه البشير [٢]

ويقول الاستاد عبد الرحمن عزام الذى كان رفيقا دائما لقادة الجهاد الليبى وقد شارك فى كثير من الاعمال والقرارات الكبيرة المتعلقة بالجهاد الوطنى، يقول عندما سمع باخبار الثورة التى انتشرت فى كل مكان بعد معارك قارة سبها ومرسيط والقرضابية، لقد ورث الليبيون عن اجدادهم حب العرب التقليدى للحرية وتاريخهم الطويل ملئ

١ وردت في كتاب قصائد الجهاد ، الجزء الاول ..
٢ وردت في كتاب قصائد الجهاد ، الجزء الاول ..

بالادلة التى تشير الى دفاعهم المجيد عن بلادهم وآخرها مقاومتهم العنيفة للعدوان الايطالى والفاشى لمدة عشرين عاما كاملة، بحيث لايمكن ارغام هذا الشعب العربى على قبول حل لا يتفق مع امانيه القومية التى تتلخص كما اعرفها بنفسى فى الرغبة فى بقاء بلادهم موحدة إن يترك له الحرية فى ادارة شئونه بنفسه .. انتهى [1]

وكان الاستاذ عبد الرحمن عزام قد عاش اثناء فترة الجهاد الوطنى فى ليبيا مدة طويلة، وكان ينحو باللوم على الزعماء الذين اختلفوا وصاروا يقاتلون بعضهم، وهو وان كان على حق فيما ذهب اليه الا انه فى الحقيقة لم يذكر الاسباب التى ادت الى ذلك وهو بطبيعة الحال يعرفها جيدا، وذلك إن الخلاف والقتال قد حدث فى المرحلة الثانية من الغزو الايطالى ونحن نعرف ومن خلال كل الروايات التاريخية إن السبب كان يكمن فى السياسة الايطالية والاساليب الجديدة التى اتبعها الغازى فى أعمال التآمر والدسائس والاغراء، الخ وهنا فهو يقول (اى عزام) :

تصورت يومها إن من واجبنا إن نعمل على توحيد الصفوف بين الثورة عندنا والثورة فى منطقة طرابلس الغرب، ولكن المنطقة كلها تحولت الى حرب اهلية فقد اخذ الزعماء يحارب بعضهم البعض وكان عليهم إن يحاربوا الايطاليين فى نفس الوقت..انتهى

ولقد استمر الحال على ماهو عليه طيلة الفترة اللاحقة لمعركة القرضابية، كان المجاهدون يعدون ويستعدون ويدخلون فى معارك خاطفة من وقت لآخر، وكانت ايطاليا تعد ايضا للحرب وتخطط الدسائس والمؤامرات التى نفدها قادتها العسكريون والسياسيون فى بلادنا وهى السلاح الذى استخدمته للتفريق بين الاخوة فى الجهاد، وهناك من المؤرخين من يذهب الى القول او الاعتقاد بان ايطاليا قد انشغلت فى الحرب

١ صفحات من المذكرات السرية ، عبد الرحمن عزام ، اعداد جميل عارف ، ص ١٥١ ..

العالمية الاولى التي انفجرت فى اوربا و بالتالى قللت من عملياتها العسكرية فى ليبيا والواقع إن ذلك ليس صحيحا لأن الايطاليين عسكريون وساسة كانوا يعتقدون إن غزو ليبيا انما هو نزهة سريعة لا تستغرق كثيرا من الوقت وبالتالى تكون ايطاليا قد تربعت فى جزء كبير وهام من الشمال الافريقى ويمكنها ممارسة الضغط او حتى العمليات العسكرية إن اقتضى الامر ضد الدولتين الاوربيتين اللتين سبقتا على احتلال اجزاء من المنطقة اى من المغرب مرورا بالجزائر وتونس الى الشرق الاوسط وهما بريطانيا وفرنسا، ومما يؤكد ما ذهبنا اليه ما جاء فى مذكرات الساسة الايطاليون قبل وبعد العهد الفاشى الايطالى اذ انهم كانوا ينظرون الى وجودهم فى ليبيا وفى ارتيريا والصومال على انه فرصة لممارسة سياسة الضغط والابتزاز تلك، وكانت المعارك المتقطعة التى تقع بين وقت وآخر دليلا على سياسة الاعداد والاستعداد تلك، فقد حدثت معارك فى كل من صرمان ١٦ اغسطس ١٩١٦ م) وقبل صرمان كانت القوات الايطالية قد احتلت زواره (١٦ مايو١٩١٦م) وحشدت قوات كبيرة كانت بقيادة الجنرال (كاسينس) فى يناير ١٩١٧ م بغية اعادة السيطرة على كامل منطقة الساحل الغربى الليبى (من زوارة الى طرابلس) كما هاجمت قوات هذا الجنرال فى ٢٠ سبتمبر ١٩١٧ م مواقع المجاهدين فى سوانى بن يادم وفندق بن غشير، ولأن حملة (كاسينس) الاولى على زوارة لم تحقق الهدف فقد عاد بقوات كبيرة مرة ثانية لمهاجمة زواره (٢٦ دسمبر ١٩١٨ م) وعلى الرغم من المعارك المتفرقة هذه فقد كانت هناك محاولات واتصالات بين الطرفين (المجاهدون والايطاليين) لأبرام اتفاق ما، وفى كتابه (ليبيا ارض الميعاد) يقول السيد (باولو مالتيزى) يعقد الزعماء يوم ٥ نوفمبر ١٩١٨ م مؤتمرا فى مصراته يسفر عن اعلان قيام الجمهورية الطرابلسية وجاء هذا الاعلان بعيد انتهاء الحرب العالمية الاولى الا إن الحكومة الايطالية وقد تخلصت الآن من التزاماتها فى

اوربا بادرت على الفور بابداء ردود فعل غير متوقعة وذلك بارسال قوات ضخمة الى طرابلس اشتملت على (٧٠٠٠٠ جندى معززين ب ٧٠٠ شاحنة و٣٩ بطارية مدفعية) ونتيجة لهذه التدابير المشبوهة يضطر العرب الى التخلى عن مطالبهم بان تكون لهم امارة مستقلة فيوقعون على ميثاق (خلة الزيتون) الذى يسفر عنه صدور دستور خاص بقطر طرابلس الغرب فى اول يونيه ١٩١٩ م يتضمن اقامة برلمان عربى ومنح الجنسية الايطالية للسكان المحليين مع اعفائهم من الخدمة العسكرية..انتهى[1]

ولقد توصل الطرفان الى اتفاقية عرفت باسم (اتفاقية خلة الزيتون) وتم اعلان القانون الاساسى فى سبتمبر ١٩١٩م وبموجب هذا الاعلان تحددت الحقوق الاساسية للمواطنين وأنشئت مراكز اتصال ايطالية و لم يدم ذلك طويلا لأن ايطاليا لم تكن صادقة فى ذلك التوجه ولا كان سياسيوها مقتنعون باتفاق كهذا، كما إن قادة الجهاد على الاقل بعضهم كان يرى فى الاتفاق (اتفاق بين حمل وذئب) او على احسن الاحوال بين جمهورية صغيرة اعلنت للتو ودولة كبيرة دخلت البلاد بالقوة وهى لابد إن تفرض اى اتفاق تراه ايضا بالقوة، وان هادنت فانما هى تريد كسب الوقت، ولقد نجحت الدسائس الايطالية فى اثارة الفتن بين قادة الجهاد وربما كان ذلك ما قصده الاستاذ عبد الرحمن عزام بما ذكر[2] ولأن الطليان لم يكونوا صادقين فى الاتفاق كما إن بعض الزعماء كانوا يدركون ماترمى اليه سياسة ايطاليا الجديدة مثل (رمضان السويحلى) ذلك إن الغازى قد اعتمد تاكتيك واستراتيجية جديدتين او ربما يمكن إن يقال انها سياسة العصا والجزرة فقد سلك القادة الايطاليون اسلوب الترغيب والترهيب

١ ليبيا ارض الميعاد ، باولو مالتيزي ، منشورات مركز الجهاد .. ترجمة عبد الرحمن سالم العجيلي

٢ كتاب المذكرات السرية ، عبد الرحمن عزتم اعداد جميل عارف القاهرة .

اذ إن هاجس ما حدث سنتى (١٩١٤ م ١٩١٥) لم يبرح تفكيرهم ابدا وكانوا يخشون عودة الامور الى ذلك الوضع باتحاد قوى الجهاد الليبي، ومن هنا فقد انهار اتفاق (خلة الزيتون) وكانت الفترة اللاحقة لتوقيع الاتفاق فترة شك وترقب ولقد وقعت نزاعات وتقاتل بين اطراف الجهاد الليبي ولم يحل منتصف عام ١٩٢١ م الا والوضع فى غاية التأزم بحيث أمكن لايطاليا إن تبدأ مرحلة جديدة وهى المرحلة التي كان فيها خياران لاثالث لهما وكان على قيادات الجهاد إن تتدبر امورها وان تفكرمليا وان تتخد الاجراءات الكفيلة بالمحافظة على بعض المكتسبات التي تحققت وهما :

(١) اما إن تستخدم فيها المجاهدين ضد بعضهم وقد بدأت فى توزيع الرشاوى والهبات تهيئة لذلك الهدف.

(٢) واما إن تسقطهم جميعا من حسابها، وهذا يقتضى اعتبار الجميع خارجين على القانون لا سبيل للتعامل معهم اطلاقا الا بالبندقية والمدفع ..

وربما يكون الخيار الاخير هو الذى عبر عنه الوالى الجديد (الكونت فولبى) عندما قال (لامع الزعماء ولا ضد الزعماء ولكن بدون الزعماء) والتي جاءت قبل الحكم الفاشى بمدة سنة ونيف وكان الجنرال غراتسيانى قد نهج اسلوب الحرق والتدمير ولعله بذلك يكون قد سبق الفاشيست فى شعارهم الذى رفعوه عندما استولوا على الحكم فى ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٢٣م (من ليس معنا فهو ضدنا) وجدير بالذكر إن حزب الفاشيست قبل إن يصل الحكم كان ضد الغزوات والمغامرات العسكرية ومنها ليبيا لكنه تخلى عن مبدئه هذا عندما تولى حكم ايطاليا بل سار على عكسه تماما وأدخل ايطاليا فى مغامرات وحروب أدت فى النهاية الى النتيجة التي يعرفها الجميع مع نهاية الحرب العالمية الثانية، وبالرغم من موقف الوالى الايطالى (فولبى) المتشدد وقولته تلك

اشرنا اليها فيما يتعلق بالزعماء الوطنيين الا إن الموقف اصبح اكثر تشددا وشراسة بوصول الفاشيست الى الحكم فى ايطاليا، وبرهانا على ذلك نورد هنا ماذكره الجنرال (غراتسيانى) والكاتب (باولو مالتيزى) .. قال الاول :

(فى يوم ٣١ ذاته تم فى تاغمه حسب نظام العمليات الاتصال بقوات الجفاره القادمة من (بئر الغنم) وشاء القدر إن يتم هذا الزحف فى الايام ذاتها التي تم فيها زحف السنيور (موسوليني)على روما، كما شاء القدر ايضا إن نقاتل حول ضريح (صفيت القديم العهد) الذى وجدت بين اطلاله عملة من النقد على ظهرها صورة روما المسيطرة وعلى وجهها الثانى صورة احد الاباطره حيث رفع رجال قواتي المنتصرة اسلحتهم تحية لمجئ الفاشية واحتفلوا على صفحة الصحراء بذلك النصر الذى تحقق اخيرا واعربوا عن اطيب تمنياتهم لهيبة ايطاليا وسمعتها المستقبلية فى ارض افريقيا..)انتهى (١)

اما الثانى فقال:

(على اثر استيلاء الفاشيست على الحكم فى ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٢٣ كان من الضرورى إن يعاد النظر فى جميع العهود والمواثيق بما فيها الوضع فى ليبيا واولى نتائج ذلك اطلاق يد والى طرابلس الغرب (فولبى) الذى اصبح كونت والجنرال (غراتسيانى) لأعادة احتلال طرابلس الغرب بكل قوة وضراوة وبدون مراعاة للوسائل المؤدية الى ذلك، وسرعان ما تحركت القوات لأداء المهمة فى ٦ مارس ١٩٢٤ بشن هجوم مفاجئ وبدون مقدمات على ساحل برقة وتم احتلال عاصمة ادريس نفسها (اجدابيه) ولكننا هنا ايضا ندرك على الفور إن التغلب على الثوار العرب ليس بالامر السهل، فرغم تفوق الايطاليين الكبير فى العدد والعتاد انزل العرب بهم هزيمتين كاسحتين الاولى فى بئر بلال حيث وقعت قافلة امداد فى كمين ألحق بها خسائر فادحة، والثانية

فى مرسى البريقه حيث هوجمت قافلة شاحنات اخرى كبيرة بغتة فابيدت وابيد جميع من كانوا معها، ثم الغت ايطاليا القانون الممنوح فى سنة ١٩١٩ م ليستعاض عنه بالانظمة واللوائح التى كان يمليها القانون الاساسى الجديد الصادر فى ٣١ يونيه ١٩٢٧ م وهذا يضع العرب القهقرى ويترلهم الى مصاف التبعية الاستعمارية الطابع، ويضيف المؤلف فى مكان آخر من الكتاب قائلا، ولكسر شوكة الاهالى والقضاء على مقاومتهم وهم جميعا ثائرون عصاة باعتراف الايطاليين انفسهم، يقوم الجنرال غراتسيانى الذى اصبح نائب الوالى العام فى المستعمرة باتخاذ تدابير غاية فى القسوة والعنف بعد إن منحه موسولينى زعيم الفاشيست بناء على طلبه الاذن المطلق بارتكاب اشنع الجرائم (الشنق والنفى وطرد قبائل وعشائر باسرها وحشرها فى العراء) بعيدا عن اوطانهم بقصد منعهم من تقديم العون للثوار، وامعانا فى التنكيل والاذلال يقرر توزيع المواد الغذائية القليلة بالبطاقات، وفى ٢٩ ديسمبر من نفس السنة يعاقب بقسوة وعنجهية جميع من كانوا محشورين فى احدى هذه المحتشدات الغريبه لأنهم حاولوا الهروب وذلك بان تركوا ابلهم تداهم خط الاسلاك الشائكة وتحطمه، وفى اقل من سنة اى فى الفترة من ابريل ١٩٣٠ م الى مارس ١٩٣١م وحدها صدر ١٣٣ حكما بالاعدام و١١٢ أحكام مختلفة ويشارك فى عمليات القمع والاضطهاد بنجاعة وفعالية سلاح الطيران الذى يبلغ مجموع طلعاته الجوية (٤٥٠٠٠ ساعة) وهو رقم ضخم بالنسبة لذلك الوقت .. انتهى

هذا ما ذكره مؤلفان ايطاليان عن العهد الفاشى الجديد، اى حكم الحزب الفاشى الوطنى الايطالى الذى كان ضد التوسع والمغامرات العسكرية ومبدأ الحوز والاستعمار!! وكانت الاستراتجية الجديدة التى عرفت باسم عمليات الاسترداد وهى فى الواقع اعادة الاحتلال وانتقام (لأن معنى الاسترداد هو إن تسترد حقك الذى اخذ

منك، وليس لايطاليا حق فى ليبيا) احتلال الاراضى والانتقام من المواطنين حتى لو كانوا غير محاربين لأنهم فى نظر ايطاليا ثوار، وعملية الاسترداد هذه كانت قد بدأت بعملية قصر حمد فى مصراته بتاريخ ٢٦ يناير ١٩٢٢م بناء على خطة الوالى (فولبى) وفى مقابل هذا العمل العسكرى الجديد والمفاجئ قام المجاهدون بعدة عمليات عسكرية منها قطع خطوط الاتصالات الهاتفية فى منطقة طرابلس وحصار حاميات (العزيزية فى ٩ فبراير) و (الزاوية فى ٢٠ مارس) وكانت فى نفس الوقت هناك مفاوضات تجرى بين الطرفين عرفت باسم (مفاوضات فندق الشريف) وكان الجانب الايطالى كالعادة يسوف ويماطل ولذلك فشلت تلك المفاوضات وتصاعدت المواجهة بين المجاهدين والقوات الايطالية فى هذه المرحلة من الغزو وكان الجنرال غراتسيانى قد قاد قوات ضخمة لمهاجمة الزاوية وحدثت عدة معارك فى كل من الزاوية والعزيزية وسوانى بن يادم وفندق بن غشير استمرت شهرا كاملا (من ١٩ أبريل الى ١٩ مايو) ثم بدأت القيادة العسكرية الايطالية تعد العدة لحملة الهجوم على الجبل الغربى ذلك المعقل الذى تكبدت فيه القوات الايطالية خسائر فادحة اثناء فترة الانسحاب بعد معركة القرضابية وفى عمليات الاسترداد التى جرت خص منها جبل نفوسه بواحدة من اعنف الحملات وفى اثناء تلك الحملات جرت معارك (زوارة والوخيم والجوش والسلامات وكاباو ونالوت الخ) ولأن هذه الفترة قد شهدت تعاون بعض القوى الوطنية (مع الاسف) مع الطليان بسبب الوعيد والتهديد والاغراء بطبيعة الحال، فقد تناول الشعر الشعبى سيرة اولئك الناس (بالتعزير والتنبيه) نقتطف من ذلك الشعر اجزاء للدلالة فقط.

يقول الشاعر الشعبى بورويلة المعدانى فى مطلع قصيدة رائعة مايلى :

مبروك عليكم ما درتوا ... خاطيتوا لديان كفرتوا

والكلام موجه لاولئك الذين اغواهم الشيطان، شيطان المال، ورغبة التقرب من الاجنبي اما رهبة او رغبة .. وفي وصف ذلك الاجنبي وبشاعاته وغطرسته يقول الشاعر حسن عبد الرحمن بوحليقه :

تاريخنا يشهد على ماضينا   من افعالنا العالم ايجيب نبانا
واحنا اللي المضيوم وين ايجينا
انديرو عليه احجان عن عدوانا

هجمنا عقاب الليل ما ذلينا   بذا دك باللوشه بلا ذبانا
وظلت الموتى بينا وما بينا   محاديف في الوادي بلا دفانا
واحنا اللي عالقارا لفوق رقينا   رغمناه جبرا وامتلك دوزانا
بعد زارنا وخر عرف مافينا   مهزوم عدا جيش شيشيليانا
بدا في الدواخل ناصب اقياطينا
لاذ بالشبردق فوق من حيشانا
وصاير اذبح في عرب مسكينا   من الفقر جاتا دالعا مخنانا
عطاها طماطم ياسرا وفارينا   وبندق جديده دارها هجانا
بدت خوتنا هي اللي تقاتل فينا
علينا تخبل غزلنا في اسدانا
تقوى وجا ظاهر بقوم علينا   الارض وسماها كلها مليانا
فيه من قعد في الوطن بايع دينا
سابل الريش امحطما جنحانا

ويبرز الشاعر مفتاح عمر المبروك واصفا اولئك الذين تعاملوا مع عدو البلاد بالخساسة والدناءة والطمع والمروق، فيقول :

مانا كيف خبات اللسنه   جا خرسنا   عند الكافر ماكنسنا
مانا كيف ارقاق غرضهم   بياعة لديان أباره
منجوهين الله يقرضهم   تموا مبعوثين نصاره
زطفهم وقتن تلحظهم   حمالين لكل صغاره
خطيو لسلام ومقرضهم   ما يعلو خجه بطهاره
هانوا الدين الله يعرضهم   شينين اللون المكاره
واجعل ربي مايحفظهم   من التنكيب وكل خساره
يعجل مولانا يقبضهم   لا نجيهم لاهم جساره
ذرالمال وتاق نحضهم   بسايسنا بيه   يحرسنا ربي وقظنا لانفسنا
مانا كيف اخباث النيه   هاللي قادوهم بلحاهم
تموا للطليان رعيه   كيف الواحد كيف نساهم
لا يسووا باقولة ميه   لا عاد الصاحب يلقاهم
صارت للضياع بليه   شارك دين الكلب معاهم
داير كاط ولصافيه   كم مسلم عاقوه إن جاهم
راكب في الدنيا قبليه   مو حاسب ربي يفناهم
غافل ما عنده خيريه   لو كان استنظر كافاهم
لا جل ماعنده غيريه   عرق حيا في الجبهه جاهم
يسوى ميتين سبيسيه   وينوضو من كبر دعاهم
كلهم خدامين الريه   بيان جهنم مرساهم
ساكنهم خالي جوجيه   هاللي ماشي في دعواهم
لا فيه ستاير لا ريه   لا قلب مفتح وعاهم

طامس فكر الواحد ضيه	باقى من خدام ضناهم
جاهز وين يقولوا هيا	ديما بادر من يالاهم

وعندما حدث إن تعاون بعض ضعاف النفوس من الطليان وصاروا يقاتلون معهم كان للشعر الشعبي الدور البارز في فضحهم وتعزيزهم باقذع الالفاظ واتهامهم بالخروج على الدين، وحدث كذلك بسبب الدسائس الايطالية إن اختلف الزعماء وصاروا متنافسين لاسباب عدة استغلها الغازى الاجنبى، منها التحيز القبلى او الجهوى، ومنها الرغبة في السيطرة والاستحواذ والغنائم على الرغم من انهم يعلمون إن ذلك ليس في مصلحة الوطن ولا مصلحتهم، وكذلك يعرفون إن الايطاليين يعملون بكل الطرق لاذكاء ذلك الخلاف والاختلاف، وقد تحدث عن ذلك الهدف كل من (غراتسياني)، و (بيلاردنيللي) وغيرهم واجمعوا على إن السياسة (فرق تسد) قد اتبعت واتت بفوائد كبيرة خصوصا بعد فترة تأسيس الجمهورية الطرابلسية وربما اكثر من تناول هذه المسألة تفصيلا من الكتاب الوطنيين هو الشيخ (الطاهر الزاوى) رحمه الله، على اننا نستغرب من الشيخ المطلع المدقق كيف انه في أكثرمن حالة وموقع قد وصف المجاهدين بالغزاة، فهو يقول على الصفحة (١٩٦) تحت عنوان، اهم الغزوات ما يلي:

(من اهم الغزوات التى قامت بها عصابات المجاهدين على الطليان فى الفترة من مارس الى نوفمبر ١٩١٤ م غزوة (الزنتان) وقد غنموا فيها من الطليان خمسمائة جمل محملة امتعة وبضائع مختلفة وقتل فيها الكثير من الطليان .. انتهي

وعلى الصفحة (١٩٧) تحت عنوان غزوة القاهرة .. يقول :

(القاهرة ربوة عالية فى سبها وفى راسها قصر قديم وبئر، ويقال انما كانت فى التاريخ القديم مقر (بن جهيم وبن المنتصر) (١) وسبها تتكون من ثلاث قرى احدها

القاهرة (وقد اتخذ الطليان منها حصنا بعد احتلال فزان للدفاع عن سبها واحاطوها بسياج من المدافع والاسلاك الشائكة حتى اصبحت جد منيعة واتخذوها مستودعا حربيا، وكان رايس الغزاة عليها (٢) الشيخ سالم بن عبدالنبى وكان مع السيد محمد بن عبد الله البويسفى وبعد إن استشهد السيد محمد بن عبد الله فى واقعة المحروقة التجأ الشيخ سالم بن عبد النبى هو ومن معه من الزنتان الى ضواحى الرملة الغربية وبقوا يتنقلون هناك الى إن سنحت لهم الفرصة وهاجموا القاهرة وطردوا منها الطليان وغنموا فيها اسلحة وارزاقا كثيرة وقد اصبحوا في القاهرة يوم ٢٧ نوفمبر ١٩١٤ م كان يوم اغر هبت فيه ريح النصر على جماعة من الطرابلسيين فاقتلعوا منها جذور الطليان وكان لهم فيها جولة مازلنا نذكرها لهم بالفخر والاعجاب وكان محمد العابد السنوسى موجودا في ناحية فزان فاتصل بالمجاهدين بواسطة المهدى السنى واخذ منهم بعض الغنائم ... انتهى) (٣)

ولسنا نفهم لماذا استعمل فضيلته تعبير (الغزاة ورئيس الغزاة الخ) لأننا نفهم إن الغزاة هم اولئك الذين يغزون بلاد غير بلادهم كحالة الايطاليين مثلا اما من يدافع عن بلاده فانه لايمكن إن يسمى غازيا، واذا كان فضيلة الشيخ الطاهر الزاوى قد استخدم تلك الكلمات او التعبيرات مزاجا على اعتبار إنه يتحدث (عن غزوات فان الامر لايخلو من عدم الاستحسان، كذلك الحال بالنسبة لتعبير عصابات) لأن التعبير استخدمه الايطاليون في وصف المجاهدين وكان مقرونا بتعبير اللصوص وقطاع الطرق وغير ذلك، المهم إن الشيخ الزاوى قد تناول قصة الخلافات بين القيادات الوطنية على النحو التالى (صفحات ٢٤٨ ٢٤٩ بعنوان، فتنة) ...

(ظن احمد التواتى إن ترهونه ومسلاتة يناصرونه على رمضان ويحاربونه من اجله وان وجود اعيان الغرب في هذا الجمع الزاخر يجعلهم امام الامر الواقع فيوافقون على ما توافق عليه ترهونة ومسلاتة، وقد جمع الناس فى حفل حاشد، وفاجاءهم التواتى بما يدل على ما انطوت عليه نيته من فتنة كان يظن انها واقعة لا محاله في اسلوب من القول فى صورة استفتاء ابتداء بقول الشاعر :

أترجو امة قتلت حسينا   شفاعة جده يوم الحساب ؟

ومضمون الاستفتاء إن رجلا عصى الحكومة السنوسية وأهان الاشراف هل يقتل ام لا ؟؟ فاستغرب الناس هذا الابهام وهذا الاستفتاء فى مثل هذه الظروف، و لم يبد احدا فيه رأيا فقال له الشيخ عمر المنصورى، نحن لا نوافق على هذا الكلام المبهم، وكانت قرائن الاحوال تدل على إن المقصود هو رمضان السويحلى فهو يريد الانتقام منه لمعارضته ما ينسبونه من اوامر لصفى الدين وهو لا علم له بهذا، ورمضان لم يعمل ما يخالف الاصول، ولكن رغبة التواتى فى التسلط على ما فى ايدى الناس باسم صفى الدين هى التى حملته على هذا، وقد انكر الناس جميعا على صفى الدين قرار احمد التواتى على هذه الاعمال وكانت الفتنة متوقعة فى أى وقت، والتواتى يرغى ويزبد ويأبى الا إن يتفق الجميع على حرب رمضان، فتقدم اليه الشيخ سوف والشيخ احمد المنصورى وسلطان بن شعبان وقالوا له، نحن دعينا لزيارة ومن اجلها جئنا، ولو دعينا الى الحرب فا ما إن لا نجئ ونبقى فى ديارنا واما إن نحارب وناتى مستعدين للحرب على انه لايصلح محاربة رمضان قبل الاتصال به واخد رايه، واستأذنوه في مقابلته، ولما سمع رمضان بحركة التواتى اختار عددا من الفرسان من مصراته وزليطن وعسكر بهم في فندق الزحام خارج زليطن مما يلي الساحل، وذهب اليه سوف ومن معه واجتمعوا

به وعرضوا عليه الامر، فذكر لهم ما حصل بالتفصيل فاقتنعوا بوجهة نظره، وتحقق لديهم إن الذى قام بهذه الفتنة هو احمد التواتى على حساب صفى الدين، ومما قاله لهم رمضان انى مستعد للقيام بكل ما يلزم لصفى الدين ومن معه من مؤن وغيرها على شرط إن يتخد له جبهة امام العدو فى أى مكان شاء، وقد رجع الوفد من عند رمضان بهذا الرأى وعرضوه على التواتى فلم يقبل واصر على الحرب فلم ينضم اليه احد فى هذا الراى، ورجع الشيخ سوف ومن معه الى اهلهم و لم يبق الاصفى الدين ومن معه و لم يلبث إن هاجمهم رمضان فانسحبوا الى ترهونه فى فبراير سنة ١٩١٦ م ومنها الى ارفله، فلحقهم هناك واجلاهم عنها وقبض على احمد التواتى (راس الفتنة) فقتله ونجا صفى الدين الى اجدابيا عن طريق سرت) انتهى ... [1]

هذا ما ذكره الشيخ الطاهر الزاوى، ومما تجدر ملاحظته في هذا الشأن نجاح الدسائس الايطالية اذ إن حربا قد اندلعت بين مصراته وترهونة وان امسلاته قد انقسمت بين اثنين، واستمرت الحرب خمسة شهور تقريبا وان حربا اخرى قد انفجرت بين الحرب النائلى وانصاره وبين ابى القاسم احنيشه المحمودي وانصاره فى ازواره، أى إن الخلافات.والحروب قد انفجرت في الغرب والوسط والشرق، وقد دق اسفين بين المجاهدين فى الشرق والمجاهدين في الغرب ومنذ إن بدأ الخلاف بين السويحلى والتواتى وسنرى انه قد تطور فيما بعد بحيث صار الزعماء كل منهم يفكر فى نفسه وقبيلته بل هناك من حاول اقامة دولة او امارة، وبشكل اكثر وضوحا يتحدث الشيخ الطاهر الزاوى عن دسائس الايطاليين فيقول رأى الطليان فى هذا الصلح غبنا ورأوا من بوادر النشاط من العرب ما جعلهم يتوجسون خيفة منهم،

١ كتاب جهاد الابطال ، الشيخ الطاهر الزاوي .

فعملوا علي افساد هذا الصلح وسعوا بالتفريق بين الناس واتصل اذنابهم ببعض ضعفاء النفوس فزينوا لهم الانشقاق فاستجابوا لهم واصبحوا معاول للهدم وفيهم جماعة من البربر من عدم دخول الباروني فى هيئة الحكومة انه غير راض عنها فانكمشوا عن العرب، وفهم الحاج محمد فكيني والشيخ على الشنطة من امتناع الباروني انه يريد معاكسة العرب بل ذهب بهم سوء الظن الى ابعد من هذا فزعموا انه يريد إن يؤلف فى الجبل حكومة مستقلة عن العرب [1]

واخدوا يناويئونه فى مناطق نفوده فى الجبل واخذ الباروني يحذر البربر من سوء عاقبة دعايتهما، وراي بعض اعضاء حكومة القطر الطرابلسي في اعمال فكيني والشنطة خروجا عن دائرة اختصاصهما، وهو شيئ يمس كرامة الحكومة التي هم من اعضائها ويثير الفتنة، وحذروهم من عاقبة هذا العمل وقد احدثت فتن الطليان عدم الانسجام بين اعضاء الحكومة العربية وانتهزوها فرصة للتدخل في شئون العرب، ومازالوا يسوفون تنفيذ القانون الاساسي، ويلتمسون اسباب الفتنة بين العرب ويغرون الصدور بالدسائس حتي فسد الجو السياسي بينهم وبين العرب،، رويت هذه الحركة عن الشيخ مصطفي عوني الجزائري وكان ضابطا في معسكر تامسكت ومع المجاهدين وهو من اصدقائى ومن الذين يعتمد علي اخبارهم وقد وقعت هذه الحوادث وانا بالزاوية وكنت اسمع ما جاء مطابقا لما رويت عن الشيخ مصطفي وهو واثق مما يقول ولا اشك في شيئ منه، وراى الطليان إن بقاء رمضان السويحلي في زنزور (سواني المشاشطه) ومعه قسم كبير من العسكر والمجاهدين تهديدا لهم، وتقوية لمركز الحكومة العربية في طرابلس فدبروا مكيدة القضاء علي الجيش وتسريح المجاهدين فاتفقوا مع

---

[1] كتاب جهاد الابطال ، الشيخ الطاهر الزاوي .

بعض الرؤساء إن يسعوا في تسريح المجاهدين وادخال الجيش النظامى الى ثكنات المدينة فاتصلوا ببعض المجاهدين وحرضوهم علي الحرب فتأثر بعضهم بهذه الدعاية الخبيثة وصاروا يتسللون جماعات وافردا وعلم بهذا احمد السويحلي في المدينة فطير الخبر الى اخيه رمضان في زنزور فاتصل رمضان برئيس الجيش عبدالله تامسكت واخبره الخبر وانبه علي حصول مثل هذا وهو لا يشعر ... انتهي [1]

ونجد الاستاذ عبد الرحمن عزام يتحدث عن تلك الفترة وكيف إن الايطاليين قد استطاعوا بالذهب استمالة بعض الناس والتأ ثير عليهم من خلال ضباط الاتصال الايطاليين الذين اتفق على وجودهم فى بعض المناطق طبقا لاتفاقية إقامة الجمهوررية الطرابلسية، وهو يصف الحالة كما يلي :

(في بادئ الامر استبعدت إن يكون استخدامهم لسلاح المال قد ادي الي أية نتيجة وقد كنت علي يقين من وطنية المجاهدين الذين جاؤا معنا الي طرابلس، ومن اخلاصهم للجهاد في سبيل حرية بلادهم، وصحيح إن اشاعات كثيرة ترددت في تلك الايام عما كان الايطاليون يقومون به لرشوة الاعيان في غريان، ولافساد ذمم الضباط والجنود ولكن احداً لم نستطع إن يصدق شيئا من هذه الاشاعات، وانا نفسي قد مر عليّ وقت طويل قبل ان اتحقق من حقيقة ما كان يتردد في هذا الصدد، واستطيع إن أؤكد إن السلطات الايطالية قد لجأت الي سلاح الذهب منذ اول دقيقة بعد توقيع اتفاقية الصلح، نجحت السلطات الايطالية باستخدام سلاح الذهب فى اثارة الفتنة

---

[1] ذكر غراتسياني إن الباروني قدم مذكرة للحكومة الايطالية سنة ١٩١٣ م يطلب فيها امارة بربرية في جبل نفوسه مستقلة باعمالها عن العرب، علي الرغم من إن غراتسياني مشهور بالدس علي الطرابلسيين والكيد لهم ولعلهم استندوا في دعاتهم الي هذا الراي ، عن كتاب (جهاد الابطال).

والمنازعات بين كثير من الاعيان وزعماء القبائل والعشائر واستطاعت باسا ليبها الاستعمارية إن تسلطهم بعضهم علي بعض واصبحت الحرب الاهلية وشيكة الوقوع او الاندلاع، وجاء في تلك الايام من يهمس في اذني قائلا، إن الايطاليين ينتظرون إندلاع الشرارة الاولي بين العشائر ليبا درو بالقبض عليّ وابعادي عن مدينة طرابلس، وذهبت الى الشيخ عبدالعاطي الجرم قائد القوة العربية التي تعسكر خارج المدينة اسأله عن حقيقة الموقف، وقال لي الرجل، إن الحالة سيئة للغاية وانه لابد لي من الانسحاب الي الشرق، وفي تلك الايام كان المارشال (غاريوني) قد نقل من طرابلس وجاء في مكانه حاكم جديد ايطالي مدني وكنت التقي بهذا الحاكم الجديد احيانا ودعاني الرجل يوما لتناول العشاء معه والسهر في دار التمثيل واثناء السهرة لاحظت إن الرجل يعاملني بعنجهية وتكبر، وفي بادي الامر تصورت إن كراهيتي للايطاليين هي التي اوحت اليه بذلك ولما انتهت السهرة انصرفت وقد صممت علي الخروج من المدينة في اقرب وقت، وعندما وصلت الي البيت تذكرت نصيحة الشيخ عبدالعاطي الجرم فاخذت احزم امتعتي وكلي تصميم علي ترك المدينة في صباح اليوم التالي، ولم انتظر وتوجهت الي باب العزيزية وهناك نزلت في دار الحاج نعناع الزيني، وكان قائم مقام المنطقة أي حاكما لها، وعرفت إن الايطاليين قاموا باصلاح استحكامات سيدي رمضان وانهم يعسكرون فيها وكانت هذه الاستحكامات تمتد فوق ربوة تشرف علي بلدة العزيزية ولم اتمالك نفسي من الغيظ لان اصلاحهم لهذه الاستحكامات[1] جهاد الابطال، الشيخ الطاهر الزاوي كان مخالفا لأتفاقية الصلح التي نصت صراحة علي

١ جهاد الابطال، الشيخ الطاهر الزاوي

عدم اقامة استحكامات فى داخل البلاد او احتلالها بقوات ايطالية، وكان واضحا إن الايطاليين قد استطاعوا بسط نفودهم على داخل البلاد... إنتهى)[1]

هكذا حدث فقد تم الاتفاق على الصلح وأقيمت الجمهورية وبدأ كل زعيم يبحث عن مصالحه او ربما ثمن جهاده مع الاسف الشديد، وقد كانت وسائلهم فى ممارسة الضغط هى القبيلة او عصبة المؤيدين، وكان الايطاليون ربما يدركون إن الوسيلة للتغلب على المجاهدين هي الدسائس والفتن ودفع الرشاوى وقد فعلوا ذلك ونجحوا الي حد ما ومن المؤكد أن مكاتب الاتصال التى اقيمت فى بعض المناطق ما كانت الا اجهزة استخبارية تجسسية ومن خلالها كانت تدفع الاموال وتنظم المؤامرات، وقد مارس الايطاليون القهر بكل الوسائل ويشهد التاريخ على بربريتهم تلك، ثم استعملوا وسائل الترغيب والترهيب لخلق المشاكل واحداث الفتن، ومن هناك حدث الخلاف والاختلاف بين قيادات الجهاد وكان لابد من جولة اخرى رغم ما يتوقع لها من خسائر وتضحيات ... وذلك ما حدث فعلا ...

١ صفحات من المذكرات السرية ، عبد الرحمن عزام، اعاد جميل عارف ....

ـــــــ ٤ ـــــــ

الغزوة الثالثة

*حرق الاخضر واليابس .

*الترغيب والترهيب .

****

قال تعالي في كتابه العزيز :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا ﴾

صدق الله العظيم

النساء (٧١)

وقال تعالت قدرته :

﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً ﴾

صدق الله العظيم

النساء (٨٤)

****

وقال المتنبى :

(كفى بك داء إن ترى الموت شافيا　　وحسب المنايا ان يكن أمانيا

تمنيتها لما تمنيت ان تري　　صديقا موافيا او عدوا مداجيا)

4

الباب الرابع

ليبيــا والمخاض

الفصل الرابع
ليبيا والمخاض

بعد ان تلاشى الامل فى اى نوع من السلام او الاتفاق المخلص مع الايطاليين، وبعد إن صار للمال سلطان على بعض الناس لم يكن بد من الاعداد والاستعداد لجولة اخرى وقد تسمى الثالثة اذا صح التعبير، والجولة الثالثة هذه كانت اشد بطشا وبربرية من طرف الطليان حيث اطلقت يد الجنرال (غراتسيانى) وخول سلطة الفتك والتنكيل با لناس، وحرق الاخضر واليابس ولقد صار الحكم الفاشى اشد تنكيلا وأكثر تصميما على تدمير البلاد ومن فيها لأن اولئك الفاشيست ربما اقتنعوا بضرورة إن تكون البلاد لهم بلا شعبها الاصلى، فحرقوا وقتلوا ونكلوا ونفوا، و لم يفرقوا بين امرأة وطفل، ولا بين كهل وشاب، ولا بين مقاتل ومسالم، ولا بين مدنى وعسكرى، كـل الليبيين صاروا اعداء وعصاة وجب قتلهم وحرقهم وتخليص الامة الايطالية من شرهم كأنما هم الذين غزوا الارض الايطالية !! وكان الايطاليون فى هذه المرحلة قد سعوا وراء الزعماء والحكام او قادة الجهاد بكل الوسائل وان كانوا قد استطاعوا إن يكسبوا البعض منهم بالمال بعد إن عجزوا عن ذلك بالقوة، فان نداء الله اكبر مازال يسمع فى كل مكان فى ليبيا، وحى على الجهاد مازالت تتردد فى الصحارى والوديان والجبال عند اولئك الذين لم يعرفوا الذهب ولا عشقوه، انهم اهل الارض التى لا يمكن إن تباع بمال الدنيا كلها، ويذكر إن ضابطا ايطاليا ذهب ليقابل السيد (احمد الشريف) عندما

اجبر على ترك البلاد، وكان السيد احمد رحمه الله فى (مرسين بتركيا) اتصل به ذلك الضابط عارضا التفاوض، و لم يمانع السيد احمد فى البداية ولكنه عندما اقتنع بان الايطاليين يساومون ويسوفون قال (إن طرابلس وبرقة ليستا ملكى لأجود بهما على الطليان بل هما ملك اهلهما) رحمه الله رحمة واسعة ذلك الرجل المجاهد الصادق ولقد صدق فيما قال، واهل هذه البلاد قرروا إن يقاتلوا الى آخر رجل ولآخر بندقية وآخر أطلاقة ..ولقد عبر الشعر الشعبى عن مشاعر الليبي واحساساته الوطنية فى الذود عن الوطن والكرامة ابلغ تعبير،، الشاعر اشريف السعيطى قال :

نفسى عزيزه وعزها مولانا   مانهينها حتى إن طال جفاعا
عزها ناشيها خلقها وصورها   عصر ماليها إن صار الجفا
ما لناس ما يعنيها
متكالها عالله هو اللى يغنيها   بلغذا ووقت العشا عشاها
كيف عيشة بالذل كيف بلاها
عزها خالقها ولا نهينها إن طال   الجفا وألحقها النفس العزيزة
ربنا قربها ولها رزق عندا فى علوم نشاها
إن ذليتها لازم تشوف تعبها   وتحاسبك على ما صار فى دنياها

عزها من الهادى ولا تعيش بمعيشة صغى مرمادى
مولاها خلقها من اول بادى وهو اللى خبير بفقرها وغناها
طبعها ماو ساهل عارف احوال الدهر مانى جاهل
ولافى صغا ليام نبقى واحل ولا نذل نفسى والعصر مرباها

روس العرب ودك تكون مناهل   انزحت اميتهم قريب رجاها

تعود سريعه وكل وقت متعسر وراه رديعه
والصاحب اللى يبيعك رخيص اتبيعه والسيه انصارت فيك لاتنساها

الدنيا تراجع والسنين وسيعة   وين ملت عادنلك برد كفاها
العيب وجيعه والصاحب الي تشتريه ليش اتبيعه
العيب شين ما قرت عليه شريعه   ولا صرحوه ابتسكريه مطبوعه
وبو عقل ما يصمل بعد تقديمه   لامن مواجع دايرات أهلوعه
العيب صغاره ايهون للى غالى   او اتبرد ناره كيف من سرق فى
الليل خياشة جاره مع رمه المقدم وهى مقلوعه
عند المرضي تلزمه الكباره   وفى شارعنا لازم حلال ابيوعه

وفى هذه المرحلة التى قلنا انها المرحلة الثالثة او الغزوة الثالثة شدد الايطاليون قبضتهم على المناطق الساحل والجبل الغربى وبعض مناطق الجنوب ونهجوا اسلوب الحرب والتدمير وبذلك لم يكن امام المجاهدبن الا اللجوء الى الصحراء لمواصلة النضال وقد صمموا على ضرب العدو ضربات موجعة وسلكوا بالمقابل اسلوب الحرب الخاطفة وبذلك فهم لا ينتظرون العدو وانما يبادرونه بالقتال وهم متنقلون، وما عنيناه بتعبير المخاض هو ان الليبين قد إنقسموا على انفسهم (مرغمين) الي ثلاثة فئات، فئة ضعفت نفوسها وانساقت وراء الاغراءات والدسائس ذلك إن الايطاليين قداستعملوا الذهب والمال لرشوة هذا الزعيم او ذلك كما ضربوا على و تر القبيلية والطائفية ولقد راينا كيف ذكر الجنرال (غراتسياني) انهم بحثوا كثيرا فى التاريخ القديم واحجوا العداوات والثارات التى حدثت فى مراحل سابقة ليفرقوا الاسرة الليبية الواحدة كالحديث عن تاريخ الفتح الاسلامى ومجئ العرب الى هذه البلاد واصطدامهم بالبربر

(اهل البلاد الاصليين) وكأن هناك اصل وفصل و كأن الامم الاخرى قد تكونت من اصل واحد الشئ الذي لم يتوفر لأهل ليبيا، والفئة الثانية هي اولئك الذين لاعهد لهم ولا معرفة بالصحراء وهم بالتالى لايمكنهم تحمل شظف العيش وحياة البادية ومالهم الا إن يسلموا ما لديهم من سلاح مقابل البقاء فى مزارعهم او بيوتهم (رغم إن الايطاليين لم يحفظوا عهد) وانما اجبروهم فيما بعد واجبروا البعض منهم على إن يكونوا جنودا يقاتلون اخوتهم، والفئة الثالثة كانت بادية فى الاصل، أي اولئك الذين خبروا الصحراء بما فيها من صعاب، وهذه حملت لواء الجهاد حتى النهاية وصارت مرابطها في صحراء ليبيا الواسعة والتى استعصت على القوات الايطالية بكل ما لها من عتاد متقدم (الطائرات وعربات صحراوية ومدافع بعيدة المدى) وربما يكون مفيدا للقارئ الكريم إن نعّرج على اسباب الخلاف بين زعماء الجهاد الوطني فى فترة ما بعد هزيمة الدولة العثمانية وتاسيس الجمهورية الطرابلسية وما صاحبها وجاء بعدها قبل إن نستعرض احداث الغزوة الثالثة ودور المجاهدين في القبلة ...

بعد إن انهارت الدولة العثمانية ووصل ذلك الخبر في نوفمبر ١٩١٨ الى قيادات المجاهدين والضباط الاتراك فى ليبيا وعلى راسهم الامير عثمان فؤاد نزل عليهم كالصاعقة اذ كانت قوات المجاهدين تعتمد اعتماد كبيرا على العون والمساعدات التركية والالمانية وقتذاك، وبحدوث ذلك الانهيار سوف ينقطع او يتوقف المدد عن المجاهدين وربما تخلت نهائيا تركياعن مساعدتهم، وتكون بذلك قد خذلتهم مرتين (وان كانت مرغمة) كانت المرة الاولى بعد اتفاقية (او شى لوزان) سنة ١٩١٢ م وهذه المرة الثانية و لم يكن المجاهدون يعلمون بنصوص الاتفاقية التى وقعت قبل الاستسلام

والتى كانت فيها شروط الحلفاء قد فرضت على تركيا ومنها ايقاف المساعدات عن الليبيين وسحب الجنود والضباط الاتراك، كانت نصوص الاتفاقية كما يلى :

(المادة ١٧ تنص، يجب على جميع الضباط الاتراك فى طرابلس الغرب إن يسلموا انفسهم الى اقرب مركز ايطالى فى ليبيا، ويجب على تركيا إن تقطع جميع المؤن والمساعدات وكل صلة مع هؤلاء اذا لم يذعنوا ويسلموا) (وتقول المادة ١٩، تسليم جميع الموانئ فى طرابلس ومصراته الى اقرب قائد لجيوش الحلفاء) ومن هنا نرى إن تركيا ملزمة بقطع المساعدات والتخلى تماما عن ليبيا لأن ذلك هو المقصود بتعبير (تسليم الموانئ) ومن هنا ايضا فكر القادة فى شكل من اشكال التنظيم والقيادة وقد اقترح السيد عبد الرحمن عزام الذى كان يشغل منصب مستشار للامير عثمان فؤاد قائد الجيوش الافريقية وممثل السلطة التركية فى البلاد، اقترح اقامة جمهورية طرابلسية باسرع وقت ممكن كيلا يحدث فراغا فى السلطة والقيادة الشئ الذى يشجع اصحاب المصالح والمطامع كى ينفردوا بمناطقهم وبالتالى يتحول المجهود الوطنى الى خلاف وتناقض ثم تقاتل وتحدث الكارثة، وقد عمل السيد عبد الرحمن عزام على اقناع الالمان بواسطة ضباطهم الذين كانوا يمثلون حلقة الارتباط بالمجاهدين وقناة التزويد بالمؤن والذخائر والاسلحة على إن تستمر المانيا فى مساعدة المجاهدين خصوصا اذا اتفقوا على نظام حكم ما، وهكذا تم الاتفاق على تأسيس الجمهورية وعقد اجتماع برئاسة الامير التركى عثمان فؤاد وعبد الرحمن عزام كمستشار له، وكل من رمضان السويحلى وسليمان البارونى ومختار كعبار، بعد مداولات ومناقشات ارسلوا الى عبد النبى بالخير فحوى الخبر لمشاورته وتقرر دعوة جميع رؤساء القبائل للاجتماع فى امسلاته من اجل مناقشة فكرة تأسيس الجمهورية وقد تم الاجتماع يوم ١٦ نوفمبر

١٩١٨ م حيث تحدث فيه عبد الرحمن عزام باسم الامير عثمان فؤاد قائد الجيوش وممثل السلطان فى ليبيا وكان لخطابه اثر كبير فى اقناع الجميع بفكرة الجمهورية التى سوف تحل محل السلطة التركية وتمكن المجاهدين من الاستمرار فى الدفاع عن البلاد ضد الغزو الايطالى وتوحيد الكلمة فى الذود عن كرامة البلاد وطرد المعتدى، وقد تشكلت هيئة رئاسية من كل من رمضان السويحلى وسليمان البارونى واحمد المريض وعبد النبى بالخير وانتخب مختار كعبار رئيسا لصندوق المال، على إن تكون حدود سلطة هذه الجمهورية من حدود برقة شرقا الى حدود تونس غربا، وقبل إن ينفض الاجتماع تم اختيار مجلس شورى الجمهورية على النحو التالى :

(من الزاوية الشيخ محمد سوف رئيس اول، من الجبل يحى البارونى رئيس ثانى، من ترهونة الشيخ عبد الصمد النعاس عضوا ،ومن مسلاته الحاج مفتاح التريكى عضو، من قماطه الشيخ على بن رحاب عضوا، ومن الساحل الحاج محمد بن خليفة عضوا، من زليطن عبد السلام الدايمى عضوا، من مصراته الحاج على المنقوش عضوا، من سرت محمد المنتصر عضوا، من مرزق عبد الرحمن بركات عضوا، من الشاطئ محمد بن احمد عضوا، من الجبل ابراهيم ابى النعاس عضوا، من غدامس الشيخ الحبيب عز الدين عضوا، من يفرن سالم البرشوشى عضوا، من ككله على عبد الرحيم عضوا، من غريان الشيخ عبد الرحمن شلابى عضوا، من النواحى الاربعه على شلابى عضوا، من صرمان والعجيلات عبيده المحجوبى عضوا) [1]

كما اختير مجلس شورى الجمهورية على النحو التالى :

١ كتاب جهاد الابطال ، الشيخ الطاهر الزاوي .

(الشيخ عمر الميساوي، الشيخ الزروق بوخريس، الشيخ محمد الامام، الشيخ مختار الشكشوكى) وادى الجميع قسم اليمين على القرآن الكريم على النحو التالى :

(اقسم بالله العظيم قابضا بيدى على القرآن الكريم إن اجعل نفسى ومالى فداء لوطنى وحكومتى (الجمهورية الطرابلسية) وان أكون لعدوها عدوا ولصديقها صديقا ولقانونها مطيعا) وكان قد روعى فى هذه الاختيارت وضع القبائل وتوزعها الجغرافى رغبة فى عدم حدوث خلاف او تذمر من اى طرف او قبيلة، وبعد ذلك تم الاتفاق على ارسال مذكرات الى دول العالم بعد إن تم اعلان الجمهورية الطرابلسية، وكان نص الاعلان يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم ....

فى الساعة الرابعة والنصف من يوم السبت المبارك، الثالث عشر من شهر صفر سنة ١٣٣٧ هجرية قررت الامة الطرابلسية تتويج استقلالها باعلان حكومتها الجمهورية باتفاق علمائها الاجلاء واشرافها واعيانها ورؤساء المجاهدين المحترمين الذين اجتمعوا من كل انحاء البلاد، وقد تم انتخاب اعضاء مجلس الشورى الطرابلسى وانتخب اعضاء مجلس الجمهورية وافتتح اعماله بتبليغ اعلان الجمهورية الى الدول الكبرى والى الدولة الايطالية، إن الامة الطرابلسية تعتبر نفسها حائزة لأستقلالها الذى اكتسبته بدماء ابنائها وقوتها مند سبع سنين وهى سعيدة بالوصول الى هذه الغاية التى هى اشرف ما تصل اليه الامم، وتهنئ ابنائها بتمام نجاحها واتحادهم على الثبات التام فى الدفاع عن وطنهم وحكومتهم الجمهورية الجديدة، والتوفيق بيد الله ..) ولقد وقع الاعلان كل من احمد المريض وسليمان البارونى ،وكانت المذكرة قد ارسلت الى

الحكومة الايطالية وهى مصحوبة بمذكرة شروط الصلح على اعتبار إن ليبيا فى حالة حرب مع ايطاليا، وكانت الشروط كما يلى :

(اذا قبلت المواد التالية ووضعت موضع الاجراء فحكومة الجمهورية الطرابلسية مستعدة للبحث مع الحكومة الايطالية فى عقد صلح طبقا للقواعد التالية .....

اولا، فى حال دوام المذاكرة يجب على كل من الطرفين المحافظة على مواقعه بصورة هدنة ..

ثانيا، لا تقرب السفن الحربية السواحل غير المحتلة بالعساكر ..

ثالثا، لاتتجاوز الطيارات حدود الاستحكا مات ..

رابعا، لاتقع مخابرة خصوصية مع اى كان لا من جهة المناطق الحربية ولا من غيرها ..

خامسا، قطع كل ما فيه وسيلة للاختلاط بالاهالى من طرف الحكومة الايطالية كأخذ واعطاء البضاعة وتوزيع الاعانات على اى صورة وباى طريقة كانت ..

سادسا، المخابرات الرسمية والدخول والخروج لايكون الا من الموقع الذى يصير تعيينه فى منطقة الخمس من طرف الحكومة الطرابلسية ..

سابعا، حكومة الجمهورية الطرابلسية مستقلة فى شئونها وحركاتها تمام الاستقلال وغير مقيدة باى شرط او قيد تضعه حكومة اخرى او تتعهد به لحكومة ايطالية فى طرابلس ..

ثامنا، الضباط التراك والالمان الموجودون فى طرابلس هم بمنزلة ضيوف عند الحكومة الطرابلسية ولا تسمح بسفرهم الا تكفل منفعة وشرف الامة الطرابلسية وحكومتها الجمهورية ...

تاسعا، بما إن الامة الطرابلسية لها الحق فى اظهار حقوقها للعالم الانسانى وبالخصوص الحكومات الموجودة قناصلها فى مدينة طرابلس مثل انتجلترا وفرنسا وامريكا فعلى الحكومة الايطالية قبول وتوصيل مايرسل من الحكومة الطرابلسية اليها بدون اطلاع عليه، واخذ سندات من القناصل المذكورين وارسالها الى الحكومة الطرابلسية حتى لا تضطر الى اتخاذ طريقة اخرى لمواصلة مخابراتها المذكورة .....

عاشرا، المخابرات مع الحكومة الايطالية لا تجوز الاتحريرا ولا يعتبر اى كلام شفهى..

و لم تقبل الحكومة الايطالية ولا هى استصاغت تلك الشروط ولا حتى المذكرة واعلان استقلال الجمهورية الطرابلسية اذ كيف لدولة كأيطاليا ارادت إن تكون ليبيا شاطئها الرابع إن تقبل بجمهورية تملى عليها شروطا !!؟

وهكذا بدأت ايطاليا تعد العدة للتآمر والعدوان بعد انهيار الدولة التركية العثمانية وسحب الضباط الاتراك من ليبيا حسب شروط معاهدة (موندروس) التى املى فيها المنتصرون شروطهم على تركيا ومباشرة بعد ذلك ظهرت الخلافات بين الزعماء العرب (قادة الجهاد الوطنى) و لم تدم الجمهورية الطرابلسية اكثر من ستة شهور، وعلى الرغم من إن هدنة قد تم الاتفاق عليها بين ليبيا وايطاليا فى (١١ نوفمبر ١٩١٨ م) الا إن الحكومة الايطالية عبأت قواتها وصارت ترسلها الى البلاد مما اثار المخاوف والتوجس بين قيادات الجهاد الوطنى، وكانت هناك مفاوضات صلح بين الطرفين عرفت باسم (مفاوضات خلة الزيتون سنة ١٩١٩ م) وقد تلكأت وناورت ايطاليا خلالها ثم افشلت المفاوضات وقامت قواتها عندئذ بالهجوم على مواقع المجاهدين يوم (١٧ ابريل ١٩١٩ م) والقوات التى أعدت لذلك الهجوم حددها الجنرال (غراتسيانى) بالاعداد التالية عندما قال : (ابتدأت تأتى من الوطن الام وحدات كثيرة

من مختلف اسلحة الجيش وقد انضمت الى الجيوش الموجودة فى المستعمرة من قبل فتكونت فرقتان (٣٨ و٨١) وفى اواخر فبراير ١٩١٩ م وصلت الى طرابلس الفرقة الاولى وهى فرقة الجنرال زوبى ونزلت فى جهات مختلفة من طرابلس، وبهذا اصبح فى طرابلس ثلاث فرق (الفرقة ٣٨ والفرقة ٨١ والفرقة الاولى) وفى اول مارس كانت تحت تصرف طرابلس الجيوش التاليه (ثلاثة قواد فرق و٥٦ كتيبة من المشاة و٢٩ بطارية مدافع من احجام مختلفة، وتقرر إن تقيم الجيوش فى طرابلس والخمس وزواره، وفى ١٧ مارس ١٩١٩ م قررت الحكومة الايطالية القيام بهجوم كبير على (سوانى بن يادم) وبينما هى مشغولة باعداد الجيوش اللازمة لهذا الهجوم اتصلت بزعماء العرب وجرت بينها وبينهم مفاوضات الصلح فاوقف الهجوم، ولما فشلت المفاوضات أستأنفت الحكومة اعداد الجيوش وقررت الهجوم فى ١٧ مارس ١٩١٩م وكان ترتيب الهجوم كما يلى :

(يهاجم الفرسان سكة الحديد الممتده بين العزيزية وطرابلس وتحتلها، والفرقة الموجودة فى الزاوية وزنزور تهاجم ترهونه وسوانى بن يادم لأحتلالها، والفرقة ٣٨ تهاجم فندق بن غشير لأحتلاله، والفرقة الاولى خصصت للاحتياطى لتمد مواضع الضعف فى الجيش بما يسد النقص، تقرر إن يكون الهجوم على جبهة طولها خمسون كيلومترا، من الزاوية الى بئر الفرجانى وعلى إن يكون الجيش متصلا بعضه ببعض ليكون التعاون تاما بين وحداته، الخ، وكان المفاوضون من الجانب الليبى كل من (محمد فكينى، الصويعى الخيتونى، الهادى كعبار، على بن تنتوش، احمد المريض، وباشراف رمضان السويحلى و سليمان البارونى وعبد الرحمن عزام ومختار كعبار)انتهى[1]

١ كتاب نحو فزان ، ادولفو غراتسياني، ترجمة طه فوزي ..

ومن المعروف ان المحاولات العربية بشأن جمع الشمل وتوحيد القوى لم تتوقف منذ قرب أفول نجم الدولة العثمانية، فقد كانت هناك فكرة (الجمهورية الافريقية) وهذه يذكرها الشيخ الطاهر الزاوى على النحو التالى :

(جاء الامير عثمان فؤاد الى مصراته فى مارس ١٩١٨م لتنفيذ سياسة متفق عليها بين الاتراك والالمان لتغذية الثورة فى طرابلس ضد الطليان حتى اذا وفقوا حاولوا ان تمتد الثورة الى برقة للاغارة على الانجليز فى مصرمرة ثانية وكان الاميرعثمان يمثل السياسة التركية اما السياسة الالمانية فكان يمثلها البارون (فريدفون توندورف) وقد تولى هذا ادارة التلغراف اللاسلكى وكان مجيئهما ومن معهما من الضباط بطريق الغواصة، وجاء مع الامير عثمان عبد الرحمن بك نافذ اركان حربه، وكان مما تنطوى عليه هذه السياسة احياء فكرة جمهورية شمال افريقيا التى قامت من اجلها ثورة ١٩١٥ م، وقد وجدوا من نشاط الطرابلسيين ما شجعهم على المضى فى العمل من اجلها، وكان الامير يحمل لقب (القائد الاعلى للقوات الافريقية) اعدادا له ليكون قائدا عاما لو تحققت جمهورية شمال افريقيا) انتهى[1]

ولقد كان الاستعمار الفرنسى فى شمال افريقيا مضرب المثل فى الاستبداد بالعرب والاساءة اليهم وكان الاحرارمن التونسيون والجزائريون والمركشيون يفكرون دائما فى التخلص من هذا الكابوس الذى جثم على صدورهم وسلب حقوقهم، وقد انتهزوا نشوب الحرب فى سنة ١٩١٤م فألف جماعة منهم فى الاستانه وفدا اخذ يعمل (لأنشاء جمهورية شمال افريقيا) ينضوى تحت لوائها من حدود مصرالى حدود بحرالظلمات كل الشعوب والبلاد، وكان من ضمن وفى مقدمة هؤلاء السادة المجاهدين (السيد على بشك حنبه

١ جهاد الابطال ، الشيخ الطاهر الزاوي .

والشيخ صالح الشريف والشيخ اسماعيل الصفائحى) وهؤلاء الثلاثة من تونس ومعهم من الجزائرين والمراكشين، وزارالوفد ناظرالخارجية العثمانية وابلغة رغبة سكان شمال افريقيا فى الاستقلال وأنشاء جمهورية افريقية متحدة وطلبوا منه ابلاغ ذلك الى المانيا والنمسا رسميا وان يسمح لهم با لسفرالى برلين وفيينا لبسط مطالبهم والحصول على الوعود والمساعدات اللازمة، وعرض اقتراح الوفد على سفير المانيا فى تركيا فابلغهم بان حكومته لا تتعهد لأبناء شمال افريقيا بالاستقلال الا اذا ثاروا على الفرنساويين الذين يحتلون بلادهم وغادرالوفد الاستانة عقب ذلك الى برلين وزاروزارة الخارجية الالمانية وقدم طلباته فقبلتها وسجلتها رسميا كما اعترفت بها النمسا وتركيا ايضا فكان ذلك اول اعتراف دولى با لجمهورية الافريقية المتحدة فى شمال افريقيا، وقصد الوفد بغد ذلك الى (لاهاى، مقر المحكمة الدولية) فسجل هذا الاعتراف فى سجلاتها لأن عصبة الامم لم تكن قد انشئت اذ ذاك، وتنفيذ الرغبة الالمان فى الثورة على الفرنساويين ورجاء الوفاء بما وعدوا به الوفد من المساعدة وامداد الثورة بما يلزمها من مال وآلات الحرب وأنشاء الجمهورية الافريقية قامت ثورة الحامة سنة ١٩١٥ م فاضطرت فرنسا الى ان ترسل من جيشها ثلاثين الفا لأخماد الثورة وقد اختيرت الحامة مكانا للثورة لقربها من الحدود الطرابلسية وليسهل الاتصال بها والاستنادااليها وكانت اذ ذاك على اشدها وقد قام بهذه الثور الشيخ سعيد دباب من اعيان جنوبى تونس وممثله فى الجمعية الشورية فاغار على مراكزالفرنساويين فى الحامة وقد تداركها الفرنساويون بجيوشهم فاخمدوها فى خمسة ايام واسفرت عن قتل الشيخ سعيد وابنه وخادمه وجماعة من رجاله وعن نحو مائة قتيل من الفرنساويين، وانتقم الفرنساويون ممن وقع فى ايديهم من انصار الشيخ سعيد بالقتل والشنق والسجن ولجأ كثير منهم الى الحدود الطرابلسية وجاهدوا مع الطرابلسيين، وكنا نسميهم (المهاجرين) .. انتهى[١]

١ جهاد الابطال ، الشيخ الزاوي .

وفى ليبيا استفحل الخلاف بين المجاهدين وحدث ان انقسمت البلاد الى قسمين، (قسم غربى) مركزه ترهونه، و (قسم شرقى) مركزه مصراته، وكان لهذا المركز مؤيدون ولذلك انصار كل حسب مصلحته الشخصية ووضع قبيلته وانتمائه الجغرافى، واستطاع الايطاليون ان يأ توا الى كل منطقة بزعيم عربى ليبى يناوئ الزعيم الموجود بها مما زاد الامور تعقيدا وجعل الصراع مستفحلا ومعقدا ولأن الوضع كان فى غاية التأزم فقد كان اصحاب الاعمال الخيرة والايادى البيضاء يحاولون رأب الصدع ومنهم عبد الرحمن عزام الذى كان صاحب الدور البارز فى اغلب المصالحات وقد وصفه الشيخ الطاهر الزاوى بما يلى :

(قال الامير شكيب ارسلان فى حاضر العالم الاسلامى، لما استدعى انور اخاه من مصراته الى الاستانه وولاه قيادة الجيش فى القفقاس استصحب معه الى الاستانه الاستاذ عبد الرحمن عزام، وقال لى نورى مرة هذه الجملة (لولا هذا الشاب ما كان يمكننى ان اوفق فى طرابلس) وكان عزام يد نورى اليمنى) انتهى ص ٣١٣ [١] وفى هامش من الكتاب يقول الشيخ الطاهر الزاوى (نقلا عن شكيب ارسلان) بشأن حوادث سنة ١٩١٧م ونحن الآن فى سنة ١٩٥٠ م ومازال عزام باشا يحيط القضية بروحه وجميع جهوده وكأن الله خلقه من اجلها وقد انغمس فى العمل للقضية الطرابلسية حتى نسى نفسه، وقد اصبح المرجع الوحيد الذى لا يستغنى احدعن رأيه فيها فما من حكومة عربية او اوربية او مؤسسة عالمية او هيئة سياسية وطنية اوغيروطنية لها صلة بقضية طرابلس الا وتصدرعن رأى عزام باشا فيما تريد ان تعمله فى القضية، ومن حسن حظ قضيتنا ان كان عزام باشا امينا عاما لجامعة الدول العربية فقد حاول بجميع الطرق اقناع الدول العربية باحقية هذه القضية وبالانفاق فى سبيل انجاحها الى ابعد حدود الامكان حتى اصبحت منهم محل العطف وعرفوا عنها ما لم يكونوا والذين شاهدوا ما بذله عبد الرحمن عزام باشا من جهود لنجاح القضية الطرابلسية

١ نحو فزان، ادلفوا غراتسياني

من سنة ١٩٤٠ م الى سنة ١٩٥٠ م لاشك فى إن نقله شكيب حلقة من سلسلة جهـــاده الطويل للقضية الطرابلسية) انتهى [١]

اردت بهذا ان اجعل احد الزملاء الذين كتبوا عن احداث تاريخ الجهاد اللـــيبى يندم على ماذكر فى كتابه عن الاستاذعبد الرحمن عزام فقد اتهمه دون رويّة ولا تدقيق وتحقيق بالتعامل مع الطليان ضد القضية.

الوطنية، وكلام الشيخ الطاهر الزاوى ليس فقط المنقول عن السـيد شـكيب ارسلان وانما ما رآه بنفسه اذ انه كان شريكا فى كثير من الاعمال المتعلقة بالقضـية الطرابلسية وبالجهاد الليبى بشكل خاص، وهو ممن عاصروا ورأوْا رؤية العين ما قام به ويقوم به ذلك الرجل الذى وهب نفسه للعمل من اجل قضية الشعب الليبى لأنها قضية عادلة ولأنها ثانيا قضية عربية ولواتسع المكان والوقت لنقلت كل ما كتـب الشـيخ الطاهر الزاوى عن مناقب واعمال عبد الرحمن عزام عسى ان يجعل ذلك زميلنا يراجع نفسه ويقلع عن توزيع التهم بكتابة الحقائق اذا حاول إن يكتب مرة ثانية اومرة اخرى ذلك ان الذين يستبيحون لأنفسهم حق ادانة الناس لابد ان يعرفوا ان حقائق التـاريخ كفيلة بفضح نواياهم واغراضهم.

ولقد شارك عبد الرحمن عزام فى اغلب الاعمال العسكرية المتعلقة بالجهاد الليبى كما شارك فى جميع اللقاءات والمؤتمرات الخاصة بالمصالحات وكان وسيطا ومبعوثا فى كثير من المهام، شارك فى مؤتمر فندق الشيبانى فى مارس ١٩٢٢م وكان له دورا بارزا

١ هذا ما قاله شكيب ارسلان وما اورده الشيخ الطاهر الزاوي ورغم كل تضحيات السـيد عبـدالرحمن عـزام ونضاله فان الاستاذ القشاط لم ير فيه الا عميلا للطليان ولا نعرف على أي اساس جاء ذلك الاتهام علي اننا نعلم مع الاسف بان السيد القشاط يقرر التهم جزافا وبالمزاج فقط .

من اجل توحيد القيادات الليبية وكان أحد اثنين بعثا برسالة البيعة الى السيد ادريس فى نوفمبر ١٩٢٢م، ولقد تحدث هو نفسه عن اعماله ونضالاته من اجل القضية الليبيـة فكتب تحت عنوان (واجهت مع الدول العربية مؤامرة تقسيم ليبيا) ما يلى :

(كانت مذكرة واضحة وقلت فيها بصراحة رأى وهو انه فى حالة اصرار الدول الكبرى على وضع ليبيا تحت الوصاية او الانتداب تكون الجامعة العربية او احدى دولها هى الوصية على ليبيا، وكان فى تفكيرى ان فى وسعى ان اسد الطريق امـام الـدول الكبرى بحيث لايتم تقسيم ليبيا او محاولة فرض الوصاية عليها، كانت هذه المـذكرة كما سبق ان قلت هى اول ورقة تخرج من الجامعة العربيـة الى الـدول الاعضـاء لتثيرانتباههم الى الخطر الذى يهدد قضية ليبيا، وقد بادرت الحكومة المصرية با رسـال مذكرة الى وزراء الدول الكبرى تشرح فيها موقفها من هذه القضية وفى منتصف سنة ١٩٤٥م قمت بزيارة بعض الدول العربية وانتهزت الفرصة لمواصلة اتصالاتى واثـارة انتباه الدول العربية الى الخطر الذى يهدد استقلال ووحدة ليبيا، وكـان إن عملـت اثناءزيارتى للمملكة العربية السعودية على مقابلة الوزير الامريكى المفوّض فى جـده ودار بينى وبينه حديث طويل حول مستقبل الاراضى الليبية ثم طلبت اليه ان يلفـت انتباه حكومته الى اهمية وقوفها الى جانب حق ليبيا وشعبها فى الاستقلال والوحـدة، وعندما تشرّفت بمقابلة المغفورله الملك عبدالعزيزآل سعودقمت بعرض قضية ليبيا على جلالته، قلت لجلالته ان وقوف الدول العربية وراء قضية ليبيا هو اول امتحان للجامعة العربية وابتسم طويل العمروهويقول (ان المملكة العربية السعودية بكل امكانياتها تقف وراء الحق العربى لشعب ليبيا) كان رحمه الله سريعا وحاسما فى اتخاذ القرارولـذلك لم انتظر وبادرت بترك المملكة العربية السعودية لأقوم بجولة سريعة فى بقيـة العواصـم

العربية حيث عرضت القضية على المسؤلين فى بغداد وعمان ودمشق، كان واجبى ان اضع الحقائق كلها وانا الخبير بقضية شعب ليبيا امام المسؤولين فى الحكومات العربية ولم اعد الى القاهرة الا بعد ان تقرر ان تقوم الحكومات العربية الاعضاء فى الجامعة العربية بمساع لدى وزراء خارجية الدول الكبرى اثناء اجتماعاتهم فى لندن لتأييد حق شعب ليبيا فى الاستقلال والوحدة، وفى يوم ١٥ سبتمبر سافرت الى لندن للاتصال بوزراء خارجية الدول الكبرى وكانت تلك اول مرة تظهر فيها الجامعة العربية بعد اعلان مولدها على مسرح الاتصالات السياسية الدولية، وكان حدثا تاريخيا عندما وجهت فى ٢٨ سبتمبر١٩٤٥ م مذكرة الى مؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى باسم الجامعة العربية، وكانت ترجمة هذه المذكرة تقول با لحرف الواحد :

(ان ليبيا بلد عربى تحده تونس وبلاد المغرب غربا ومصر شرقا والصحراء الكبرى جنوبا ويقطن هذه البلاد منذ قرون قوم من اصل عربى وهم يتكلمون لغة واحدة ويتبعون تقاليدوعادات واحدة ويدينون بدين واحد، وهى بلاد مترامية الاطراف غيرانها فقيرة وقد ظلت ليبيا منذذلك الحين بلاد متحدة يعيش سكانها داخل حدودها ويتبادلون محصولات اراضيهم ويتعاونون على استقلالها ولم تكن هناك اية حدود بين مناطقها وكان البدو الرحل من السكان يتنقلون فى انحاء البلاد فى حرية تامة طلبا للمرعى وكثيرا ما استوطنوا حيث طاب لهم المقام، والبلاد فى طبيعتها غير قابلة للتجزئة ولذلك فان فكرة ترمى الى تقسيمها الى مناطق او ولايات او دوائر نفوذ او وضع اى قسم منها تحت نظام الانتداب فكرة لاشك عائدة بالضررعلى البلاد اقتصاديا واجتماعيا وادبيا وخاصة انه لم يسبق ان حصل تقسيم هذه البلاد منذ آلاف السنين، وقد ورث الليبيون عن اجدادهم حب العرب التقليدى للحرية وتاريخهم

الطويل ملئ بالادلة التى تشيرالى دفاعهم المجيد عن بلادهم وآخرها مقاومتهم العنيفة للعدوان الايطالى والفاشى لمدة عشرين سنة كاملة بحيث لايمكن ارغام هذا الشعب العربى على قبول اى حل لايتفق مع امانيه القومية التى تتلخص كما اعرفها فى الرغبة فى بقاء بلادهم موحدة وفى ان تترك له الحرية فى ادارة شئونه بنفسه وان تصبح ليبيا عضوا فى الجامعة العربية، هذه هى الحقيقة وقد استقيت بنفسى وبواسطة اتصالاتى الشخصية هذه المعلومات من اهل ليبيا وقد فوضنى زعماؤهم ورؤساؤهم فى ان اوضح لكم قضيتها وان ادافع عنها، وقد تأكدت جميع دول الجامعة العربية من هذه الحقائق وارسل بعضها على انفراد بمذكرات فى هذا الصدد الى مجلسكم ويمكنكم بدوركم ان تتأكدوا من ذلك وانى لعلى يقين من انه اذا جرى استفتاء فى تلك البلاد تحت اشراف ممثلى الامم المتحدة لأسفرعن ان الشعب الليبى اجمع سيطلب بصوت واحد تحقيق امانيه القومية، ولاشك فى ان اى تأخير فى الوصول الى حل فى تحقيق هذه الامانى يؤدى الى خيبة مريرة ليست فى ليبيا فحسب بل فى العالم العربى اجمع، ومن الطبيعى اذا دعت الحاجة الى فترة انتقال إن تسند مهمة ارشاد الشعب الليبى لتحقيق هدفه المنشودوهو الاستقلال التام الى دولة عربية اوالى الجامعة باجمعها ولا شك فى ان اختيار امة عربية للوصاية على شعب عربى هو فى جوهره مما يتفق مع الروح التى تسود المنطقة العربية الجديدة)

موقف، عبد الرحمن عزام

امين عام الجامعة العربية ..

كان هذا احد المواقف المشرفة لذلك الرجل الذى وهب حياته للدفاع عن القضايا العربية با لكلمة والمال والجهد والعرق، بل والدم، ونحن لانملك فى هذا الوقت الاان نترحم عليه ونذكرة بكل خير وتقدير على ما بذل من جهد، ولقد اتهم الاستاذ عبد الرحمن عزام من طرف كل الايطاليين الذين كتبواعن فترة الجهادالوطنى الليبى بالتآمروالعمالة، ولكن التآمر علم ؟؟

كانوا يقولون انه تآمر على ايطاليا لأنه محرض ،هو يحرض الزعماء والمناضلين فى ليبيا على القتال والاستمراو، وهومحرض لأنه رفض السيطرة والهيمنة الاجنبية على بلدعربي مسلم،وهو محرض لأنه اول من اقترح اقامة الجمهورية الطرابلسية، وهو عميل فى نظر الايطاليين لأنه ينادى بحق امة العرب والاسلام فى الحرية والاستقلال، تلك هى اقوال الايطاليين عسكريين ومدنيين وسياسين، وليس لأحد من العرب حق التهجم عليه واتهامه كما اتهمه الايطاليون الذين غزوابلادنا وحرقوا ودمروا وقتلوا وسجنوا شعبا كاملا، ليس لأحد مهما كانت الاغراض والنوايا ان يتهمه، ونحن ربما جميعا نعرف ان الامم المتحدة فيما بعد قد استجابت للمطلب العربي متمثلا فى موقف امين الجامعة العربية وأرسلت بعثة عرفت باسم (لجنة الامم المتحدة لتقصى الحقائق) الى ليبيا ونعرف ان العضوين الوحيدين فى تلك اللجنة اللذين وقفا موقف المؤيد بقوة وصلابة لحق الشعب العربى الليبى فى الوحدة والاستقلال هما (ممثل مصر وممثل الباكستان) ذلك يعنى تأييد العرب والمسلمين لحق شعبنا فى الحرية والاستقلال ويعنى ايضا ان مواقف هذا الرجل كانت مفيدة كما كان جهاده اثناء الغزوالايطالى مفيدا

ومشرفا، ونعود الى خلافات زعماء الجهاد الليبى (ولم يكن التعريج على مواقف السيدعبد الرحمن عزام الاجزءا من حق علينا كان لابدمن آدائه ...)

حدث الخلاف بين زعماء الجهاد الليبى كما ذكرنا واستفحل مباشرة بعدتأسيس الجمهورية الطرابلسية حتى وصل الى حمل السلاح لتصفية الخلافات،وقد استطاعت ايطاليا بالدسائس والرشوة ان تنفذ الى المواقع الحساسة وفرقت بين اصحاب البيت الواحد والقضية الواحدة والدين الواحد، بين الاخوة الذين قدموا كل شئ من اجل بلادهم، حدث الخلاف فى الغرب والشرق والوسط ،حدث فى المدن وفى الدواخل، وعلى الرغم من إننا لسنا على يقين تام من ان هجوم انصاررمضان السويحلى على انصار عبد النبى بالخير فى ٢٢ اغسطس سنة ١٩٢٠م (ذلك الهجوم الذى قتل فيه رمضان السويحلى) لسنا على يقين من انه من تدبيرودسائس الايطاليين مع اى من الطرفين، فاننا نعتقدان هذا كان واحدا من اكبر الكوارث التى لحقت بالجهاد الوطنى الليبى، وكذلك فقدحدث ان تقاتل فى نفس التاريخ الاخوة فى جبل نفوسه وكانت هذه ايضا كارثة مدمرة حلت با لمجاهدين، ولذلك فانه لايمكن القول ان الاصابع الايطالية والاموال الايطالية لم تكن سببا فى هذه الحوادث و الكوارث، ومرة اخرى كان السيدعبد الرحمن عزام له دور هام فى تهدئة الخواطر و لم الشمل كما كان له دوره البارز فى احداث اخرى (فى مؤتمر غريان الذى عقدخلال شهرنوفمبر ١٩٢٠ م على اثرازمة الجبل الغربى ومؤتمرسرت الذى عقدفى يناير١٩٢٢م الذى كان من اجل توحيد صفوف الامة) مؤتمر غريان انعقد فى نوفمبر ١٩٢٠ م بعد الخلافات الكبيرة والتقاتل الذى حدث بين الاشقاء وبعد مقتل رمضان السويحلى ولقد انتخب المؤتمر (هيئة الاصلاح المركزية) برئاسة احمد المريض وكان مستشارالهيئة عبدالرحمن عزام واعضاؤها كل من (بشير السعداوى حسين بن جابر محمد فرحات عبدالرحمن زبيده

محمد التايب سالم البحباح عثمان القيزانى عمر بودبوس صادق بن الحاج مختار كعبار محمد فكينى الصويعى الخيتونى) وكانت هيئة الاصلاح المركزية بمثابة حكومة وطنية تشرف وتنظم وتقود البلادالى شاطئ الامان،ولقد قررذلك المؤتمر ارسال وفد الى روما في ديسمبر سنة ١٩٢٠ م رغبة فى شرح مطالب الشعب الليبى فى الحرية ولغرض حقن الدماء الــتى سالت كثيرة وغزيرة وقد فشل الوفد او (أفشل) فى مهمته وان استطاع الاعضاء التحدث الى الصحافة الايطالية واحزاب المعارضة خلال الشهور التسعة التى قضاها الوفد فى بــلاد الطليان، وكانت الحكومة الايطالية قد شكلت وفدا من اعوانها فى ليبيا قالت إنهم يمثلــون الشعب الليبى بحيث يقطع الطريق علىوفد المجاهدين الذى كان برئاسة الســيد فرحــات الزاوى وكان يطالب بحق الليبيين فى الحرية والاستقلال والاستقرار بينما كان وفدا عوان ايطاليا برئاسة حسن القرمانللى وهو يعارض ما يطالب به الوفد الاول ويدعى انه هو الذى يمثل الشعب الليبى ...

ومن ضمن مقررات مؤتمرغريان اقامة حكومة عربية مستقلة فى غرب ليبيا ولمــا فشلت المحاولات او افشلت لأن الدسائس والمؤامرات الايطالية كانت مستمرة اتفــق على عقد مؤتمرآخرعرف باسم(مؤتمر سرت) وعقد فى ينايرسنة ١٩٢٢ م حيث ناقش امكانية توحيد البلاد تحت امارة واحدة، وكانت مقرراته كما يلى :

(الحمد لله المبدى المعيد، الفعال لما يريد، ألف بين قلوب المسلمين وجعلهم خير امة للعالمين والصلاة والسلام على رسول الهدى والرحمة الذى جاء يدعونا الى العــزة والاباء ويعلمنا كيف نقاتل الاعداء ،وبعد فقد اجتمعنا نحن الموقعين على هذه المعاهدة المفوضين من قبل طرابلس وبرقة وقررنا بعدمداولة الفكر المواد الآتية المتضمنة اتفــاق القطر الطرابلسى والبرقاوى على الاتحاد والتعاون فى السراء والضراء واتفقنا على :

١ يجب إن نوحد كلمتنا ضد العدو الغاصب لبلادنا وضد المفسدين .

٢ يجب إن يكون عدونا واحد وصديقنا واحدا .

٣ إن كافة ما وقع بين الطرفين من التجاوز لا يطالب به احد الاخر الى إن تستقر الحالة فى الوطن وتتعين وضعية البلاد العمومية ومع ذلك يجب إن يسعى الطرفان فى المسامحة بين العربان ومن يتعدى بعد الآن فعلى الحكومة التابع لها ان تعاقبه بما يستحق .

٤ كل من يخالف الجماعة ويدس الدسائس الاجنبية على الحكومة المنســوب اليهــا عليها اعدامه ومصادرة امواله حسب الشريعه الاسلامية .

٥ يرى الطرفان إن مصلحة الوطن وضرورة الدفاع ضد العدو المشترك تقضى بتوحيد الزعامة فى البلاد ولذلك يجعلان غايتهما انتخاب امير مسلم تكون له الســلطة الدينية والمدنية داخل دستور ترضاه الامة

٦ يتخذ الطرفان الوسائل اللازمة لتحقيق هذه الغاية المذكورة فى المادة الخامسة وان تكون تولية الاميربارادة الامة .

٧ متى تحققت الغاية المذكورة فى المادة الخامسة يجب انتخاب مجلس تأسيســى مــن الفريقين لوضع القانون الاساسى والنظم اللازمة لادارة البلاد وقبل ذلك وتمهيدا لهذه الاعمال يجب على الطرفين إن يرسل كل منهما مندوبا للبلدين لأجل ان يشتركا فى سياسة البلاد والتدابير المقتضاة للدفاع عن الوطن.

٨ يتعهد الطرفان بالا يعترفان للعدو بسلطة وان يمنعوه من بســط نفــوذه خــارج الاماكن المتحصن فيها الأن وفى حالة وقوع حرب يتضافر الطرفان على حرب العدو والا يعقدوا صلحا او هدنة الا بموافقة الفريقين.

٩ اذا خرج العدو من حصونه مهاجما جهة من الجهات وجب على الجهة الاخرى إن تمد المهاجم بالمعدات الحربية والمال والرجال وان تنذر العدو بالكف عن التجاوز واذا لم ينكف تهاجمه بدورها.

١٠ تجتمع هيئة منتخبة من اهالى طرابلس وبرقة مرتين فى كل سنة فى شهر المحرم ورجب للنظر فى مصالح البلاد .

١١ يشترط ان توافق على هذه المعاهدة كل من حكومة برقة والهيئة المركزية فى جهة طرابلس.

١٢ مهمة الهيئة المذكورة تأييد العلائق الودية بين الطرفين وتأييد هذه الاتفاقية ....

قصر سرت في يوم السبت ٢٢ جمادي الاولي ١٣٤٠ هجرية (٢١ يناير ١٩٢٢ م

وبعد انتهاء المؤتمر نزلت القوات الايطالية فى قصر حمد بمصراته وذلك لغرض قطع الطريق علي هذا الاتفاق الذى يؤدى الي توحيد الجهود بين المجاهدين في كل من طرابلس وبرقة وان كانت قد تكبدت خسائر كبيرة وواجهت معارك ضارية فانها احتلت قصر حمد والمواطين يوم ٢٦ فبراير ١٩٢٢ م، وبطبيعة الحال فان هذه الدولة الغازية وقد كانت وراء الدسائس والمؤامرات فى كل مكان فى البلاد وعملت علي افساد مقررات مؤتمر غريان وافشلت مهمة وفد ذلك المؤتمر فأنها لايمكن ان تسكت او تقبل ما يمكن ان يودى الى توحيد الجهاد الوطني فى البلد الذى ارادته الشاطئ الرابع، ومن هنا بدأت مرحلة جديدة وقاسية فى الجهاد الوطني (دسائس ومؤامرات واصرار على الاحتلال) اختلاف فى الداخل ومرتزقة ضعاف النفوس جندوا لمقاتلة اخوانهم فى الدم والدين والوطن، تآكل الامكانيات الوطنية وندرة المؤن والذخائر، كل هذه الامور تجعل تلك المرحلة غاية فى الصعوبة، ولكن لابد ان يستمر، هكذا قرر اصحاب الوطن والحق المؤمنون بالله، لقد قرروا إن يموتوا اعزاء كرماء فى سبيل الوطن، ولقد سجل الشعرالشعبى المرحلة الجديدة هذه ومجدها كما اهاب بالمناضلين من اجل الوطن ان يواصلوا الجهاد، وهنا نرى الشاعر الشعبى محمود بتلو يقول :

الجهاد يا رسول الله فى الكفار ... عدو المصطفى ما لهم الا التدمير
ياعون من فيهم حضر نهار ... يمسح غشاش القلب والتكدير
على كوت مقتدر ليا رماه وغار ... ايجى منقطع حادر مثيل الطير
اربد وحجلاته تقول سوار ... فى حين فارغ غايته التقدير
لاهو رقيق العظم لاخوار ... ولا زلط فى رجليه لا تدبير
وسرزه افعين الشمس دار شرار ... فضه وذهب وكاتفه وحرير
وهو تحتهن يردح كما الزكار ... على الفور سيده حدرا تحدير
إن كان نال الاجر والافخار ... وان كان قصرت ما طال عمر قصير
هنيا لمن يوم الجهاد اقبار ... لاحساب لا ناكر ولا نوكير
وفى دار يسكن وياها من دار ... دارا توتت غير لأهل الخير
وفى جنة الفردوس يبقى جار ... شفيع امته من الحشر يوم اتحير
وصلى عليه الله ياحضار ... المبعوث فى الامه بشير نذير
على عداد ما صب السحاب ... امطار وما نبت فى الارض من شعير
وعداد الورق والحب والاشجار ... ونجوم السما والرمل بالتكرير
صلاة على طول المدد تدكار ... على شفيعنا السراج والمنير

ولقد بدأت العمليات الحربية من جديد بعد فترات هدنة متباعدة كان فيها كل جانب يعد عدته، وكان الجانب الايطالى منتويا احتلال البلاد باى شكل اذ انه ليس من الممكن إن تتراجع ايطاليا عما انتوت اليه لأن هناك من يتربص، ولأنها رأت الى إن ليبيا هى غنيمتها او قل حصتها مثلما صارت تونس والجزائر والمغرب حصة فرنسا، وبلاد اخرى من الوطن العربى اصبحت فى حيازة بريطانيا، كذلك فانه لا يمكن لروما

ان لاتحقق ما انتوت اليه والا تكون قد انهزمت امام عرب شبه عزل متخلفين او كما تنعتهم (قطاع طرق بدو) وكان الجانب الليبى يدرك ذلك وان حاول بكل الطرق الوصول الى اتفاق رغبة فى حقن الدماء وتدمير البلاد، و لم تكن له من حيلة فيما قام به بعدئذ لأنه جهاد فى سبيل الله والوطن ..

وعندما استولى الفاشيون على الحكم فى ايطاليا كانت ليبيا تحترق فزادوا النار اشتعالا وبذلك صارت نظرية حرق الاخضر واليابس التى طبقها الجنرال غراتسيانى هى القاعدة وليس الاستثناء وهى المبدأ والعقيدة، ومن المعروف انه قلما صدق اولئك الذين يرفعون شعارات ويعلنون مبادئ (احزابا كانت او منظمات او اشخاصا) فى الالتزام بها عندما يصلون الحكم، والتزام هؤلاء بالمبادئ تلك او الشعارات يعتمد اساسا على مستوى ومقدار الممارسة الد يموقراطية والد ستورية فى البلاد التى يحكمونها ولذلك فان نسبة الالتزام تكون بمقدار نسبة الديموقراطية، وعلى هذا الاساس فان النظم الفردية مثل الفاشية والنازية لا تلتزم باى مبادئ او اخلاق او شعارات لأن الشعب لا يتمتع باى نوع من الد يموقراطية ولا قيمة لدستور او قانون، لأن القانون هو ما يقرره ويقوله الزعيم الحاكم ومن هنا فان الفاشيست تنكروا بالكامل لمواقفهم تلك التى كانوا يعلنونها قبل إن يصلوا الى الحكم، وقد دلت اعمالهم على انهم لابد إن يصلوا الى اغراضهم باى وسيلة كانت مهما بلغت دناءتها ولا انسانيتها وقد عرف عنهم بعد حكمهم انهم لا يحترمون الحرية ولا المبادئ القانونية مهما كانت بسيطة، ويقول الامير شكيب ارسلان فى هذا الشأن (لموسولينى خطب كثيرة وكتابات بتوقيعه تؤخذ منها المقاصد بدون أشكال فلهذا لم تبق فى ايطاليا لا حرية قول ولا حرية كتابة كل شئ يصادم ارادة الفاشية والفشيست فهو ممنوع مهما كان مقصده..) انتهى [1]

---

[1] كتاب حاضر العالم الاسلامي ، الامير شكيب ارسلان ..

وكانت هجرة بعض المواطنين الليبيين قد بدأت، قادة ومجاهدين افراد لأنه لم يعد لهم من ملجأ فى بلادهم، لجاؤا الى مصر وتونس والسودان وتشاد وتركيا والشام الخ كانوا افرادا وجماعات فى كل مكان، وكان على البعض الآخر احد خيارين لاثالث لهما الا معتقل وما اسوأ من معتقل (زرائب وعشش وعراء محاطة بالاسلاك الشائكة والجنود المدججين بالسلاح) ومن هنا فقد لجأ المجاهدون الى الصحراء وخضع من قصرت به الامكانيات والظروف لقهر الطليان (اهانات وانتهاك حرمات وازدراء) اقيمت تلك المعتقلات فى كل مكان، وكان الايطاليون يحشرون الناس فيها حشرا فلا فرق بين امرأة وطفل وكهل عاجز، ومع هذا الوضع رفعت البندقية للقتال والكلمة للاغاثة والاستغاثة، وكانت كلمة الشاعر الشعبى فى ليبيا هى اعلام الجهاد اذ لم تكن هناك اذاعة ولا اجهزة ارسال او استقبال او جرائد ومجلات، ولكن كان هناك الشاعر الشعبى، الشاعر الذى تغنى بالمجد فى الجهاد واكبر التضحية فى المواطنين، وناجى الثكالى والعجزة، واغاث المظلومين، واستغاث بالعالم، بكل الانسانية من بربرية ايطاليا والايطاليين، هكذا كان، وقد انتهت الفاشية وهزمت ايطاليا وبقيت ليبيا والشعب الليبى، كانت الكلمة وكانت البندقية وكان الأنسان، وتلك أهم ما يحتاجها من يطلب الحرية، الانسان والكلمة والايمان ....

هذا الشاعر الشعبى حسين الاحلافى يعبر عن تلك المعاناة بالكلمة، يقول :

صاعب علىّ الوطن واهاليه ... اللى جرّدوا من المال والحيوان
اللى موش فى البنده وفى الزبطيه ... بقى فى المدن يخدم مع الخدام
واللى ما حصرهم فى نقط حربيه ... محابيس صكّوا دونهم بيبان
وشالوا الباقى غصب بالجبريه ... مالخرمة ومن دفنه وما لبطنان
فاتوا الوطن بنعمته وتسويه ... وسابت كحيلا فى الخلا والضان

وراهم جيوش قاعدين النيه   تدكيم بالسلاح وضرب بالسيطان

حبش سود لارحمه ولا حنيه   وصومال ومصّوع وشيشليان

نين احشروهم فى وطا قطعيه   لا سقف يحميهم ولا سيسان

تهب فى الشتاء برياح صحراويه   سموم صفعها يترل على لبدان

وفى الصيف ما تخلف الا محميه   وكانن عليها يوقدن نيران

تهب بقبالى حاميه رمليه   صهيدها يحط الطير بو جنحان

سبعين ليبى ولد ليبيه اللى   موتّوا من الجوع والسيطان

تمو كل يوم ايموتوا بالحيه   يرموهم على الرملا بلا دفان

مطراهم ايشيب صاعبين علىّ   اصحاب العنا والفضل عالجيران

اللى فى الجبل كانوا لهم هميه   ثقيل روزهم ديما على العدوان

فراسين يدّاعوا على الطبجيه   ونار المدافع كابرا كبران

اليوم يا خسارتهم وطا موطيه   الناس العصارا تحت مالطليان

حيالهم زهيدة تحت شمباشيه   جنس النصارى ما لهمش آمان

واللى سيبوا لملاك والماليه   وفاتوا الوطن وكل غالى هان

اللى ما انحاز لتونس الغربيه   طراطيش بين الشام والسودان

ونحنا هنا يانا مع المصريه   مهاجرين لانا مال لانا شأن

اللى ايطول خبزا يابسا وامّيه   ابيات مستريح فى هنا وامان

معاشنا مع الاسلام والحرية   خير من شبعنا تحت من الطليان

وصابرين نين الفجر يشعل   ضيه وديما بعد ظلما الفجر ايان

وديما بعد قبلى اتجى بحريه   نسومها لطيف الروق للعطشان

وبعد الجذب يأتن امطار   قويا ويزهو الناس ويشرب الجيران

وطامعين فى قدرة الله الخفيه   يخلص الله الاسلام من الطليان

اتجيهم حكومة مقويه حربيه   تفكها من الرملا لبن قردان

ويدّوا اصحاب الوطن واهاليه   ويتم كل حد مبسوط فى لامان

ويحقق الله العدل والحريه   هذا مانريد وربنا حنان

وعن اولئك الذين تعاونوا مع الطليان وتسميهم عامة الناس (المطلينين) نسبة الى الطليان يقول الشاعر محمد بن حسن فى قصيدة طويلة تعزيرية ما يلى :

من بر فساطو الى ترهونه   جميع من قعد يندم على تدبيره

قروب الكفر خلّوه للهوارى   اللى قربته جره وبات اسيره

ما عندكم زيتون لا بقّارى   ترومو الحبش وتجاوروهم جيره

انتم قبل عز الخائف انتم   قبل عز اللى عليه حسايف

انتم قبل ترقو فى البساط ضفايف   منكم ايباتو ويصبحو فى حيره

واليوم روكم جايين صرايف   عملتو شماته يا اخوان كبيره

انتم قبل عز الجالى انتم   قبل عز اللى لفا زيوالى

انتم قبل ما كنتم يا اخوان اهالى   ترومو ديار الكفر واللى ايد يره

خايف عليكم فى النهار التالى   يتلف كبار النجع ومخاويره

واما احنا تحت الكريم العالى   المؤمن على دينا ايهون صغيره

انتم قبل ماهى ليكم تبيّنو   شماتة منو شامت فيكم

اقروب الكفر ياخوان عيب عليكم   تكرّو الرشاد وتجهروله بيره

داير كوارط باش بيسعيكم كيف   منو يحرث فى عشاه مطيره

هيهات كان الروم بهنيكم وهو   قبل عارف منو كان قميره

يحوز النساء والمال وذر اريكم — وبعدين يبدأ الامر بالتصفيره

ويتناول الشاعر عبدالله عبد ربه الوضع الذى يراه وكيف إن الله قد قدر على البلاد هذا الحكم الجائر الذى يجب منازلته بكل الوسائل، فيقول :

بلانا الله بجيش رامية البحر — الله لا يدوم جواركم جيران
جيره تكدر غير ربى مقتدر — جيرة اعداء الله ياجبان
اللى عطاه الله جاهد فى الكفر — واللى خدمهم داخل النيران
كسابة كحيله عايشين عالعصر — بدرى تفاجيهم بكل مكان
كسابة كحيلة غايبين عالنظر — ارقاق العصابى من بعيد اتبان
ورزقها الله بخبير خذها عالمكر — وحطت اصحابى فى قبل شبان
ــبت مع شطبان فى وطن مندثر — بهم قزحت عالحال كالطليان
ى خفايف دايرات مع النظر — سماح الناسب كسبها زهيان
وحق الزوايا ياهن بلا غفر — ماعاد فيهن ينسمع لأذان
وفاتو أملاك سماح من ضيم الكفر — ومشو نساهم من هنا وامان
وفاتو مساكن مشرفات عالبحر — ايهبن ابارد فى الشعيل الذان

ولقد كانت ترهونه مركز نشاط المجاهدين وبالتالى كانت تمثل عصب القيادة الوطنية فى هذه الفترة (ربما مثلما تمثل مصراته فى فترة سابقة) وكانت القوات الايطالية قد احتلت غريان وصارت تعد العدة للهجوم على ترهونه وقد استولت عليها بعد العديد من المعارك الضارية مع المجاهدين مثل معارك (وادى الرمل يوم ٢٦ يناير ١٩٢٣م وقصر القربوللى يوم ٣٠ يناير ١٩٢٣م فندق العلوص يوم ٢ فبراير ١٩٢٣م والمسفن نفس اليوم وفندق النقازه نفس اليوم وسيدى بوعرقوب نفس

اليوم ومقلب الماء يوم ٣ فبراير ١٩٢٣م وقصر الحجرة ٤ فبراير ١٩٢٣م وسيدى الخمرى فى نفس اليوم ووادى ملغا يوم ٦ فبراير ١٩٢٣م والقصبات نفس اليوم وجبل مسد فى نفس اليوم وقصر الدوون نفس اليوم وكانت هناك معارك كثيرة اخرى خلال تلك المدة فى الخمس والقصبات والعزيزية، ولأن المجاهدين كانوا قد انتقلوا الى القبلة (وكانوا يقومون بعمليات قتالية خاطفة ضد القوات الايطالية اينما كانت بمعنى انهم لم ينتقلوا ابتعادا عن مواقع القتال) فقد جهز الجنرال غراتسيانى قوات كبيرة وخطط لأحتلال غدامس ومناطق القبلة وبدأ الهجوم بتوجيه القوات من نالوت فى اتجاه غدامس فاحتلت سيناون فى ٧ فبراير ودارت معركة ضارية بين تلك القوات والمجاهدين فى وادى الوطية يوم ١٢ فبراير ثم غدامس التى احتلت فى ١٥ من نفس الشهر سنة ١٩٢٤ م، وبذلك اعتقد القادة الايطاليون فى هذه المنطقة انهم حققوا انتصارات يمكن تقديمها للعهد الجديد فى روما، بعد ذلك بدأت القوات الايطالية عملياتها من جادو فى اول مارس سنة ١٩٢٤م حيث هاجمت بئر المرحان وبئر الناصرة وحدثت هناك معركة الطابونية فى ٩ مارس ١٩٢٤م ثم معركة ودى الخيل فى ١٦ مارس ١٩٢٤ م التى هزمت فيها تلك القوات المحجفلة والمزوده باحدث المعدات العسكرية وقد تحدث عنها العقيد (بيلا ردينيللى) فى كتابه (القبلة) بمرارة بالغة واصفا المجاهدين بقطاع الطرق، وتحدث عنها الجنرال غراتسيانى بحقد شديد على المجاهدين، ويصف لنا الشيخ الطاهر الزاوى معركة (الملاّحة) وصفا دقيقا (بعنوان بطولة) على النحو التالى :

يوجد فى صحائف المجد المجهولة من تاريخ الحرب الطرابلسية وقائع من مدهشات الحروب وغرائب الدفاع عن النفس والوطن، من هذه الصحائف المجهولة ما وقع فى

الملاحة غربي طبقه فى طريق الذاهب منها الى غدامس فى يناير سنة ١٩٢٤م، ذلك انه بعد احتلال أرفله[١] وانسحاب المجاهدين من اراضيها ظهر الطليان على تلك الجهات وجلا الناس الى جهات مختلفة كما ذكرنا آنفا وكان الحاج محمد فكينى ومن انضم اليه اختاروا الهجرة الى فزان وقد اشرنا آنفا الى إن احد الجيوش الطليانية خرج على طريق الوديان وكان فى هذا الجيش احمد العياط (نصف البوتسعين البوسيفى، ويوسف خربيش، ومحمد بن حسن المشاى،) وكان مع كل واحد من هؤلاء جماعات كثيرة من انصاره كلفوا بمطاردة المجاهدين وكان بين هؤلاء الرؤساء جميعا وبين الحاج محمد فكينى ومن معه ثأر قديم وثارات يطالبونهم بها وقد اجتمع هذا الجيش فى الوعسه[٢] فيما بين فساطو وبئر الكلاب ووديان الخيل، وبينما هذا الجيش فى طريقه يقتفى أثر الحاج محمد فكينى ومن معه التقى صدفة بالشيخ عمر الغز الزنتانى قادما من الخور فى طريقه الى الطبقة فى جماعة قليلة من اعوانه عددهم واحد واربعون رجلا فراى رؤساء الجيش ان اخذ هؤلاء لايكلفهم الا ان تمر عليهم الخيل وعربات المدافع فتطحنهم طحنا ثم يمروا فى مطاردة الحاج محمد فكينى، وماذا يعنى واحدا واربعون رجلا امام جيش لا تقل خيله ورجاله عن اربعة آلاف مجهزين بما يكفى لهم من المدافع السيارة والرشاشات، ولكن (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) وصدرت الاوامر باخذ هذه الجماعة فوجه الجيش نحوها وبدأ الشرمن الاحباش ومرتزقة خربيش وغيرهم فعرج الشيخ عمر ومن معه الى منخفض من الارض كان قريبا منهم وانزلوا متاعهم عن الابل وشدوا عقالها واحاطوا نساءهم واطفالهم بما معهم من المتاع وقاية لهم ثم انتشروا فى نواحى هذا المنخفض مما يقابل العدو وامسكوا ببنادقهم ووضعوا بالقرب

١ يقصد الشيخ طاهر الزاوي منطقة ورفله

٢ منطقة صحراوية تسمي هكذا (الوعسه)

منهم ماكان محمولا معهم من الخرطوش وهللوا وكبروا وانحبست الانفاس وخلا ما حولهم من كل شئ الا من اصوات الرصاص ودوى المدافع، تلك لحظة من اخطر اللحظات فى حياتهم لاتتجاوز الثوانى، اخذ العدو يهاجم بخيله ورجاله وسددت المدافع والرشاشات نحوهم، فكنت تسمع من ناحيتهم احدى واربعين طلقة من أحدى واربعين بندقية فى ايدى واحد واربعين رجلا، وكنت تسمع من الجيش الايطالى مئات الالوف من الطلقات من قنابل ورصاص البنادق يرسلها عليهم جيش لا يقل عدده عن اربعة آلاف مقاتل، وقد اخبرنى السيد محمد العيساوى بو خنجر قال حدثنى الشيخ عمر الغز، احد الابطال، يحكى عما شاهد فى هذه المعركة قال، كان العدو يهاجمنا فى جماعات من الخيل وبينما نحن نشاهد صدورها وهى تشد فى عدوها نحونا اذا بالرصاص قد حصدها فترتمى على الارض بمن عليها واذا بفلولها مدبرة لا تلوى على شئ، وكان يهاجمنا بصفوف من الرجال متراصة واذا بهم على الارض يتشحطون فى دمائهم، واستمرت المعركة من الصباح الى نصف الليل فى هذا القتال المميت ودفاع المستميت، ويريد الله إن يكون لهؤلاء الابطال رفقة سبعة رجال تخلفوا عنهم لبعض الشئون وبينما هم فى طريقهم اليهم اذ سمعوا المدافع فعلموا انها معركة وانها مع رفاقهم فكان من تدبيرهم هم إن وزعوا انفسهم وراء العدو فى عدة اماكن واطلقوا الرصاص ليوهموا العدو انهم كثيرون وانطلت الحيلة على الطليان ووقع فى روعهم انما نجدة جاءت لانقاذ المحاصرين فانسحبوا يجرون ذيل الهزيمة وبقى الاسود فى مرابضهم جاثمين ولما انقطع اطلاق المدافع والرصاص فهموا إن العدو انسحب فنهضوا من معقلهم وتركوا خمسة من اخوانهم لحقوا بربهم فى اسعد الاوقات والذ ساعات الحياة وهى ساعات الدفاع عن النفس والعرض وكان من بين هؤلاء الشهداء الشيخ ابوالقاسم الرماح من علماء الزنتان واعيانهم ،وحفظ الله على هؤلاء الابطال نساءهم

واطفالهم، وكان من بين قتلى الطليان احمد بن حسن العياط (نصف البوتسعين) من اولاد ابى سيف وقد اخبرنى من شاهد مكان المعركة انه شاهد فيها ثلاثة وسبعين حصانا قتلت برصاص المجاهدين وما يقارب عشرة اكوام من جثث الاحباش والمرتزقة، وهكذا اعز الله جنده وصدق قوله (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) واثناء ماكانت المعركة حامية الوطيس وصل الخبر الى الزنتان سكان طبقه والطابونيه فجمعوا من رجالهم نحو ٢٥٠ رجلا وثمانين فارسا وجهزوا من الابل ما يكفى لحمل الرجال والامتعة على كل جمل رجلان وتوجهوا لنجدة اخوانهم المحاصرين وقد وصلوا الى محل المعركة بعد انفضاضها فاقتفوا أثر العدو المنهزم حتى ادركوه فى وديان الخيل فبيتوه ثم هاجموه ليلا فاوقعوا فى صفوفه الرعب وقتلوا منه نحو مائة رجل ورجع من بقى من فلوله الى الجبل، هذه واقعة من مئات الوقائع الهائله التي يقوم فيها الطرابلسيون بنوع من البطولة الممتازة يجدها الباحث فى صحائف المجد المجهولة التى يتركها الطرابلسيون مكتوبة بدمائهم الطاهرة على ارض الوطن لا تقوى يد الزمان على محوها، ويجد فيها الباحث ما يشجعه على التنقيب وراء مجد الشعوب العربية واقدار رجالها) انتهى

تلك هى الصورة الوضاءة التي ذكرها الشيخ الطاهر الزاوى عن بطولات الليبيين عندما يقتنعوا بانهم يدافعون عن بلادهم وكرامتهم ومصير أمتهم العربية المسلمة، واريد ان ألاحظ هنا قبل إن ابحث فى بقية احداث هذه المرحلة، اننى كنت قد ذكرت إن العدو قد انهزم فى معركتى الملاحة وودى الخيل، وربما يعترض معترض على تعبير (انهزم) لأنه فى الاولى انسحب وفى الثانية اجبر جنوده على البقاء فى الميدان بالقوة، وهذا صحيح، ولكن لنتصور معركة يقاتل فيها واحد واربعون رجلا فى صحراء وباسلحة بدائية جدا اذا ما قورنت بما لدى عدو هؤلاء الواحد واربعين رجلا يقاتلون

لمدة يوم كامل ضد جيش يتكون من اربعة آلاف جندى مدججين بمختلف الاسلحة بما فيها المدافع ثم يخترقون الحصار !!!

وفى الثانية يهاجم عدد لايزيد على الثلاثة مائة وخمسون رجلا جيشا كاملا ليقتلوا منه ما يقتلون ويوقعون فى صفوفه الرعب ثم يتركونه يدور حول نفسه حائرا دون ان يعرف من أين جاؤا او الى اين ذهبوا ؟؟

فى رأى تلك هى البطولة وذلك هو النصر الحقيقى، ان يكون العدو مرعوبا حائرا رغم كثرة الجنود والاسلحة والمعدات، وحب الوطن من الايمان حقيقة ولقد وصف الشاعر الشعبى (حسين محمد الاحلافى) حين قال :

العين والعه بالوطن وحكاياته علي ما جري من موح ما نسياته

ماي مرتده ولاي مابيه تنسي بطول المده

وما زول ينسي وطن بوه وجده اللا شخص تافه كي بلاش حياته

والعه منهاسه مرايفه علي الوطن العزيز وناسه

وماي ناسيه حتي بطوله ياسه ولا تبدله بالنيل لو طالاته

ولم يتوقف المجاهدون عن مهاجمة القوات الايطالية فى كل مكان كما لم تتوقف القيادة الايطالية وقواتها عن محاولات التقدم والاحتلال، ذلك انه لم يكن ممكنا كما ذكرنا، إن تقبل ايطاليا بالهزيمة مثلما انه لم يكن من المقبول او المستساغ بالنسبة للمجاهدين إن يرضخوا لعدو غازى مهما كانت قوته ومهما حشد من قوات ومعدات واسلحة، وقد استعمل الايطاليون الطائرات والغازات السامة اضافة الى المدرعات والمدافع، كما عزم الحكم الفاشى على حرق البلاد ناسا وارضا، ولم يكن امام روما الا الاستمرار فى هذه الحرب التى كانت تعتقد في بدايتها انها نزهة، وجعلت

تغير القادة العسكريين كلما اصيبت قواتها بهزيمة امام المجاهدين الى إن التقى الحـاكم السياسى مع الحاكم والقائد العسكرى وكلاهما حاقـد ومتعصـب، الى إن التقـى (بادوليو مع غراتسياني) سنة ١٩٢٩ م، يقول الاستاذ التليسى عن هذه المرحلة ما يلي:

(في يناير ١٩٢٩ م عين (بادوليو) حاكما عاما على ليبيا فوجه فور وصـوله منشورا الى المجاهدين يدعوهم فيه الى الاستسلام وانهاء المقاومة ولكن هذه الدعوة لم تجد صدى لدى هؤلاء المجاهدين الذين استمروا على الالتزام بالجهاد ومقاومة الاحتلال الايطالى، كان قادة حركة الجهاد فى طرابلس قد تركزوا فى القبلة والجنوب وانتشرت تجمعاتهم بين (زويله وام الارانب وسبها والشاطئ الشرقى ومرزق وبين بئر الشويرف وابينجيم والقريات) وقام المجاهدون يوم (٩ ابريل ١٩٢٩ م) بشن هجوم عنيف على الحامية الايطالية فى بئر علاق وتخوف الايطاليون من نتائج هذا الهجوم فعملوا علـى دعم قواتهم بالمناطق الجبلية المجاورة كما قاموا بحملتين عسكريتين واسـعتين، الاولى خلال الفترة (١٢ ابريل حتي ٢٤ ابريل سنة ١٩٢٩ م) في منطقة القريـات ودارت خلال هذه الفترة معركة (كاف المتكيه١٢ ابريل ١٩٢٩ م) اما العملية الثانية فقـد جرت فى المنطقة الواقعة بين هون وابى نجيم وبئر الشويرف (من ٢ مايو الي ٢٨ مايو ١٩٢٩ م) انتهى..

ونلاحظ هنا إن (معركة بئر علاق) قد جاءت مباشرة بعد منشـور الحـاكم الجديد الذي طلب فيه من المجاهدين الاستسلام ولابد انه كان متأثرا بما كتبته صحف الحزب الفاشيستى قبل إن يصل الي ليبيا، وكانت تلك الصحف تمجـد الانتصـارات الكاذبة وتصور الوضع علي انه مشرف للقوات الايطالية وان تلك القـوات تتقـدم وتحقق انتصارات رائعة كل يوم فى (مستعمرتها ليبيا) بينما كانت تلك القوات تواجه الهزيمة تلو الهزيمة،واعتقد بادوليو إن هؤلاء العصاة سوف يزحفون علي ركبهم طالبين

الرحمة، والذى حدث انهم ردوا عليه بتلك العملية التي جرت فى (بئر علاق) والـتى قادها المجاهد الشيخ سالم بن عبد النبى الزنتانى (كان سالم بن عبد النبي يقود مجموعة الزنتان والحاج محمد فكيني يقود مجموعة الرجبان ومحمد بن حسن يقـود مجموعـة المشاشى وان اختلفت روايات المجاهدين فيما يتعلق بقيادة هذه المعركة الا انه اقرب الى التصديق إن القادة الثلاثة قد اجتمعوا وخططوا للمعركة وان كانت كل مجموعة من المجاهدين تميل الى زعيم قبيلتها فقد ذكر فى بعض تلك الروايات ان سالم بن عبد النبى كان قبل المعركة قد رشح الحاج محمد فكيني للقيادة نظرا لكبر سنه ووافق محمد بـن حسن على ذلك الا إن الحاج محمد فكيني تنازل عن القيادة للشيخ سـالم وان هـذا الاخير هو الذى قاد المعركة وعلى كل حال فان ذلك لايقلل من قيمة الاخيريـن ولا دور بقية المجاهدين زنتان ورجبان ومشاشى، ففى هذه المعركة كلهم مجاهدون وكلهم ضد العدو الواحد، وهذا العدو هو الطليان، وهذه رواية احد المجاهدين الذين اشتركوا في تلك المعركة :

(يقول البكوش ابراهيم الناكوع، اجتمعنا فى سبها مع محلة سيف النصر وعمـر بن سلمى وتقرر ان ننقسم الى مجموعتين، مجموعة تذهب الي القريات والاخـرى الي درج، وتكونت مجموعة درج من محمد بن حسن وسالم بن عبـد الـنبى وفكـيني واتباعهم، ومجموعة القريات من احمد سيف النصر وعمر بـن سـلمى واتباعهمـا، وكانت مجموعتنا حوالى ٣٦٠ رجلا والاخرى حوالى ٣٠٠ رجلا، عندما وصلنا الى معطن الحسى قرب عوينة ونين اجتمعنا وكان يبلغ عدد الزنتان والرجبان ومعنـا ٣٠ رجل من الطوارق يبلغ عددنا ٢٦٠ رجلا ومحمد بن حسن ومن معه من المشاشـى والمطرده ١٠٠ رجل، واقتصر الاجتماع على القادة الثلاثة محمد بن حسـن ومحمـد فكيني وسالم بن عبد النبى، نظرا لكبر سن محمد فكيني وثقافته فقد رشحه سالم بـن

عبد النبي لقيادة المجاهدين ووافق محمد بن حسن على ذلك الا إن محمد فكيني تنازل عنها لسالم بن عبد النبي واستأنفنا مسيرتنا تحت قيادته من الحسى وكانت لدينا معلومات عن ٦٠٠ من الهجانه موجودين خارج درج ومعهم حوالى ٢٠٠ من الجنود واردنا الهجوم على هؤلاء ولما وصلنا الى الجعفرى علمنا إن الجنود والهجانه قد رجعوا الى درج، المعلومات جاءت من مجموعة الطوارق الذين يترددون على درج احدهم اسمه محمد وقد حضر معنا معركة علاق وكان شجاعا، فى اثناء المعركة اصيب حصان فذهب اليه واخذ الذخيرة التى كانت محمولةعليه ورجع الينا والرصاص لم يتوقف خلال ذهابه وايابه، وعدنا من الهجوم على درج وذهبنا الى بئر ناصره وقدمنا الى نجع العقبه، كنا حوالى ١١ او ١٢ فارسا مع الحملة و لم يكن لدينا علم بوجود عساكر ايطاليون فى بئر علاق حتى جاء الينا ثلاثة من المشاشة ممن هم تحت الطليان ومن اتباع مسعود الحليفيه وحين سألهم محمد بن حسن عن الجهة التى قدموا منها اخبروا انهم قادمون من علاق وان خمسين فارسا بقيادة عمر بياله (وهذا ينتمى الى فساطو) واكدوا انهم هناك حتى صباح اليوم ولذلك طلب الينا سالم بن عبد النبي إن نسرع اليهم ويكون هجومنا فى تلك الليلة، ورجعنا الى المحلة واستدعى عمى سالم احمد المحروق والامين فكيني والشيخ على الحواس وامرهم إن يستطلعوا على علاق وان يبقوا هناك حتى المغرب ثم يعودوا الينا ونلتقى فى جودة الركيب حيث نتناول العشاء ونترك بعض الابل، وقام هؤلاء باستطلاع ومع وقت العشاءالتقينا فى المكان المتفق عليه وربطنا كل عشرة من الابل معا ومعهم رجل وكانت ابلنا حوالي ٤٠٠ بعير وتركناهم فى ذلك المكان، وسارت المحلة ومعها عشرة من الخيل وثلاثين من الهجانه وكنت انا وعمى سالم من الفرسان، وكان معنا القادة الثلاثة، ونحن فى الاصل ٣٦٠ وبقى مع الابل حوالى ستين رجلا وقام الآخرون بالهجوم وكان عساكر الطليان

خمسين من الفرسان ولا ندرى ما اذا كان معهم مشاة ام لا وحين اقتربنا امرنا عمى سالم بالتوقف كما امر بان يكون الزنتان فى جهة والمشاشه فى جهة اخرى ولما تساءل محمد بن حسن عن ذلك اقنعه بوجهة نظره وذلك لأن كل طرف يدعى الشجاعة فحين يكون كل طرف فى جهة يدفعهم ذلك الى الشجاعة والاستبسال، وانقسموا وخيرهم عمى سالم فى الشرق او الغرب فاختار المشاشه الجهة الغربية وامرهم بعدم اطلاق النار حتى نصل جميعا الي المكان، واخذنا نحن اصحاب الخيول والهجانه مكاننا من جهة الشمال بين علاق وتلاكشين حتي نقف فى طريق الفارين، وقبيل الفجر بدأ اطلاق النار، و لم يعلموا بنا حتى احاط الرجال بهم واطلقوا عليهم نيران بنادقهم وجئنا نحن من جهة الشمال والتقينا مع بعض الفارين على خيولهم ومنهم من ركب بدون سرج منهم من فر يجرى على رجليه وقبضنا على بعض الرجال ومع شروق الشمس بقي ١٨ ثمانية عشره رجلا احياء اعلنوا استسلامهم ... انتهي (١)

ونتوقف قليلا عاملين الفكر في معاني كلمات هذه القصيدة للشاعر صالح بن مادى، فهو لا يطلب مالا ولا يتمنى النجاة ولا يبحث عن جاه وانما ينادى انصار الدين من اجل الجهاد، ويناجى الصحراء التى تطأها اقدام الغزاة وربما ستستقر فيها فى أى وقت، ويتحدث عن آجر المجاهدين فى سبل الله والوطن ثم هو يعزر اولئك الذين اسلموا قيادهم اللايطاليين، ويشيد بالفارس والحصان عدة الحرب، ثم هو يتمنى، وامنيته النصر ونحر الكفار، ولقد كانت اطماع الغازى كبيرة، انها الاستحواذ على البلاد والعباد، وكانت اطماع بعض المتعاونيين معه صغيرة وحقيرة،انها المال، والمال فقط مهما كان الثمن، والثمن بطبيعة الحال هو الوطن والشرف والكرامة وحتى الدين، ومقاطع هذه القصيدة وكلماتها نابضة بالحياة وهى افكار وجدانية تتكون منها

انسجة تمتل مشاعر النفس، وهو شعر ليس فيه زخارف ولا هرج ولا زيف، وانما مباشرة وبلاغة رائعة رائقة بفهم عميق للاحداث والآمال، تقول فى مطلعها :

يا ناصرين الدين ويش اتراجـوا   الاسلام بيكم يا اسياد احتاجو

ياناصرين الـدين شـن مـازال   غير ارجلوا قـدوا العالـه زيـن

واشملـوا الجهـال عـدوين   ربي والحسـن وحسـين

وفي جزء آخر يحادث الصحراء التي ألفها وعرف ودياتما وجبالها وسهولها، فيقول

احنا الموح يا زرقه علينـا طـال   لانـا فـارزين عـام لا عـامين

يالادره ايش ايعـول العـوال   ويالادره سـيدي المهـدي ويـن

جيى ولا عنديش فيـه اشـكال   قلبي علـي قلبـه شـهيد الـدين

ميلاه ياقبله و يا زنتان مـا عـاد   يلحـق اسـف عـالاثنين

اللي قبل ما تـاريش بوقفطـان   بديتي مراسـي اليـوم لقيـاطين

وبعد جولة طويلة في الصحراء وايامها وكيف انها كانت مستعصية علي اصحاب القياطين يعود الشاعر الي مناجاة المجاهدين فيقول :

ياناصرين بالاسلام ماكم اتقولوا هيه

قريب يوم من ليام انجي سيدنا هاللي نقولو بيه

راكب علي خرام ازرق ايدادي بيه

للمؤمنيين حزام اما النصاري منكريـن عليـه

لمساسهم هدام اللي سحرهم مرحال ما ياذيه

لازلبحوه حرام لا في الشوارب ذكرهم يبغيه

علي الدين صام صيام سوي يموت وللاخالقه يحييه

كان مات خيره سابقه قدام يلقي حواري تباجل فيه

وفي اخر القصيدة يعبر عن امانيه، فما الذي يطلبه ؟ انه الخيل والرفاق ومقارعة العدو ..... يقول :

المنيـه علـي سـابق وانا في ميه   نسقط علي كـافر ولـد روميـه

سـابق اشقـر علـي حيله في   كعبـة العرقـوب ناشـب ذيلـه

يطرب ليـا طبـق نهـار وليـله   مسير غير راخي من عنانـه ليـه

قدا نـاس لبـاسين للبرطيـله   مضي ليل ما تنشد علي اسـلاميه

مضاليـل ديمـا ديمـا حتي النبي   مـا عرفولـه جـاه واللاقيمـه

نبو يوم فيكم ياكفر جمليه   علي ظهرهـا ودك وعـيني حيـه

يوم عاده طايب ما تشرقو توه اينوب النايب

تجيكم علي سبقه اولاد عجائب بايماها واصدورها معليه

تجيكم الفرحه من شباب وشايب وتصعب عليكم بينه وخفيه

المنيه علي سابق وانا في ميه نسقط علي كافر ولد روميه

٥

لا ضرع ولا زرع ** نهاية المطاف ** الاستسلام

الهجرة ** حكم بلا شعب

****

قال الله في محكم آياته الكريمة :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾

صدق الله العظيم

النـــور(٥٥)

وقال تعالت قدرته :

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾

صدق الله العظيم

القصص (٥)

****

5

الباب

الخامس

ليبيــا

الأرض المحروقة

الفصل الخامس
ليبيا الارض المحروقة

قالوا انها (نزهة) وما دروا انها مقبرة لهم، وقالوا هى الشاطئ الرابع وما عرفوا انها ارض لها من يدافع عنها وانها لن تكون لاالشاطئ الثالث ولا الرابع ولا حتى الاول، وتغنى شعراؤهم بطرابلس الجملية وكنوز أفريقيا، وهللوا لغزوهم البربرى الذى اعتبروه حضارة تنقل الى بلد متخلف وماعرفنا فى التاريخ إن الحضارة تقوم علــى الجمــاجم وعلى حرق الارض ومن عليها، وتغنى شعراؤنا بالحق والحرية والجهاد والدفاع عــن الارض والعرض، وفرق كبير بين الدفاع والغزو، بين الدفاع والعدوان، بين العــدوان وقصف طرابلس واحتلال البلاد، بين اصحاب الارض وبين الطامع ،النزهة التى قالوا ربما تستغرق اسبوعا تحولت الى كارثة دامت اكثر من عشرين سنة شاقة حدثت فيها معارك ضارية وسالت فيها دماء غزيرة، من اول قنبلة الى اخر اطلاقــة، زمــن هــو بالنسبة لصاحب الارض مفخرة وللغازى المعتدى عار وخزى، اعلنت ايطاليا الحرب على تركيا بعد انذار لم تزد مدته على ٢٨ ساعة من يوم ٢٩ سبتمبر ســنة ١٩١١ م والواقع إن الحرب كانت ضد الشعب الليبى الذى استهدفت ارضه بالاحتلال الــذى كان (نزهة اسمها حرب) ارادها الايطاليون فحولها هذا الشعب الفقــير الاعــزل الى (كارثة على المعتدى اسمها نزهة) هكذا قالوا ...وفى يوم ٣ اكتوبر سنة ١٩١١ م بدأ قصف طرابلس، وفى ٢٤ يناير ١٩٣٢ م اعلنوا ان الحرب قد انتهت فى ليبيا، اعلــن

ذلك المشير (بادوليو) الحاكم العام الايطالى فى ليبيا والذى جاء تعيينه فى اواخر سنوات الحرب، وخلال هذه المدة أى بداية القصف واعلان انتهاء الحرب (٣ اكتوبر سنة ١٩١١ م / ٢٤ يناير ١٩٣٢ م) دمرت البيوت واقتلعت الاشجار وحرقت المنتوجات وقتلت الماشية وشنق واعدم ومات الناس، ولو كان هناك قليل من متاع الدنيا وبعض من المراعى لما انتهت الحرب فى ذلك الوقت، على الرغم من ان ايطالية يمكنها احتلال البلاد الا ان نزهتها كان يمكن ان تطول والمزيد من جنودها يقتلون، لقد ارتكب الايطاليون من الجرائم والاعمال البشعة التى مورست ضد الليبين اهل البلاد ما يندى له جبين الانسانية الى درجة إن صحافة بلدان اوروبا الغربية التى ربما كانت قد ايدت الغزو الايطالى لليبيا (وان اختلفت المواقف حسب مصالح كل بلد) لم تسكت على تلك الجرائم والممارسات والاعمال، فقد تناولت صحف بريطانيا والمانيا تلك الاعمال بالنقد الشديد ذكر بعضها (باولو مالتيزى) على النحو التالى :

(الشروع فى المذابح الجماعية، إن عمليات الانتقام والتقتيل التى امر بها كانيفا لسبب غير واضح (اعتبار العرب خونه) بالاضافة الى تحويلهم الى (جنود) غير نظاميين، وان لم يرتدوا الزى العسكرى، فأثار بتصرفه هذا الراى العام الاوربى عليه حال اطلاعه على ما اخذت تنشره بعض الصحف الاوربية حول هذه التصرفات، ومثال على ذلك (الدايلى ميرور) التى نشرت مقالا لمراسلها المكلف بالتقاط الصور (ماقى) حول عمليات الاعتقال بدون تميز وتقتيل العرب حتى الشيوخ والاطفال، قال الصحفى (فى فترة الظهيرة يوم ٢٥ اقتيد الى فناء احد البيوت ثلاثة اسرى شيخان وطفل، الشيخان يظهر عليهما الفقر المدقع، والطفل يافع، وكان هذا الاخير يحتج بانه برئ، وبعد ساعة تقريبا حل وثاق الثلاثة، واشار الضابط باصبعه نحو الصحراء بعد

إن جلدهم بسوطه، قائلا بلغه عربية ركيكة، اذهبوا وكرد على احتجاجهم ضربوا مرة اخرى، وامروا بالتقدم الى الامام فتقدموا ببطء الى ما بعد الخنادق، ولم يبتعدوا عنها باكثر من عشرة امتار حتى انبأتهم خشخشة تعمير البنادق بالرصاص بما ينتظرهم فالتفت الشاب صارخا ولكن الرصاص كان يرد على احتجاجه ويسقط الثلاثة واحدا فوق الاخر ثم انطلقت زخة اخرى من الرصاص عندما كانوا ممددين على التراب وعندما استمر احدهم فى التحرك قام جندى اخر باشهار حربة بندقيته وغرزها فى صدر المحتضر) الا ان الشائعات التى تثيرها عمليات القمع الايطالية والتى تزيد من ابعادها قلة الاخبار التى تسمح بها الرقابة المشددة لم يكن من شأنها الا أذكاء روح العداء والاستنكار لتصرف ايطالية، خاصة إن الصحف الاوربية التى واصلت نشر اخبار مثل هذه الفضائح (والاعمال البربرية) فهى تتحدث عن (افعال قطاع الطرق) و (جرائم القرصنة) وتمادت صحف اخرى، خاصة صحف المانيا فى عدائها لايطالية الى حد وقفها علنا الي جانب تركيا ومنصارتها، وفى انجلترا احد بعض المؤرخين يحذون حذو الصحفيين فى توجيه الانتقاد اللاذع لايطاليا والتنديد بمزاعمها وادعاءاتها، وبالسعى الى حمل الحضارة الى تلك البقاع، فى الوقت الذى مازالت فيه هى تحتاج الى بذل مجهودات جبارة (لحل مشاكلها الحضارية فى الداخل) والى جانب تردى الاوضاع والمظاهر المدنية في أجزاء كبير من ترابها وخاصة فى الجنوب، تعانى ايطاليا الكثير من الازمات والفضائح المالية المتعاقبة كاعلان افلاس مصرف (لايامكا رومانا) وانتشر الفساد والرشوة ورسوخ النزعة العسكرية الرجعية، والحالة السيئة فى الجنوب واخيرا الاشارة الى احصائيات عدم اللياقة الصحية بالنسبة للعديد من الشباب المستدعين للخدمة العسكرية الالزامية على انها علامة واضحة على تدهور الحالة الصحية بصورة عامة فى المجتمع الايطالى، وفى ايطاليا كانت هناك محاولات تصارع بيأس للحد من هذا

السيل الجارف من الاتهامات واللوم والتنديد فى الخارج الا انما محاولات مبنية على النخوة والعاطفة ولا تستند الى اساس مقنع .... انتهى [١]

لقد حدث ان مواقف بعض الكتاب والادباء فى ايطاليا نفسها قد تغير بعد ان رأؤا ان الحرب قد تحولت الى كارثة وان ليبيا لم تكن ارضا بلا ناس يدافعون عنها ولا هى قفارا ولا فراغ يحتاج الى من يملأه، وان الحضارة التى ارادوا إن ينقولوها كانت بربرية لا صلة لها بالحضارة، ونرى ردودا على تلك القصيدة التى تشيد بالغزو والاحتلال، وهى قصيدة عنوانها (طرابلس ارض الحب الجملية) وبطبيعة الحال الحب ليس فى اهل طرابلس وانما فى الارض فقط، وهذا نص القصيدة :

طرابلس يارض الحب الجميلة   هل تعرف ان لنسيم الشمس سحرا

اكبر فوق البحر الذى يربطنا بافريقيا الذهبية

ان النجمة ترشدنا الى كتر   طرابلس ارض الحب الجميلة

تلك قصيدتى الحلوة تصلك   فليخفق العلم مثلث الالوان .

على ابراجك

على دوى المدافع اخرى ايتها   البارجة عباب البحر فالريح

لطيفة والفصل حلو

طرابلس ايتها الارض الساحرة   ستصبحين ايطالية وسط

دوى المدافع ....

وكان هناك شعراء ايطاليون استفزهم هذا الاطراء واللغو، وهذا التصوير المبالغ فيه لأنه فى الواقع دعوة الي الحرب وهى حرب فيما ظهر خاسرة، تحفز هؤلاء الشعراء

١ كتاب ليبيا ارض الميعاد ، باولو مالتيزي ، ترجمة عبدالرحمن سالم

فكانت ردودهم ، ردوا على الباطل بالحق رغم ان الاذان قد صمت بسبب دوى المدافع الايطالية وجزم العسكر ، كان رد احد الشعراء يقول :

هل تعرف اين تمتد الارض العقيمة   هل تعرف اين تلفح اشعة الشمس

جميلة الوجوه والهدايا التى تقدمها ارض افريقيا لنا

ارض افريقيا الذهبية ؟؟

في نحيب الثكالى وآلام الزوجات

طرابلس يا ارض الآلام اليك منى عويل انشودتى

ولتخفق الراية المثلثة بينما يحصد الموت الارواح

وسط هدير المدافع

أمخر عباب البحر يا متعهد التموين   فالفرصة سانحة والفصل جميل

هذه واحدة من القصائد التى رد بها احد الشعراء على تلك الحملة المحمومة فى الادب الايطالى وهى بالتأكيد صحوة ضمير، ولكن اين الضمير من أدب محموم يدعو الى الحرب وصوته عاليا، ومثال على ذلك هذه القصيدة :

يحيا الجيش تحيا الحملة   تحيا ايطالية وطننا المحبوب

الى القتال، الي القتال   فى البر، فى البحر

تحيا طرابلس تحيا الحرب   دوما جنود، ابناء روما الخالدة

لااحد يقدر علي جراتكم   جراتكم لا يقدر على مقاومتها احد

نادانا المنادى، إن هلموا   الى الحرب بكامل اللواء يسافر، اننا جنود

دعينا للحرب، لخدمة   الوطن والملك، أباة ابدا أشاوس ابدا

هكذا هى الحال عندهم، فقد غلب الطبل ودوى الرصاص، غلب العقل والمنطق، غلب عتاه الحرب اصحاب الضمائر، وفى غمرة تلك الحملة الاعلامية سار القتل والنفى وحشد الناس (كبارا وصغارا، نساء ورجال) فى معسكرات قذرة لا تتوفر فيها ابسط وسائل الحياة، صار ذلك هو القاعدة وليس الاستثناء، اما عن الجلد بالسياط والاهانات والتحقير فحدث ولا حرج، يقول (باولو مالتيزى) ما يلى :

(وفى سنة ١٩٢٩ م عاد (الهدوء) الى فزان تدريجيا وادار العمليات الجنرال غراتسيانى بما كان تحته من قوات قوامها خمس كتائب من المجندين الصحراويين ورتلان من جنود الهجانه وكتيبة عساكر اريتيرين محمولة على الشاحنات ومجموعة من الفرسان (الضبطية) ورتل من السيارات المدرعة ومفرزاتان مدفعية محمولة على ظهور الابل، وسربا طائرات استطلاع، وسربا طائرات قاذفة، واخيرا حوالى ٣٠٠ شاحنة تموين واسناد، وفى غضون ثلاثة شهور تمكن بطرقه الخاصة، ويضع الكاتب هامش هذا نصه (يقول قراتسياني نود ان تقترح على الولاة طريقة نراها سريعة التأثير والفعالية خاصة اذا طبقت بانتظام، حالما يشن العرب هجماتهم، وعلى اثر وصول نبأ

غارة على نقطة ما، مباشرة تقوم الحاميتان الاقرب الى تلك المنطقة بالانطلاق بسرعة خاطفة من موقيعهما لتلتقيا فى نقطة معينة بعدما تكون قد طهرت كل منهما منطقتها من الليبين الذين تصادفهم واعدام منهم رميا بالرصاص بعدد القتلى من الايطاليين او من بنى جلدهم فى تلك الغارة، على ان لا يقل عدد المنتقم منهم بهذه الطريقة عن عشرة .... انتهي [1]

١ كتاب ليبيا ارض الميعاد ، باولو مالتيزي

فليتصور القارئ الكريم بشاعة هذا التصرف، حتي لوكان هؤلاء الناس لا علاقة لهم بما حدث وليسوا على صلة بالمجاهدين او هم حتى لا يعرفون شيئا عن تلك المعركة لابد ان يتم جمعهم واعدام عشرة منهم على الاقل !! سبحان الله قاهر الجبابرة، أى حضارة واى تحضر ذلك الذى يتحدثون عنه، ويذكر مؤلف كتاب (ليبيا ارض الميعاد) حادثة اخرى كما يلى :

(ولكسر شوكة الاهالى والقضاء على مقاومتهم وهم (جميعا ثائرون عصاة باعتراف الايطاليين انفسهم، يقوم الجنرال غراتسيانى الذى اصبح نائب الوالى فى المستعمرة باتخاذ تدبير غاية فى القسوة والعنف بعد ان منحه (موسوليني) زعيم الفاشيست بناء على طلبه، الاذن المطلق بارتكاب اشنع الجرائم، الشنق والنفى وطرد قبائل وعشائر باسرها وحشرها فى العراء بعيدا عن اوطانهم بقصد منعهم من تقديم العون (للعصاة) وامعانا فى التنكيل والاذلال يقرر توزيع المواد الغذائية بالبطاقات، وهنا يضع المؤلف هامشا هذا نصه (انها الكارتا بيانكا) الورقة البيضاء اللعينة التى هى بمثابة صك الغفران لأرتكاب ابشع الموبقات من بطش وقمع وحشي وهتك للاعراض بدون وازع ولا رادع ضد الاهالى العزل من السلاح، وكم مرة اقدم هذا السفاح على اعمال كهذه دون إن يتكلف عناء استصدار هذه الورقة من دوتشى السفاحين (بينيتو موسوليني) .... انتهي [1]

وما كان امام المجاهدين الاباة الذين قاتلوا هذه القوة الغاشمة لاكثر من عقدين من الزمان الا الهجرة، الهجرة بانفسهم واطفالهم ونسائهم لأن العدو وقد تغلب لن يرحم هؤلاء الاطفال والنساء لمجرد انهم من ذوى المجاهدين بل لمجرد انهم ليبيون، ولنتصور

١ كتاب ليبيا ارض الميعاد ، باولو مالتيزي

مقدار المتاعب والعناء الذى يلاقيه الانسان عندما يكون مجبرا على الهجرة من بلاده، وفى هجرته هذه يصطحب معه اطفالا ونساء وعجزة او شبه عجزه بل ويصحب معه ماشيته، ولابد أن يكون دائما على استعداد للقتال لانه يتوقع الملاحقة والتعرض فى ارض واسعة وعرة قفراء، هجرة الى السودان والى تشاد والى تونس ومصر، بل والى ابعد من هذه البلدان، الى الشام وتركيا الخ وما اكثر الذين ماتوا من الجوع والعطش او قتلوا فى معارك مع العدو او حتى الافاعى والعقارب، اما اولئك الذين قدر لهم ان يصلوا الى تلك البلدان فقد كانوا توّاقين الى العودة، يضنيهم البعد والغربة وشظف الحياة، وقد تناول الشعراء تلك المعاناة والضجر ... في قصيدة طويلة وبليغة للشيخ المجاهد سالم بن عبد النبى، هذا الرجل الذى لم يترك البندقية يوما واحدا منذ بدأت الغزوة الايطالية ومنذ ان قاتل في سوانى بن يادم الى إن هاجر الى تونس فى أواخر سنة ١٩٢٩م، يقول فى قصيدته :

صالح وسيده والحبيب الدانى ... حزين بعدهم ماريت ما هنانى
اسقدت ما وصونى مشيت ... مشى، مشى الكدر يامظنونى
افوين ندرعه نلقى اللباس ... ثمونى وين نقلب التدبير ما واتانى
تكالى على ريعهم كادونى ... وحكرت ريمون العجاج غطانى
اسقدت غير بطولى خبر ... قص لانا قلت لا قالولى
لاخوت مدوا معاى لا مرحولى ... لا سلاح فى يدى انقول زود هانى
انا والرفق غير العصا والحولى ... وظهر الغديد ورحمة الرحمانى
أسقدّت ما وصيته قعد تحت ... برماك الكفر خليته
نجاه ربى والنبى فى بيته ... ينجّيه منهم كيف ما نجانى
يكروه كر الدلو بالجراره ... أيبزع البره من طوال سوانى

حطيت قوز الميده تقاصيت ... وابلادى على بعيده
مكاتيب صالح فارقوه لسيده ... ودالت عليه حكومة الطليانى
والباب يصدح والسلاسل فيدا ... اوّقاف بالسنقى عليهم تانى
رجاويك يالسمر عليه شديده ... خيّب عناهم وأجلبه يا تانى
ليا ناب ربى ما عليه مكيده ... البارح منام الليل لنه جانى
ويالله تجعل حلمتى توكيده ... ومفتاح باب الخير ما يخطانى
ويالله تجعل توبتى موجيبه ... واجعل رسول الله من أعوانى
حطيت بر قبلى ثلاثين وجبه ... مشى دون محلى وانكان عشت
عا لطول الزمان انوّلى ... ساهل ليا كان الكريم عطانى
بلادى شهيره وقصرها متعلى ... وقصبة غزالا بنيها رومانى
اوّادى وهيبا ومرقب الورفلىّ ... على ناسهم يا موعر النسيانى
ريت يا غمامة خاطرى تجلّى ... يجى نصر فايت ناخذوهم تانى
ويا رجل تبدى فى البلاد تطلّى ... وفى كل خرمه يلا طمك زنتانى
يلا طمك راكب وهو يسّاير ... عقاد خيلهم زى القطا اللى طاير
يطرب ليا جاهم كلام نذاير ... رباط خيلهم يصبح وراء الحيوانى
وفى كل وطن معقبات جراير ... حزينات وينوحو كما نوحانى
صالح وعمه والحبيب الدانى ... حزين بعدهم ما ريت ما هنانى
صالح وعمه والحبيب معاهم ... مشينا وفى حال الكدر جزناهم
تلفتت رقراق السراب غطّاهم ... لا قابلوا خوتى ولا جيرانى
صبرت، صبر جمال عالفرقاهم ... أصّرم على الغزل ما واتانى
ليا دور سو ليام شين صداهم ... درباس ولتّ بسرة الفزانى

ثلاثين وجبه مشى طبقنــاهم ... سمور عالغديد اونومهم ما جانى

نزلت برما جانيش فيه نبــاهم ... على دوس مكتوب الزمان رمانى

وساهل ليا كان الكريم عطاهم ... ساعة ســعاده نصــرها ربــانى

زى القمر والشمس فوق سماهم ... ترزق على المشغول يصبح هــانى

يطيح كفرهم من الارض تشرب ... ماهم تنوّر الشريعه بحكمها الحقانى

وتظهر عصاة الحق فوق اقبالا ... لا عــاد يمشــى زور لا لقــانى

هذا نبى ونزلت عليه رســاله ... يا مخالفينــه علمكــم شــيطانى

وهللى ظلم لازم عليك تقاله ... الظالم سوى مسلم سوى نصرانى

المظلوم وين ايموت عند حلاله ... ميت شهيد اوشنو أيــدّور تــانى

صالح وعمة ونسـبة وعيالــه ... قعد بينــهم يلطــف الله بحالــه

ميلاه بر طــرابلس ورجــال ... له دهر فى هــم الزمــان ايعــانى

عليه البحر لوّح كثير عمالــه ... على كل نص مخالفــة لالــوانى

لا تفرز اللى فى الوطن يتكالى ... ولا تفرز اللى يطــير بالجنحــانى

ناديت يالسمر عليــك تعــالى ... وفزعّ رجالك فزعــة الــديوانى

وياخالقى عندى عليك دلالــه ... وفّى على كيــف قــال لســانى

يامن خلق فى الارض كل عماله ... منك طلبت اللطــف يارحمــانى

فيسع ابطّل حركته واشـغاله ... لأمــة محمــد عجــل البريــانى

صالح وعمه والحبيب الــدانى ... حزين بعدهم ما ريت ما هنــانى

تلك كانت قصيدة الشيخ المجاهد سالم بن عبد النبى، وقد اجبر على الهجرة لأنه كان مطلوبا القبض عليه باعتباره احد زعماء العصاة الذين يجب اعدامهم !! وكــان

ابنه وشقيقه فى سجن الطليان ولا حيلة له فى الوصول اليهما واخراجهما، وهكذا كان يخاطبهما من البعد ويطلب من العلى القدير الفرج، وقد عاد المجاهد الكبير بعــد إن خرج الغازى من بلاده حيث اسلم روحه الطاهرة الى بارئها على تراب الوطن الذى قاتل طويلا من اجل حريته وعزته وقد راى ابنه وشقيقه وهما يتمتعان بالحرية فى ظل بلد حر ،ولقد انتهت الحرب فعلا وكان لبادوليو الوالى العام فى ليبيا ان يعلن فى ٢٤ يناير سنة ١٩٣٢ م ذلك الخبر، ولذلك فان الحرب الترهة فى ليبيــا وحســب هــذا الاعلان قد استمرت لمدة (عشرون سنة وتسعة وعشرون يوما كاملة) وقد شــهدت هذه المدة مئات المعارك الضارية سالت فيها دماء غزيرة، بمعنى ان ليبيا لم تكن خــلاء ولا كانت ارضا بلا شعب ولا رفع الليبيون ايديهم مستسلمين للدولة الكبرى رغم ما لها من قوة وهيلمان، ومع كل ذلك، مع استخدام الطائرات والمدافع والغازات السامة، ومع حرق الاخضر واليابس فان شعبنا لم يستسلم وقد ناضل بالبندقيــة ثم بالكلمــة والقلم الى إن خرجت ايطاليا مهزومة من بلاده، كان اولئك الذين هاجروا قد رفعوا راية النضال عبر مختلف القنوات والمؤسسات والمنابر فى العالم، وكان للادب الشــعبى دور التحريض والتنبيه والمواساة، وكان باعثا للامل فى غد سعيد، فى ليبيا حــرة، فى عودة سالمة وفى لم الشمل بعد فراق، فلا شئ اعز من تراب الوطن، يقــول الشــاعر الشعبى (عبد الجليل بشير بن عبد الجليل) فى قصيدة عن الايام وكيف انها دارت :

ليام فيد القايد اللى قادهن مولاى ... حكما رايد إن راد الغنى يغنيــك

رزقه زايد، وان راد يفقرك تصبح مثيل البايد

ليام لا تعاد يهن ليام فيد الله هو واليهن ... إن راد العطــى يعطيــك تزهــى

بينهن كريم ربنا الصاعب عليك ايحله

باب الفــرج يفــتح الخــير ايجــيهن ... وديما على السور الســقيم مــد لــه

ليام يا مصعبهن يعكسن بعد الزهى وطربهن

الطاريات يطـــرن ربنـــا كاتبـــهن — واللى صبر يصبر الصبر احســـنله

ايام الكدر مرات شـــين غضـــبهن — يخلن صغير السن شـــايب كلـــه

ليام كان يبنك ايصبن يفلتن يغننك — موازيب من رب الكريم ايجنـــك

والعـــز مـــن مـــولاى ويغرنـــك — ويصبح مكانك فى مكان تعلـــى

ليام يا مو عرهن بعد الزها ان دور عليك كدرهن

حسن اخلاقك كـــان بتقـــدرهن — واصبر على هول الزمـــان وقلـــه

الطاريان يطـــرن ربنـــا ســـخرهن — والوقت ينشر كـــل يـــوم مجلـــه

فى كتابه يقول الشيخ الطاهر الزاوى عن انتهاء المقاومة الوطنية ما يلى :

(الى هنا بلغ الكتاب اجله وانتهى كل نوع من انواع المقاومة فى طرابلس مـــن البحر الى حدود فزان، وذهب الناس مذاهب فى طريق النجا ة بانفسهم، فريق قصـــد الحدود التونسية على طريق غدامس وفيهم الطاهر افندى شيلابى وقد انتهى به المطاف الى جربه وتوفى بها رحمه الله، وقسم ذهب الى فزان للالتحاق بخليفه الزاوى منهم الفقيه على بن حسن، وقسم ذهب معنا الى مصر ومنهم احمد بك السويحلى واحمـــد بـــك المريض والتهامى بك قليصه وعمر ابود بوس والشيخ سوف وابنه عون والشيخ صالح بن سلطان والشيخ المبروك المنتصر والشيخ عبد الصمد النعاس وغيرهم كـــثير مـــن مصراته وترهونه والزاويه ومن جميع القبائل الطرابلسية، وكان هذا الجلاء آخر عهـــد المجاهدين بوطنهم بعد جهاد دام اربعة عشرة سنة لم يتركوا منه شبرا الا دافعوا دونه، ولا تجد مرتفعاولا منخفضا الا ولهم فيه دم مطلول او جسد ممزق وقد حفـــظ لهـــم

التاريخ فى صفحاته من الجهاد المجيد ما لم يحفظه لغيرهم على قلة من المال والرجـــال وآلات الحرب، ولقد خاضوا هذه الحرب على رضى منهم وطيب نفس دفاعا عـــن وطنهم وذودا عن كرامتهم لا ينتظرون من وراء ذلك الا ما اذخره الله مـــن ثـــواب المدافعين عن اوطانهم) .. انتهى

تلك حقيقة، و لم يكن المهجر غاية ولا مطلبا ولكنهم اجبروا على ذلك بعـــد ان نفذ وجف كل شئ بما فى ذلك الذخيرة والاسلحة اذ إن جميع المنافـــذ قـــد اقفلـــت والمسالك سدت وكان السلاح والذخيرة تصل الى المجاهدين تهريبا خصوصا فى الفترة الثانية والثالثة من الجهاد واذا تصور القارئ الكريم مقدار المعاناة والتضحية التى قدمها اهل ليبيا فسوف يذهل من هولها، وقد اورد الاستاذ جمال حمـــدان تقـــديرا لتلـــك التضحيات فى كتابه (شخصية مصر) على الوجه التالى :

(نستطيع إن نميز بوضوح تام فى التجربة الايطالية المراحل التقليديـــة الاربـــع فى الدورة العامة للاستئطان او الاستعمار الاستئطانى وهى، الابتلاع السياسى وتفريـــغ السكان الاصليين وتوطين المعمرين ..

اولا الابتلاع السياسى، فى اواخر مرحلة الاستقرار فقط بعد ان كان قد قطـــع شوط كبيرا بالفعل فى اقرار الامر الواقع كشف الاستعمار الاستئطانى عـــن حقيقتـــه بصورة رسمية فتماما كما فعلت فرنسا فى الجزائر من قبل، اعلن (ليبيا الايطالية) جزءا لا يتجزأ من ايطاليا الام قانونيا لا يفصلهما البحر الابيض الا كما يفصل نهر (التيـــبر) بين ضفتى روما وساحلها هو الشاطئ الرابع بعد الادرياتى والتيرانى المتوسط وولاياتها الاربع طرابلس وبنغازى ومصراته ودرنه مقاطعات ايطالية تماما شأنها شأن ابروتزى او كلابريا او بيدمونت الخ وسكانها اما رعايا كا ثوليك او رعايا ايطاليون ...

ثانيا، التفريغ السكانى، ايا كان مدى صحة تقدير السكان الثلث او النصف كما راينا فالامر المحقق ان الاستعمار الايطالى مسؤول عن عملية تناقص رهيبة فى سكان ليبيا، وهذا التقدير الذى لا نعرف اساسه بالضبط قد لا يكون بعيدا جدا عن الحقيقة وذلك اذا تذكرنا إن حرب السنوات السبع فى الجزائر فيما بعد كلفتها مليون شهيد ونصف المليون، وعلى اى حال فلا شك فى خطورة وجسامة التناقص فبالمقدر إن عدد سكان ليبيا قبل الاحتلال الايطالى كان قد بلغ مليونا ونصف مليون نسمه وربما مليونين، فان صح هذا التقدير لصح كذلك تناقص تقدير السكان بنسبة النصف فى ظل الاستعمار الايطالى لأن مجموع سكان ليبيا سنة ١٩٣٨ م قد بلغ ٨٨٨٤٠٠ الليبيون منهم ٧٦٣٧٠٠ نحو ثلاثة ارباع المليون، واذا صح هذا الاستنتاج بدوره لكان معناه في الوقت نفسه إن السكان بتناقصهم الخطير هذا قد عادوا الى مثلما كانوا عليه فى النصف الثانى من القرن ١٩ حيث قدروا كما راينا بثلاثة ارباع المليون وهذا كله يعنى ان قرنا او نحو قرن من التوقف السكانى الصافى، الاستعمار الايطالى هو المسؤول عنه، وتلك فى الحقيقة ظاهرة تكاد تنفرد بها ليبيا حيث إن معظم المستعمرات المعاصره بما فيها من تعرض للاستعمار الاستئطانى عرفوا نموا محسوسا فى الفترة نفسها، واذا كانت ليبيا تنفرد من الناحية الاخرى بانها تعد من آخر البلاد التى وقعت ضحية الاستعمار الاوربى كما كان الاستعمار بها من اقصر عمرا فان معنى هذا كله انها كانت اول بلد يتحمل ضراوة الفاشيستية فى تاريخ الاستعمار الحديث .

وهذا اساسا ما يفسر مأساتها السكانية، وقد تناقص السكان فى عصر الاستعمار الايطالى عن طريقين اساسيين :

١ زيادة الوفيات .

٢ الهجرة الخارجية .

وقد حدثت الاولى بدورها بطريقين، مباشرة وغير مباشرة، فعوامل الموت المباشرة فى ميدان القتال وعمليات الابادة المتقنة بين المدنيين حصدت عشرات الالاف عبر عقدين متصلين، اما العوامل غير المباشرة فتتمثل فيما تعرض له السكان من ظروف بالغة القسوة فى الحياة وفى التشريد الذى فرضه الاستعمار سواء فى الجبل او الصحراء حيث طرد مئات الالاف بالجملة وقذف بهم خارج المعمور الحقيقى وخارج نطاق المطر، حيث اتبع حتى سياسة سد الابار فكانت القطعان تهلك بالجملة جفافا وعطشا بينما تتفشى الاوبئة بالتالى بين القبائل وتحصدهم بالالاف وينبغي إن ندرك هنا ان فناء الحيوان (اساس الحياة المرعى) كان يعنى بالضرورة فناء الانسان، ويمكن لذلك أن يتخذ مؤشرا له ومقياسا وفى هذا الصدد قدر الايطاليون انفسهم إن تناقص القطعان كان هائلا) .... انتهى

واذا كان القتال والجهاد فى سبيل الوطن قد تقبله الليبيون بطيب خاطر وعن رضا فقد كانت الهجرة القسريه صعبة ومؤلمة وشاقة لانهم لم يكونوا من الاقوام المهاجرة فلم يحدث إن تركوا بلادهم منذ استقروا فيها فى نهاية القرن التاسع الميلادى ومنتصف القرن الحادى عشر الميلادى ولذلك فقد كان النصيب الاوفر من الادب الشعبى منصبا على قضية الهجرة ومعاناة المهاجرين وظروف الحياة الجديدة والشوق الى العودة بفارغ الصبر، يقول الشاعر الشعبى (مفتاح عمر الشلبى) عن ذلك ما يلي :

يهبوا يراح الوطن من مولانا   ونردوا على وطننا بعد جلوانا

يهبن رياح العون بعد رقاده   وصاحب الفرج يأتي قريب جواده

وراه الزرع وين يطيب ليه   حصاده حالا يتم غمار في ميدانه

والله بقدرته يهلك عمود جراده   ويهيف هيفة العرجون من عمدانه

يهبن رياح العون له تقليعه   ويفسد الرومى وعملته وحديده

ويا تعس من هادن وداره سيده — ولافض معاه ولبسته ونيشانه

بصاصين عالميطم قلال عقيده — اما همت والـلا يخبره بالسانه

ويا سعد من مسكت عليه تقيده — لو باصبعه ساعة شراق اذهانه

ويا تعس من مسكت عليه تقيده — يوم الممات ومشية الدفانه

يهبن رياح العون بعد تغفي ويجي — عون زعتاري قوى متسفي

وياعين ياشومه عليش ترفى ما — من اللى كيفك فقد حبانه

ويلحق على كلب الكبير يكفي — ويخش العريق الموج من صلبانه

الباطل يبطل والنقاص يوفي — دجاجة الذهب تمشي عالوطا عريانه

ويبقى كما مثل الحليب مصفي — ويوقف عمود الدين بعد الهانه

وفى عشق الوطن (حب الوطن من الايمان) وضجر الحياة فى الغربة والتوق الى يقول الشاعر (حسين الاحلافى) :

العين والعه بالوطن وحكاياته — على ما جرى من موح ما نسياته

مى مرتده ولا مابيه تنسى بطول — الموده وما زول ينس وطن بوه وجده

الا شخص تافه كى بلاش حياته — والعه منهاسه مرايفه على الوطن العزيز

وناسه وماى ناسيه حتى بطولة — ياسه ولا تبدله بالنيل لو طالاته

كايده فى الحملة مرايفه على — اشبرم وقيس الرملة

وغيطان دفنه والسقايف جمله — وطبرق وحومة عكرمة ومزاته

ماى صباره مرايفه على درنه ووادى ماره

وبوشمال والقبه وقيسى بشاره — والقيقيب وغاشى كان فى مجباته

تذرف ديمه مرايفه رياف بهم فات القيمه

على تراب والصفصاف ومواهيمه — وشحات والعلم اللى حازاته

دمعها شلالى وما نلومها ديما الموكر غالى

مريفه على لبرق ووادى لالى — وقيس قلشيه وسباق وجناناته

مرايفه على الفايديه وبلس وعالباطن اللى قبليه

والفوق عالشارب على عاليه — ووادى القصور وما حون جالاته

والعه منظامه خاطر عليها وطنها وايامه

وقيس المخيلى والشرف واوهامه — ياهالترى هالساع كى جالاته

عامر بناسه ياترى وانعامه ولا — خلى منهم ومن خلفاته

بعد غوش ديما منطرح قدامه لا — هاج هيف لا الدار جفاته

ياطول ما حاشن على غلاته — وحشوة لتا لاعب ورا ميناته

ويا ما سبيبه جا يرف علامه — وين مالصادى زام فى نزلاته

مرايف عالعلبه وزاوية صداره مشرفه فى الهابه

تمابي على قوه تجى منصلبه — لاتماب طلياني ولا قواته

جيش من العرب واجد نجى — صايلبه ونقليز بطيوره ودباباته

حتى وهو عدونا عالعدو ندخلبه — اللى يموت منهم نفرحوا لماته

مرايف عالبيضا تأخذ الليل تنين كي المريضه

وما نلومها حب البلاد فريضه — واجب على الانسان كيف صلاته

مابي مرض غير مطرى الحرابي — خيرة اصحابي الضرابين والمكوغط ينابي

ركابين كل حمرا دعابي الطايح — تشيله نضيده رفلقله قبل وجميله

مابي مرض غير فقد الرجال وفنية — المال وحبسة نساوينا والعيال

والفارس اللى كان يقدع المال | نماره جفيله طايع لهم كيف طوع الحليله

والقصيدة فى الواقع طويلة وتعبيراتها بليغة ولغتها جميلة وقد اكتفينا بهذا القدر منها... وفى التجنيد الاجبارى وارغام الناس على خدمة الطليان يقول الشاعر (مصطفى عبيد الهوني) ما يلي :

اول بداية نخدمه مولاى | وثانى صلاتى عالنبى المختار
نحكى لكم يا خوانا جمليه | على ما طرالى فى الزمان وصار
ريت الطرب والخير موش | شويه وبعدين ولا لى كدر واكدار
بديْت عسكرى وفرشات | فى كرعيه وريقه نصبى انوض من الافجار
مركبينى بالسيف غصب | على لبر الحبش رافعينا كفار
طابور جابونا عقاب عشيه | عساكر عديده الفكر فيها حار
ونمارها النصارى جت توادع | فينا نساهم علينا ترش فى النوار
وبعدين جينا في بحر خشينا | ما شمس ربنا مغير ضوء فنار
وجانا الرومى وتم ينصح فينا | لاتسببسو ولا تكبروش النار

والقصيدة هذه ايضا طويلة يحكى فيها الشاعر بألم عن البلاد التى نقل اليها لمحاربة المسلمين وهو لا يعرف لماذا يحارب هؤلاء الناس، يقول إن الايطاليين يقولون لهم عليكم إن تأخذوا بثأركم من هؤلاء الاحباش، وجدير بالذكر إن ايطاليا فى حربها مع الليبيين كانت قد جاءت بالاحباش والا ريتيرين لمحاربة الليبيين ثم فعلت نفس الشئ حيث نقلت الليبيين لمحاربة الاريتيرين، ولكن هؤلاء كانوا يدركون نوايا (الكفار) ولكنهم ايضا كانوا مجبرين على إن يحاربوا فى مكان لا ناقة لهم فيه ولا جمل.. اما اعمال (السخرة) ذلك التعبير البشع والعمل الابشع فقد فرض على الليبيين مثلما

فرضت اشياء اخرى، ولعل ابلغ تعبير عن ذلك هذه الابيات التى قالها الشاعر الشعبى (جلغاف بو شعرايه) :

بطلنا من تكسير الحيط لحقنا | ميط بعد عيشتنا فى ام خويط
بطلنا من تكسير القز وزال | الحز اللى ريناه ايام العز
الواحد فى النوضان يكز بقى | جاويط مخدم والميكول قحيط
ثقال عظامه وين يفز اتقول | خبيط ازراره راحن ماتشليط

وفى قصيدة رجب بوخويش وهو من فحول الشعراء الشعبيين نقرأ :

مابى مرض غير سمع السوايا | ومنع الغوايا | وفقدت اللى قبل كانوا سمايا
وربط النساوين طرحا عرايا | بسبلة قليله | يديرو لهن جرم مافيه قيله
مابى مرض غير قول اضربوهم | ولا تصنعوهم | وبالسيف فى كل شئ خدموهم
ومقعد مع ناس ما نعرفوهم | حياة عويله | الا مغير ماعاد باليد حيله
مابى مرض غير ومط العلايل | وديما نخايل | على خيلنا والغلم والشوايل
وخدمه بلا قوت والسوط عايل | معيشه رزيله | على اثر الدوابيش جو للعويله
مابى مرض غير فقد الملاح | ودولة القباحا | للى وجوهم نكب واخرى صحاح
وكم طفل عصران من السوط | ذاح حاير دليله | يانويرتى صاف من دون جيله
مابى مرض غير كسر الخواطر | ودموعى قواطر | وشنات ما دونهن من يساطر
الراعى معقل جمال القناطر | فحولة كحيله | وطالق قاعدين فوق الخويله
مابى مرض غير حبس المسامى | وميحة ايامى | و(كابو) علي ضرب لجواد دامى
يصبى يناديك بلسان حامى | ولغوه هزيله | تخاف يعدمك قبل لا تشتكيله
وشوخة ردى لصل شوت منامى | حتى وهو | عزيله يبيعك علشان حاجه قليله

مابي مرض غير فوت الحـــدود   اوقات ســـود   وشبردق ملوى على راس عود

لا حيل لا قـــادره لا جهـــود   لشيل الثقيله   زاهدين فى العمر لو جا وكيله

مابي مرض غير برمة افلاكـــى   وهلبة املاكى   وضيق دار واشون قاعد متاكى

الفارس اللى كان يوم الدعاكى   ذرا للعويلـــه   يساسى ورا قرد مقطوع ذيله

وكل يوم من الظلم نا انوض شاكى   ونفسى ذليله   وكيف المرا ما نفك العقيلـــه

مابي مرض غير ميلـــة زمـــانى   وقصرة لسانى   وما نحمل العيب، والعيب جـــانى

وتريسى اللى قبل بينهم انقادى   جمال العديله   ثقال روزهـــم ذاءب ثقيلـــه

على اثر يأسهم روحى من مكانى   ليله طويلـــه   ظلامها غطا ضئ قاز الفتيلـــه

مابي مرض غير فقدة بـــلادى   وشى من ريادى   نواجع اغرب فى خيوط السعادى

طالب الكريم اللى عليه اعتمـــادى   يعجل بشيله   قبل لا يفوتن ثلاثـــين ليلـــه

الدايم الله راح راعـــى المجمـــم   طفئ ضـــئ   على طول مـــا يـــوم ســـلم

ظلم العاصى

لولا الخطر، فيه بيش نـــتكلم   ونعرف انشيله   ونعرف انبين ثنـــاه وجميلـــه

هذه القصيدة من الروائع فى البلاغة ودقة الوصف وتناسق التعبير، ولو كانـــت هناك معلقات من الادب الشعبي لكانت (ربما) من ابرزها واجملـــها واقواهـــا، ولأن ايطاليا لم تكتف بالتقتيل والحشد فى المعتقلات والسخرة والتجنيد الاجبـــارى لكـــى يقاتل العربى اخاه العربى والمسلم اخاه المسلم مجبرا فقد استن سنة النفـــى الى منـــاطق وجزر بعيدة وفى البلدان لم يألفها ولا عرفها الليبيون لبرودة طقسها واختلاف اساليب الحياة فيها، والنفى هو نوعان من العقاب، فهو ابعاد وهو كذلك سجن فى وقـــت واحد وكان ذلك شديدا على الليبيين، الغربة والسجن والاهانات والتحقير، ولـــذلك

فقد كان لهذا الامر النصيب الوافر من الشعر الشعبي، قاله اولئك الذين نفيوا وكـــذا اولئك الذين هاجروا او حشروا فى المعتقلات، وللشاعر الشعبى (فضـــيل الشـــلمانى) مساهمة جميلة فى هذا الميدان يقول :

يانا اللـــى طـــابن اليـــوم ايـــديا   وراحن اتقـــول المحرقـــات ابنـــار

دائـــرين بى دربـــر والورديـــه   هو ذيل من غادى وهـــم كفـــار

الواحد ايمت يدي بعـــين قويـــه   وانكان قلت يانا يكرب المســـمار

شداد عزم مافيهم حنـــون علـــى   بخاطر جدودى نخرج من الـــدوار

بجاه من قروا فى الحزب وان عشيه   وقاموا الصلاة بوضوء فى لفجـــار

ســـلط علـــيهم جـــيش برانيـــه   بقوة أوتـــا مـــا يعرفولـــه كـــار

مـــئتي فرقاطـــه اللـــى حربيـــه   وميتين حـــايم فى الســـما طيـــار

من يفلتن في غـــاز كـــى الميـــه   ومن اوطى مدافع يضـــربن بعيـــار

اللى ايبان بره يقرضـــوا طاريـــه   واللى فى البلاد اتشيط فيـــه النـــار

ويصير يوم متسمى علـــى قليـــه   وعطابه علـــى قلـــة (تريبونـــار)

يحدر عليه الصـــيد مـــن قبليـــه   كما يحدر السارح علـــى الـــدوار

بـــابورهم عـــيط ايحـــذر فيـــا   نوا شـــيلنا مـــن وطنـــا العقـــار

فيه طرحونا فى عصـــير عشـــيه   ولمـــد مخاطيفـــا نـــوا لســـنار

وخذا الليل متكاصى بجد ونيـــه   ونوى البعد لا محـــنن ولا مختـــار

وباتن غضـــابا حـــايرات علـــى   وحتى لو تباكن صـــعب عالنظـــار

ولا عاد تنظـــر الا ســـمـــا واميـــه   والا حوت يزقب ومـــوج كبـــار

داخو ضنا لجـــواد مـــن قبليـــه   عاشوا عصر مـــا يعرفولـــه كـــار

الزين تشكره حتى مـــن الكفـــار

جابنا على كوزه عرب روسيه ... ولا عاد منا جار يطلب جار
وكل نفر منا كلفوه بشيه ... مقرونين فى سده تقول مدار
ومنها سرينا سروة جهميه ... شغله مخالف يغلب النظار
حطونا على شاطئ عمل ذميه ... وحرك دواليبه كما البندار
حسه تقول زنيف رعاديه ... سبحان خالق البناى والجيار
ياما جاء عا لبندر عجب ساطيه ... لكن صبرنا والعزوم كبار
باعد الناس اللى عزاز على ... خالق الخلايق عالى المقدار
طالبين فضله ما يكن على

وللشاعر قصيدة اخرى طويله نقتطف منها أجزاء رغبة فى الاختصار مع الفائدة، يقول :

يا طير يا طيار يا حايم بالسما ... ياللى خلقه ربنا جنحان
تعال هنا نشكيلك على حال ما جرى ... رانى غريب وانت من الجبان
يا خوى يا مشكاى روح لوطنا ... بلغ سلامى والسلام آمان
سلم على لجواد فرسان القسا ... حماة الصفيا ساعة الرنان
كبارهم وصغارهم واللى فى الندا ... وجار جارهم واللى يلحظ النيران
وان كان ينشدو عا لحال فى كدر ... مرايف عليهم خاطرى ولهان
بعد ايامهم والله ما رينا زها ... ولا رجلنا جالت على جيران
فى حجف نازل فى تسابيع الوطا ... مظلم علينا ما الشمس أتبان
مسكر ابواب الحديد واقفاله قوى ... واللى تنظره عينى الكل طليان
يابعاد ما علمتو اللى صار عندنا ... كسوة لعادى فوق من عثمان

لكن ثقيل الروز صابر للقضا ... مخلى قلوب الخائفين رزان
الدايم الله يا كامل العرف والبها ... لذ يذ الطبايع ما علينا هان
تراسا يرد القوم فى ساعة البلا ... ولد ايجى فازع وهو عريان
ياعز ضيف الله فى الكرب والرخاء ... ياابو فريقا يشبع الجيعان
ماكار همشى لا عياط ولا شلا ... كارهم نواجع يضبحن طيران
يجنهم مغازى من هناك ومن هنا ... هناك تبرا عبرة الجبان
لو كانهم ضنا لجواد للبيع والشرا ... غالين ما هانو ولا باثمان
لكن اللى قدر علينا بالخطا والقدر ... نين جاب تربتهم لها لمكان
عالم عداد الخلق وانجم فى السما ... وعالم اللى ساير خفا وبيان
من غير ربنا مالى كريما نطلبه ... صاحب العطا والجود عالانسان
يأتى بعفو عموم يطلق سجنا ... ويفرج على اللى خاطرا كليان
ويمحى سوايانا ويغفر ذنبنا ويعجل ... جتامنا عند الممات آذان
هذا جوابى والصلاة عالمصطفى ... نبى دار للامه كتب واسنان

وكما اوردنا فقد كانت الهجرة فى مراحل مختلفة، بدأت الهجرة الاولى بعد الحرب بثلاث سنوات تقريبا اى خلال المرحلة الاولى من الحرب، وفى بداية المرحلة الثانية وقد تصاعد القتال وشدد الايطاليون من اجراءات البطش والعنت فاقاموا المعتقلات وصاروا يعاقبون الناس دون تمييز على اعتبار إن جميع الليبيين(عصاة) ، تزايدت هجرة الناس، هجرة الى الدواخل والصحراء، وهجرة الى خارج البلاد، الى بلاد الله الواسعة، واستمر الجها د وكان اولئك الذين هاجروا او هجّروا يتابعون ما يجرى فى بلادهم بألم وحسرة وهم لا يقدرون على شئ، ربما كانوا يعرفون النهاية المحتومة ذلك إن

المجاهدين ضاقت عليهم السبل، وكانوا احيانا يبعثون الرسائل وهى قليلة لأن من كان يقبض عليه وهو يحمل اى رسالة يعاقب ضربا بالسوط وربما يعدم، ولم تكن هناك هواتف ولا وسائل مواصلات ومراسلات منتظمة، ولأن الشهداء كثر فقد بدأت قصائد الرثاء تتواتر وذلك اكثر ما يمكن ان يملكه او يفعله ذلك المهاجر الغريب، رثوا اقاربهم واصدقاءهم وابلغ الرثاء كان باولئك الزعماء قادة الجهاد مثل عمر المختار ورمضان السويحلى وغيرهما ممن استشهدوا فى ميادين الجهاد، يقول الشاعر الشعبي حسين الاحلافى فى قصيدة يرثى فيها المجاهد الكبير احمد الشريف، ما يلى :

وفاته مصيبه عالبوادى وعالحضر ... وخسارة جسيمه ما لها تقدير
هذا ركن من الاسلام دعاه القدر ... وفجوه انخلت مالها تكسير
وعالم محنك فيه لاسلام انقهر ... ماله صفيت الراشد ين نظير
وسيف قبل يطرى عالدين وانكسر ... كسره عظيمه ما لها تجبير
ما يدوم غير الله يا طول ماعمر ... عليه مجلسه بالدرس والتفسير
دروس فى الموطأ والبخارى المعتبر ... ومسلم و بو داود و الدردير
ويا ما تلا القرآن فى ساعة السحر ... ولوراد لين الفجر دار بهير
ويا ما هدى من ناس كانوا فى خطر ... بعد حرب شايط د لهم عالخير
ما يدوم غير الله ياطول ماظهر ... راكب عالمدندش فى سبيب كثير
ويا ما دهم بالجيش عالروم وانحدر ... وتما نهار اسود على الخترير
وفيه الجيش كيف الجراد المنتشر ... وفيه الكراهب يضربن والطير
عاود بعد صولة الملعون وانكسر ... اللى ما انقتل منهم خذوه اسير
وياطول ما عانى مشقات السفر ... وما من صحارى خاضها وسرير
سيوف رمل طول الدهر ما شافن مطر ... وبساط منطرح فيه الخبير ايحير

وياطول ما صام النهار وما فطر ... على جغمة اميه وقرص شعير
على ما تعب لا لان لاطاع للكفر ... لا حط فى كفه الطاهر لير
ويا طول ما كافح ويا طول ماصبر ... ولكن مراد الله وايش إندير
جاهد وهاجر نين ميجاله حتر ... بجوار النبي بو فاطمه البشير

وفى رثاء شيخ الشهداء عمر المختار كانت لنفس الشاعر قصيدة رائعة وهى وان كانت طويلة الا إننا نقتطف منها اجزاء كما يقتطف الجنايني من حقل مليء بالورود فى وقت الربيع، فالقصائد كثيرة وهى فى الغالب جميلة وممتعة لأنها معبرة عن وجدان الانسان الليبي فى السراء والضراء، والقصيدة هذه كأنما هى لوحة رسمها فنان بارع تمثل (بانوراما) لجولات وصولات ذلك البطل الذى قارع الايطاليون فى اغلب معارك الجهاد التي جرت بالشق الشرقى من بلادنا، يقول الشاعر :

الدايم الله يا بو المختار يافحل ... ياللى امدوخ دولة الطليان
وحلوا فيك لا جابوك بالراى ... والحيل ولا للذهب لقيوه قلبك لان
مع كل باب ايجوك ما بيت ... تنختل ولا بيت تامن يوم للخيان
لقيوك صاغ فى دينك على الله ... تتكل مليان قلبك عالكفر غليان
لقيوك سبع ما تنطاق فى ساعة ... الزعل مشوك تخوف كاشر النيبان
يجوك كل يوم ارطات من ساير ... سهل صومال ومضوع وشيشليان
يجو كاسين الوطن لا وعار والسهل ... يضيقن بهن لا رقارب والوديان
تحق البياده كيف سوقات النحل ... وتحق الصوارى دايرات ابطان
معاهم بعد يلفو على طول تنصهل ... معارك من ضنا برقة احسن الفرسان
ينهدوا حماة الوطن والنار تشتعل ... ويبقى نهار اسود على الطليان

ولاعاد تسمع غير د نيا تد قـل … ونـار المـدافع كـابره كـبران
تحق هذا مرتكز وهاذاك منسبل … مع ذراعها حادر وهـو دهشـان
وهذاك من الطليان يجرى بالعجل … رمى البندقة وأرمى علـى البنيـان
يجلب تقول غزال فى خوف يتقل … يطيح فى الحطب وينوض كى لحصان
قدامهم سبيب الدور عمره ما جفـل … اولاد ليبيا يـوم اللقـاء شـجعان
ياما سحق من جيش بكباره الكل … لا رد مـاجورى ولا قبطـان
خلا حاكم الطليان مقهور من الزعل … كل يوم جيشه يعلمـه خسـران
ولكن المولى راد، وافته لجل وحـودد … العمـر وكـل شـئ لـه آوان
نمارمسكته باتو اصحابه فى وجل … وبات العدو رايـح بهـا فرحـان
ما هناكش مسلم ولابات منشغل … نبا شنقته بكـى اللـى شـجعان
يانويرتى عالدور من يوم ما قتـل … ونارى على الخرمه وعلى البطنـان
ونارى على برقـه بعـد موتـه … ونارى على اهلها وعلى الاوطـان

القصيدة كما اوردنا طويلة ورائعة الا اننا نكتفى بهذا القدر منـها لأنـه يفـى بالغرض، وما أكثر القصائد وما اجمل الادب الشعبى الليبى وما اعظم دورهذا الادب فى الجهاد وحث الناس على الاقدام والشجاعة والبذل، ماروعه فى التعبير عن ضـنك الحياة وآلام الغربة والشوق الى تراب الوطن، فى الرثاء وان كانت هنـاك بكائيـات ولكن الدموع التى لا تذرف من اجل رجال ضحوا بكل شئ فى سبيل الوطن والعزة والحرية، فى سبيل الله والوطن ليست بكائيات حزن وانما هى تمجيد وتخليـد ،ولقـد سجل الادب الشعبى فى ليبيا اسطورة شعب ونضال امة، فى الجهاد، فى المعتقلات، فى التجنيد الاجبارى، فى المنفى، فى اعمال السخرة، وفى الرثاء، صورة، هـى الصـورة (البانورامية) عن ليبيا ارض الخير والعطاء والمطر والحب والسلام والاسلام، اردنـا إن

نسجلها وان باختصار لأن الاحاطة بكل اعمال الجهاد سواء أكان بالبندقية او بالكلمة يحتاج الى مجلدات ربما يأتى وقتها ويتفرغ لها رجالها وهم كثار بحمد الله ....وهـذه قصيد تان للشاعر أحمد القحيص.

أبطال جاهدوا لبوا نـدامولاهم … واجب علينـا نخلّـدوا ذكـراهم
ماينتسـوا يتخلّـوا … رجال كافحوا عل وطنهم ماذ لّوا
لاردهم جـيش العـدو لاولّـوا … الايـام تمـوا والكـريم بغـاهم
عيوا ايهاجموا في جيش العدو ويجلّوا … لامنه خـافوا لاعطـو بقضـاهم
ماينتسـا مـوقفهم … بيه نفخروا وهّما الشرف شـرّفهم
الشهداء العشرة كل حد يعرفهم … خيار وطنا دهر الزمـان خفـاهم
بعدوا مشو ماعاد مـن يخّلفهم … قعد عندنا في الفم غـير أسمـاهم
تحـت التـراب تـواروا … لـين موّتـوا لاخـوبروا لا داروا
في سبيل وطنهم موت الجهاد أختاروا … لـين أنتـهوا مـاغيروا مبـداهم
شجعان عل ضرب العدو يتماروا … تـاريخ زاهـر خلّفـوه وراهـم
الطليـان مـا طابولـه … يحكم علـيهم جـبر ينطاعولـه
هجموا على الكردون وأصـدوله … جيّفاه قعدوا سـايلات أدمـاهم
خط الجبل حارم عليه اوصـوله … لـولا الخيانـة ماقـدر يـدماهم
رجـال وطنـا جميلـة … للى ناضلت وأستشهد ت والحيـة
من أحفادهم لـيهم ألاف تحيـة … وللخوت هللى واقفـين اعمـاهم
وكل من عمانه صف فّيـه فّيـه … الشاعر احمد القحيص ماينسـاهم
الفضـل لعبـد الله … كريم النـايض فكـرّه ووصلـه

حي ذكر ناس مجاهدة ماخله ... بحث عل الاسامي جابهم لقاهم
عمل من أفكاره حد ماقال ... له العشرين دوّرهم وجاب نباهم
أبطال جاهدوا لبو نداموﻻهم ... واجب علينا نخّلد وا ذكراهم

شوق ما فقدنه من رجال ضحية ... هللى أعمالهم فى الوطن ديمة حية
رجال ليهم قيمة ... وتاريخهم في الوطن يقعد ديمة
بأرواحهم ضحوا شداد عزيمة ... هاذى حقايق موش غير دعية
لاخافهم طليان لاتنظيمة ... نقلوا على موت الجهاد النية

فقدنا رجال كثيرة ... العشرة شهر ناهم تريس الغيرة
وعشرة عماهم من خيار الخيرة ... علاش يقعدوا في غفلت نسامنية
ند يرولهم حفلة أشهار كبيرة ... العشرين يدوا باينين سوية

العشرين مايوهانوا ... نبوا نبشروهم يطلعوا وييانوا
داروا شرف لوطنهم ماخانوا ... ولا قصدهم في حكم لا مالية
ما قصّروا في ضرب العدو لاوانوا ... خاضوا معارك ياسرة حربية
يامستمع الاجداد هكي كانوا ... ليهم علينه حق موش شوية

نخلدوا ذكراهم ... العشرين لازم نشهروه أسماهم
نخطوا الاسامى كل حد يقراهم ... في نصب عالى فوق يشعل ضية
ومانتنسوا لاوطنهم ينساهم ... لين ثارهم يخلص من الفاشية

فيه نكتبوا أساميهم ... باش كل حد يفهم ويعلم بيهم
للأ سف كنا غافلين عليهم ... تواريخ كانت في خفا مخفية
أنا قبل ماعندى درايابيهم ... لو ذاك راني قلت في المرثيه

شوق مافقدنه من رجال ضحية ... هللى أفعالهم في الوطن ديمة حية

* * *

اما القصيدة الثانية فيقول الشاعر احمد القحيص

اول بدا سميت بأسم الله ... بيه نستعين ونلعن الشيطان
وثانى صلاتى على رسول الله ... شفيع أمته من الحشر فى النيران
صلوا عليه اليا سمعتوا أسماه ... نبينا محمد خاتم النبيان
وأصغوا كلامي وأفهموا معناه ... نبنقول ما جايب على الزنتان
رجال جاهدوا حق في سبيل الله ... لا طلينوا لاهم من الخيان
هنا وين بشكة خييوا مسعاه ... في قلب الحمادة واسعة الاركان
قلع حتى اللى ماتله خلاه ... في دعكة الدحنوس والعميان
عطوه درس قاسي دوم ما ينساه ... عددهم شوية والقلوب رزان
تحارف أنماره وملعبه مشناه ... في قلب الصحاري طاح في فرسان
هرب لي ودي الخيل ما نجاه ... محلة تراقب فيه لين أطمان
وهجموا عليه هوم يامقواه ... التينسيتي قتلوه في الميدان
لا بلغباشي ينقدة لا جاه ... قلع هرب خللى حتى الحصان
عابي على المطلينين عماه ... شوي لانفع ماجور لاقبطان
حياة والدى يحكي وجاب نباه ... حاضر الدعكة وأنجرح جرحان
وناس ياسرة مستشهدين احداه ... رفقاه يعرفهم فلان فلان
حكالي على الهجوم من مبداه ... في الفجر جيناهتم عما الاذان
في مرسيط جاب مطلينين وجاه ... قلال النسب ما عندهمش ايمان

فيه أنهزم ونـال غـير عـزاه — من ثلاث ميـة أكلـهم زنتـان
وزاد في المكيمن فلقـوا قربّاه — وريقة بدا يابس مشـى عطشـان
تموغست في القريـات دمرنـاه — جيفـاه قعـدت مالهـا عـدان
وغرب قـدا العصـمة وتبعنـاه — حصلناه حصلة ذيب في جـديان
وفي دعكـة القطـار حاصـرناه — فرت جيوشة خشـت الكيفـان
وجاء للـوخيم وشـعبنا لاقـاه — ناوي الجبل نـدم علـى الجيـان
المـرار منـا شـاربة عـداه — في يـوم جنذوبـة قـدا غريـان
في علاق تفتاف الرصاص كـلاه — قعدت جنـايزهم تقـول أشـنان
ومن علم رومـا نتلـه واطـاه — هللى مثلث فيـه ثـلاث ألـوان
في دعكـة الكـردون واطينـاه — وفي أنهـار محروقـة قـدا فـزان
وفي قـاهرة برجلنـا دسـناه — وفي يوم بـوغرة مشـى طشـان
الملا ليح مدعكهم نجيـب أسمـاه — أنجرح بن سويسي وشد في الميدان
ومـا نجمـتش البانـدة تـدماه — مجـروح يضـرب لـزهم لـزان
سار يوم فى مزم شـهير أسمـاه — قعدوا العساكر دمهـم غـدران
وهللى بقى منهم عطـا بقفـاه — خذوا متعته وقلع مشـى حفيـان
ومازال يشـبح شـبرهم يـاراه — في بـرهم مـن درج الى فـزان
شرقا على فرنـان مقلـب مـاه — وغربا حدايدهم علـى الرجبـان
وبحرا حـدود الشـط تبتلقـاء — من تركيا ومـن قبلـها الاسبان
محرم علـى الغـزاة مـا تهـواه — اللود والحمادة وجيهـة الوديـان
جايب أبانـد ياسـرات وجـاه — فيهم حـبش ويهـود والخيـان
يحساب لقمـة صـايغة يلقـاه — لقاه نـار حمـرة دايـرة بركـان

الطليان من داير ألـذ أعـداه — في ليبيـا الزنتـان والرجبـان
وجميع خوتنا والصـف مانسـاه — غنيمي أسباعي شـيوخنا فرسـان
عويتي قـديري أسمنـا بي أسمـاه — خوت أصل هللي بذكرهم تطمان
قـواليش بـاين فعلـهم ريناه — في نمـار زارت بينـوا البرهـان
جهاد بني وليد نخلد وا ذ كـراه — خوت جد مايغيبوا على الاذهـان
نمار معركة د ينار مـن يخفـاه — فيه نصر ورفلـة علـى الطليـان
عدونا عدوهم يكرهـوه أسمـاه — هذه حقائق مش كـلام ألسـان
اللـي يجهلـه تاريخنـا يقـراه — في جميع المعارك نفزعـوا فزعـان
قهر العـدو والنصـر يامبـهاه — وفي كـل جـامع يرتفـع الاذان
في كـل المواقـع أسمنـا تلقـاه — من الشط الى غدامس الى البطنـان
بـر وبحـر بجهادنـا خضـناه — ثلاثين عـام صـراع في الطليـان
الطليان جاء للأسـد في مربـاه — مغـرور غـالط غـاره شـيطان
شجيع شعبنا بالأسـد وصـفناه — كـبير وصـغير وذر والنسـوان
لقحيص عنيـة هـالكلام نـواه — يابيـه يقعـد دوم في الأذهـان
ولايحيد زنتـاني علـى مبـداه — ونأبيـه يسـجل عـن النسـيان
وكل جيل يحدث يفهمه يقـراه — وأبقـوا بخـير وتم في الأمـان
حافظ على دينك وعرضك صونة — وأبعد على فعل الخطـأ وفنونـة
قـيم الخمسـة — وخليك من كثر الخـبر والهمسـة
مرات تصبح والمسـاء ماتمسـة — وتلقى الصحيفة باللّبز مشـحونة
وراك يوم زى النار تحرق شمسـة — وتبـدا الخفيـة باينـة معلونـة

مـــا تنخـــدع فى دينـــك   ولا ادير في الدنيا افعــال تشـينك
من الفانية وتي عـوين رحيلـك   راهي جهـنم حـارة وسـخونة
ولايفك منها مـال لا واشـينك   الا من خـزن الخـير في مخزونـة
وراجع وفتش متعتك وخزينـك   كل نفس راهي بعملـها مرهونـة
عليك يكتبوا الاملاك طول سنينك   حسنه وسيه في السجل مصـيونة

دار الفنـــــاء غـــــداره   أذهَب بنـادم في جميـع مسـاره
تخليه حتى يعتـدي عـل جـاره   ويغّريه هللـي ذكرتـه ملعونـة
يدور بيه ويحارف عليـه أشـوار   هحتى يتوب تبدا توبتـه مخنونـة
يجيه يوم ويندّم علـى اللـي داره   ويبدا أيلاجي شـايلات عيونـة

يجهــل حقــوق الجـيرة   وللجار على جاره حقوق كـثيرة
جار وقريبك بحّله علـى غـيرة   عنده ثلاث حقوق دافـع دونـة
وجارك ومسلم واجبك تقـديرة   راهـم حقوقـه زوز راك تهونـة
وفيه جار كافر ليه حـق الجـيرة   في دينـه يحـرم عليـك تخونـة

كـــل مـــن محـــافظ دينـــه   لا خان لا سـجل أو زار رزينـة
هذا نجح عمله ودار ولا بيمينـه   لنفسه خدم والله جـاي في عونـة

* * *

قصيدة ألاجواد

هذه قصيدة للشاعر الشاب إكريم أبوالقاسم الوحيشي

كلامى على ألا جواد وأهل الجود   اللي ذكرهم طيـب عـبير ورود
كلامــي علــى الاجــواد   أهل الكـرم والظيـف والميعـاد
اللي صيتهم سارى في كل بـلاد   مشاهير عـاطيهم اللـي معبـود
وكان جيتهم يجيبوا خيار الـزاد   بتواضع يقولوا الجود من الموجـود
كلامــي علــى أهــل الجــودة   اللي ذكرهم طيب وعـبير وروده
والاجواد وقت الحر زي الـبرودة   وهما الدفاء سـاعة يسـير بـرود
والاجواد كيف السيل فيض جودا   عم على الوطاء نبت خضار وعود
كلامــي علــى أهــل الضـيفة   الإكرام عـاطيهم العـالي صـيفه
صفاوة النية والأفعـال شـريفة   يعزوك لاعل مصـلحة لا جهـود
والاجواد رفقتهم نفوس عفيفـة   ولاكـرمهم ينبـاع بالمقصـود
قـــولي علـــى الاكـــرام   الاجواد راهم فعل مـوش كـلام
والاجــواد عــاطيهم الله مقـام   في الناس ديمه وجاه مش مـردود
حيين على‌طول المـدى والايـام   حتى كان غاطيهم تـراب لحـود
كلامى علـى أهـل الظـائف   اللي يكرموا في الظيف واللي خـايف
وفيما مضى سكنوا نجوع طفائف   من البعد تاراهـا كمـا العنقـود
والاجواد ديمه في الزمان خلائف   وفي كل دهر تلقى فعلهم محمـود
والاجــواد كيــف اليســر   يجلو على الخاطر هـموم وعسـر

والاجواد ديما للمحبة جسر … محال تلقى في الاكرام حسود
والاجواد كيف الجبر بعد الكسر … الله لاتغيبهم على الوجود
الاجواد زي الصباح … ساعة ظهور الفجر خطا لاح
وساعة بزوغ الشمس في السماح … تدير في شعاع بيان زي العمود
والاجواد اللي قاصرين جناح … عليهم ايغطوا خيرهم ممدود
الاجواد كيف النهر … اعجوبة الدنيا في كل يوم وشهر
حية على طول المدى والدهر … قصت جبال وبر دار غرود
هدية معمر كيف ورد الزهر … لشعبا العظيم اللي الكل جنود
الاجواد راهم هلنا … اللي يسكنوا في ريفنا وجبلنا
وفي مدننا وجنوبا وساحلنا … من غربنا وشرق ليا الحدود
ومهما كتبنا وشعرنا سجلنا … شوية في حق افعالهم محدود

* * *

هذه لمحات شعرية متواضعة عن بلدة الزنتان فى الجهاد من أجل الدين والوطن

الشاعر محمد عبد القادر الازهرى

هل تلاشي فى غمرة النسيان … ما أقض مضاجع الطليان
من هزائم منكرات لقوها … هل عفا رسمها من الادهان
وحديث معارك ضاريات … خاضها الصيد من بنى الزنتان
صفحات مضيئة حافلات … ببطولات نخبة شجعان
فرجال الزنتان قاموا بدور … فى لقاء العدو يوم الهانى
يوم كال الابطال أوفر كيل … لجيوش الغزاة بالشطان

* * *

معركة سبها سنة ١٩١٤

كان نصرا على العدو مبينا … اوردته الاخبار من فزان
فى صراع جرى فى قلعة سبها … حل فيها الدمار بالطليان
سالم ورفاقه حرروها … بسلاح الايمان عند الآذان
قبل سبعين حجة بعد ست … باء اهل الصليب بالخذلان
واستحال الغرور ياسا قريرا … وانتهى زهوهم الى احزان
هلل الشعب لانتكاسة روما … وانهيار جحافل الطغيان
خاب تقديرهم مرارا ولولا … الف لولا لما استقروا ثوان

* * *

معركة فروثن سنة ١٩١٥

فى فروثن كان يوم عصيب   من المعتدون بالخسران
فى التحام مروع ورهيب   كتب الفوز فيه للزنتان
ردد الوحش والطيور صداه   وشدت بروائع الالحان
وتلى الانتصار حفل بهيج   وتوالت بشائر بالتهانى
عمت الفرحة البلاد جميعا   واعترى الخوف حاملى الصلبان
ويراع التاريخ دبج فصلا   فى سجل مفاخر الاوطان
وكست تلكم البقاع دماء   قانيات الالوان كالارجوان
من نجيع مقدس وذكىً   وخبيث من ((انجل وجوان))
لعن الله والملائك قوما   يصنعون الشقاء للانسان
وشعار المحتل سلب حقوق   واعتبار الانسان كالحيوان

* * *

معركة الكردون بالزنتان سنة ١٩١٥

والتحام الكردون سجل فوزا   للمغاوير من بنى الزنتان
وابى كان واحدا من خيار   لهم الاعتبار فى الميزان
كم رووا عن جهادهم من حديث   نقلته قوافل الركبان
ونضال للمعتدين مرير   ترجمته وقائع الميدان
قبل سبع من العقود صدق   ونعيما مؤبدا غير فان
قبل سبع من العقود وخمس   عصف الهول فيه بالطليان
داهم الشعب قصرهم وابادوا   فيلقا هاربا من القطعان

فى السهول وفى التلال تراهم   طعمة للوحوش والغربان
فغدت ارضنا مقابر غصت   بالوف من امة الطغيان
ما بقى فى الكردون غير سبايا   هكذا قد روى شهود عيان
وحصى الارض والجبال الرواسى   ونجوم السماء والفرقدان
كلهن دلائل شاهدات   بالفدا لعشائر الزنتان
بذلوا النفس والنفيس جهادا   فى سبيل الرحمن والاوطان
واستطابوا الحرمان جوعا وعريا   للدفاع عن اشرف الاديان
قدموا التضحيات من اجل عرض   ولصون كرامة الانسان
وانباع الاسلاف زهدا وتقوى   وشفافية وطهر جنان

* * *

معركة العميان ١٩٢٤ م

انما الشهداء رمز فخار   للشعوب وعار كل جبان
ومن المعجزات دحر الوف   قلة من اوائل الفرسان
اربعون من الكماة اسود   جلهم من قبيلة العميان
مالهم من مؤونة وعتاد   غير ما فى القلوب من ايمان
فرقوا اجمعهم بامضى سلاح   هو فى الحرب عدة شجعان
كان هذا اللقاء من قبل ست سنوات   بعد ستين فى حساب الزمان
فى صباح قد كان شؤما عليهم   هو والليل فى الدجى توأمان
انه الدين والارادة والصبر   وصدق الولاء للاوطان
هذه للهيجاء افضل نصر   فى يد الجند من قديم الزمان

وتداعت صفوفهم وتولوا   مدبرين فى ذلة وهوان
فى الحمادة الحمراء تاهوا حيارى   يطلبون النجاة كالفئران
لادليل ولا عوالم تهدى   غير صوت الرياح والذؤبان
وبلاد الزنتان فيها تراث   خلدوا ذكرها مدى الازمان
بجهاد للذود عن حرمات   واستباق للبر والاحسان
وعديد من الملاحم خاضوا   صبروا صدقا غمار الطعان
فى زمان مضى لهم قد تجلى   جيده بقلائد من جمان
فى الشمال وفى الجنوب تنادوا   بجهاد الطغاة دون توان
وانتصار الوخيم شاهداً فخر   والعجيلات مثله والسوانى
ويزين تاريخها عشرات   من بيوت العرفان والفرقان
علماء كانوا مشاعل تهدى   فى الدياجير كل قاص ودان
وسواهم ذووا سخاء وجود   مستفيض كالوابل الهتان
ومن الفقهاء جم غفير   وقضاة وحا ملوا القرآن
ومن الخير يجين جمع وفير   ودكاترة وعلم لسان
جدنا الازهرى بحر علوم   وارتوى من ينبوعه الاحمدان
وهما البدوى سرابيه   وابن ادريس وهما سيان
والاخير مرابطا بالسوانى   لقى الله مطمئن الجنان
فليفز شيخان باعلى الامانى   فى امان بجنة الرضوان
وخليل اخوهما غيل ظلما   وابنه برصاصة من جبان
ووردا منهل الشهادة صبحا   فسلام عليهما فى الجنان
ومحمد الامام امام   ذائع صيته عظيم الشان

وسعيد شيخ جليل حباه ربه   فى النفوس اسمى مكان
وكثيرون فى البلاد سواهم   غاب عنى ذكرهم بالعيان
هؤلاء الاعلام اسطر نور   فى سجل التاريخ للزنتان
هؤلاء كواكب لامعات   ابد الدهر فى جبين الزمان
فإليهم تحية سلام   مادجى الليل او بدا القمران
وعليهم من ربنا رحمات   ما اناب المنيب للديان
وسقت تربة ينامون فيها   هانئين سحائب الغفران
وحذار إن لا تشيد بدور   في الجهاد لاخوة جيران
قارعوا الخصم باصطبار وعزم   كالحديد وقوة الايمان
إن تعرج على الديار فحىّ   ذكريات ببلدة الرجبان
لكرام غر ميامين ماتوا   شهداء في ساحة الميدان
داعبتهم ومن ثوى فى الجبال   من حصاد مجازر العدوان
نسمات شذية عطرات   من رياض الفردوس كل اوان
ودعاء للمؤمنين بعهد   مشرق النور راسخ البنيان
وانتصار على اليهود مبين   وانهيار للكفر والطغيان
وعلى خاتم الرسالات طه   صلوات تترى مدى الازمان
وعلى آله وصحب كرام   وعلى كل امة القرآن

* * *

— ٦ —

ليبيا تبحث عن نفسها

ما بعد الحكم الايطالي ... الادارة الانجلزية

الاحزاب ... دور الامم المتحدة

الاستقلال .

قال تعالي في كتابه العزيز :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾

صدق الله العظيم

الزمر (٩)

وقالوا (نحن اناس لا توسط عند نا لنا الصدر دون العالمين او القبر...)

وقالوا (أكاذيب الاقوياء لها عضلات وانياب وبذلك تقتل الحقيقة وتنهش الشرفاء...)

وقال مصعب بن عبد الله الزبير ...

فلست بمكفر احدا يصلي ولم اجرمكم إن تكفروني

وكنا اخـــوة نرمـــى جميعا فنرمى كل مرتاب ظنين

فاوشك إن يخر عماد بيت وينقطع القرين عن القرين

6

الباب

السادس

ليبيـــا

تبحث عن نفسها

الفصل السادس

حقيقة لولا رحمة الله وجهاد المجاهدين فى سبيله كاد إن ينقطع القرين عن القرين، والبحث عن الذات يعنى ان هناك املا فى اعادة البناء، انما وقفة مع النفس للاعـــداد والاستعداد والمراجعة، وان هناك ما يمكن إن يتلافى ما فات وان يصلح ما فسد بحيث يمكن اللحاق بمن فات او تقدم وان بعد وقت ... والذى يبحث لابد ان يتبين الطريق، وكان طريق ليبيا مظلما فى وقت ما، ولكن الآمال كانت عراضا، والبلد الذى قارع اهله قوة باغية طاغية حشدت كل ما صنع من سلاح متقدم فى اوربا لقهرهم لايمكن ان ينتهى، وقد خرجت ايطاليا خائبة خاسرة وصارت هى نفسها تبحث عن طريـــق جديد، ربما امكنها ان تكفر به عن اعمال قادتها فى مرحلة بالغة الســـوء والهمجيـــة، ولعله ينطبق عليها القول (كانوا صغارا فرضعوا حراما، وعندما بلغوا الفطام طاب لهم الحرام، فكان معاشهم ليلا ونهارا دما ولحما، سمعا وبصرا، البصيرة فى القلب والضمير، وكانت القلوب قد انغلقت والضمائر فد ماتت، تلك هى فترة الوجود الايطـــالى فى ليبيا غازيا ومستعمرا) كانت ليبيا قد دمرت تماما حتى وصلت ما دون الصفر فى ذلك العهد الايطالى البغيض، على ان اهلها فى الغالب لم يركوا ولاطأطأوا الروس بعد نضال دام اكثر من عقدين من الزمن، فلقد اراد الايطاليون ان يكون كل شى ايطاليا، اللغة، التعليم، السكان، وربما حتى الارض، ولذلك الغوا او حاولوا ان يلغوا كل شئ اسمـــه

(وطن) وانسان اسمه(عربى) صاحب البلاد، وارادوا ان تكون اللغة العربية محنطـــة فى متاحف والدين مركون فى زاوية النسيان، وهم كما اعتقدوا يجعلون ليبيـــا الشـــاطئ الرابع لإيطاليا اذا كانت المقاومة المسلحة قد انتهت فى ٢٤ يناير ١٩٣٢م كما اعلنت ايطاليا ،واذا كانت فعلا المقاومة قد انتهت فان ايطاليا لم تهنأ كثيرا فى ليبيـــا، فقــد انفجرت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ م وانحازت ايطاليا الى جانب (المحور) الذى كانت اطرافه الثلاثة (المانيا وايطاليا فى البداية) ثم اليابان، ولقد انهت فعـــلا المقاومـــة المسلحة فى ليبيا ولكن شكلا اخر من المقاومة قد استمرت مثمثلة فى (اولا المقاومـــة السلبية لأن المواطن الليى غالبا تجاهل المسيطر الجديد او المحتل، وانصـــرف الى دائـــرة شئونه الخاصة بعيدا عن هذا المستعمر وثانيا كانت المقاومة بالكلمة المقالة او المكتوبة فقد شن الادباء والكتاب الليبيون الذين هاجروا الى مختلف البلدان حمـــلات نشـــطة للتعريف بالوضع فى ليبيا وبربرية الادارة الايطالية وحق الليبيين بالاستقلال والحريـــة) ولقد تأ سست جمعيات وروابط فى كل مكان لتوحيد كلمة الليبيين ورعاية مصالحهم وتشكيل وفود للطواف حيث ما امكن ذلك فى بلدان العالم داعين ذلك العـــالم لان يفتح عينيه على مأساة الشعب الليى وهمجية الحكم الايطالى، وكانت تلك المقاومـــة مؤثرة وفعالة وضعت اللبنة الاولى بما حدث فيما بعد اذ سرعان ما ادرجت قضية ليبيا على جدول أعمال الجمعية العامة للامم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية بسبب جهود الليبين ومساندة الدول العربية والاسلامية، وفى هذا الشان يقول الاستاذ عبد الـــرحمن عزام :

(جانى الرد من لندن كان يقول إن الحكومة البريطانية قد اقترحت على مجلـــس وكلاء خارجية الدول الكبرى وكان منعقدا فى باريس ايفاد لجنة تحقيـــق الى ليبيـــا للوقوف علي رأي الشعب الليى حول مستقبل بلاده، ومع هذا الرد انتهزت فرصـــة

انعقاد مجلس جامعة الدول العربية فى بلوذان فى ســـوريا فى شـــهر يوليـــو ١٩٤٦ م وعرضت على ممثلى الدول العربية اقتراحا بالابراق فورا الى وزراء خارجية الـــدول الكبرى بالمطالبة بالاشتراك بالامانة العامة للجامعة العربية فى اعمال هذه اللجنة، ووافق مجلس الجامعة على مشروع برقية كنت اعددتها للابراق بها الي وزارة خارجية الدول الكبرى تلك ... انتهى)

ومن الجذير بالملاحظة إن الاستاذ عبد الرحمن عزام كان قد قدم مذكرة وافية الى وزراء خارجية الدول العربية بعيد انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى يشـــرح فيها القضية الليبية وموقف الشعب الليى وعلى اثر تلك المذكرة طالب بضرورة ارسال لجنة من الامم المتحدة لتقصى الحقائق فى ليبيا واستصدر عدة قرارات من الدول العربية بهذا الخصوص كما اجرى العديد من الاتصالات مع الدول الاسلامية من اجـــل ان تقف موقف المؤيد للشعب الليى فى قضيته العادلة، ويتحدث فى مذكراته عن الموقف الليى الداخلى اذ كانت الاحزاب الطرابلسية قد اختلفت حول ما يجب اتخاذه حيث كان هناك من يخشى الفشل اذا ما تمت المطالبة بالاستقلال الكامل ودون وصاية مـــن احد، وهناك من طالب بخروج ايطاليا فقط بمعنى إن بريطانيا يجب إن تبقـــى اذ ربمـــا يكون وجودها مساعدا للشعب الليى والقضية الليبية، بمعنى استبدال اجنبى باجنبى اخر او مستعمر اخر وكان فى هذا ايضا دورا للجامعة العربية وللدول الاســـلامية ولعبـــد الرحمن عزام، وهو يقول في هذا الشأن :

(وفجأة انهالت البرقيات والشكاوى على الامانة العامة للجامعة العربية من الاحزاب الطرابلسية، كانت تشكو من زيادة هجرة الايطاليين الى ليبيا بعد الحرب العالميـــة الثانيـــة فادركت ما كانت تهدف اليه ايطاليا، كانت تريد إن تضع الدول الكبرى امام الإمر الواقع عندما تصل لجنة التحقيق الدولية الى ليبيا فتجد إن ايطاليا قد عادت بنفودها الى ليبيـــا فى

صورة هذا العدد الهائل من المهاجرين الذين اخذوا فى التوافد بمختلف الطرق والاساليب الى ليبيا، ولم انتظر وبادرت باسم الامانة العامة للجامعة العربية بارسال مذكرة الي السفير البريطانى فى القاهرة اطلب اليه إن يلفت نظر حكومته الى خطورة هذه الهجرة المنظمة التى تقوم بها الحكومة الايطالية، وجاء الرد بعد عدة ايام وكان يتضمن وعداً من الحكومة البريطانية باتخاذ جميع الوسائل الممكنة لوقف هذه الهجرة الايطالية، كنت اريد توحيد الصفوف وجمع كلمة الجميع وتنسيق الجهود واهم ما فى ذلك تهيئة الراى العام الليبى لاستقبال لجنة التحقيق براى موحد فى طلب الاستقلال والوحدة وكان ان اتصلت بجميع الاحزاب والهيئات السياسية فى ليبيا واقتضى الامر استدعاء بعض زعماء البلاد الى القاهرة حيث تم توحيد وجهات النظر او تقريبها فيما بينهم، وقد استطعت اثناء اجتماعاتى مع ... ء الزعماء الليبيين ازالة الكثير من اسباب الخلافات بينهم لاننا كنا نريد مواجهة لجنة ... حقيق براى واحد، ولضمان هذا الهدف عملت فى شهر مارس سنة ١٩٤٨ م على تشكيل هيئة تحرير ليبيا من ممثلين عن جميع الاحزاب السياسية والهيئات الليبية، وكان إن تم تكوينها من : (بشير بك السعداوى واحمد بك السويحلى وجود بك ذكرى والطاهر بك المريض ومنصور بك قداره ومحمود بك المنتصر) وكان مجلس جامعة الدول العربية قبل ذلك قد اتخذ قرارا تاريخيا بشان ليبيا ينص على :

١ يصر المجلس على قراره السابق الخاص بوحدة هذه البلاد واستقلالها .

٢ ينوط بالامانة العامة بذل المساعى لإشراك الجامعة العربية او بعض الدول العربية فى كل تحقيق او استفتاء يجرى فى البلاد وتحديد وضعها السياسى .

٣ يكلف الامانة العامة بمراقبة حالة البلاد من ناحية خطر المجاعة الذى يتهددها حتى اذا ما تحرجت الظروف اتصلت الامانة العامة بالدول العربية بقصد اجراء ما يلزم فى هذا الشأن ... انتهى

ذلك كان موقف الجامعة العربية وهو من المواقف التى لابد إن يقدرها الشعب الليبى للجامعة العربية وامينها العام الاستاذ عبد الرحمن عزام لا ان ينكر دورها ودور امينها بل يتهمه بالعمالة كما فعل ظلما السيد القشاط !!

وكما هو معروف فقد انتهت الحرب العالمية الثانية التى شارك فيها الليبيون جنبا الى جنب مع الجيش البريطانى، وكانت ليبيا مسرحا لمعارك طاحنة بين الحلفاء ودول المحور، وبصرف النظر عن أى اتفاقيات سرية (إن وجدت) بين بريطانيا واطراف ليبية (ربما) فان الليبيين قد ساهموا فى الحرب إلى جانب الحلفاء وقتل منهم الكثير، وقدمت ليبيا تضحيات كثيرة الا إن الحرب انتهت لتجد البلاد انها ساحة للقوات الاجنبية، وكانت تريد التخلص من الاستعمار الايطالى فصارت تحت وطأة وجود بريطانى فرنسى امريكى، وكان الوجود عسكريا وتلك مشكلة جديدة، وقد عرف عن البريطانيين الدهاء والتسويف والمرواغة ويشير عبد الرحمن عزام من طرف خفى غير مباشر الى نوايا الانجليز فيقول : (كانت المؤامرة الدولية على شعب ليبيا مازالت مستمرة، واستطعت ان اعرف من اتصالاتى التى لم تتوقف لحظة واحدة مع المسؤولين فى حكومات الدول الكبرى ان هناك اصرار على ابقاء ليبيا تحت النفوذ الاجنبي، وارادت بريطانيا إن تفرض الامر الواقع فعقدت مع ايطالية الاتفاقية التى عرفت باسم اتفاقية (بيفن سفورزا) وكانت اتفاقية تعترف فيها بريطانيا بالمصالح الايطاليا فى اقليم طرابلس الغرب وفى نفس الوقت يعترف الايطاليون بمصالح بريطانيا فى اقليم برقة، وتكشفت مع هذه الاتفاقية بعض ابعاد المؤامرة التى كانت الدول الكبرى تحيكها ضد ليبيا، وكانت تهدف الىتقسيم الاراضى الليبية بحيث يظل اقليم برقة تحت سيطرة الانجليز بينما يبقى اقليم فزان تحت سيطرة الفرنسيين وان تعود ايطاليا للسيطرة على

اقليم طرابلس الغرب وقد ارادت بريطانيا باتفاقها مع ايطاليا إن تضمن مشاركة الايطاليين فى تنفيذ المؤامرة الدولية ...) انتهي [1]

والواقع إن الجامعة العربية فى ذلك الوقت قد لعبت دورا بارزا فى المحافظة على مصالح ليبيا وافشال المخططات الاستعمارية الايطالية الفرنسية البريطانية على الاقل من خلال الولايات المتحدة الامريكية وان كانت المخططات الامريكية غير واضحة للعيان فى ذلك الوقت الا انه من المؤكد إن الولايات المتحدة الامريكية وقد خرجت من الحرب العالمية الثانية كاقوى قوة عالمية اقتصاديا وعسكريا كانت تخطط لانهاء ما عرف فيما بعد (بالاستعمار القديم) لتحل محله، ونعرف جميعا إن الدول الاوربية سواء اكانت منتصرة او مهزومة فى تلك الحرب قد خرجت منهوكة القوى شبه مفلسة، وكانت تحتاج المساعدة الامريكية، وكانت امريكا تلوح بمشروع اعادة بناء اوربا الذى عرف ايضا فيما بعد (بمشروع مارشال) ومن هنا فان السيد عبد الرحمن عزام كما يقول قد استعان بامريكا مستعملا قنوات الجامعة العربية، بالاضافة الى تمكنه من اقناع الملوك والرؤساء العرب باتخاذ قرارات هامة بشأن القضية الليبية، ومواقف بعض الحكام العرب فى ذلك الوقت لا يمكن إن تكون متعارضة مع مواقف الولايات المتحدة الامريكية وكانت امريكا تلوح بمشروع اعادة بناء اوربا الذى عرف ايضا بعد (بمشروع الولايات المتحدة الامريكية) فاذا كانت اوربا محتاجة للمساعدات الامريكية فكيف يكون الحال بالنسبة لدول فقيرة وقد ظهرت حديثا على الساحة الدولية ؟ هنا يقول السيد عبد الرحمن عزام :

١ المذكرات السرية ، عبد الرحمن ، عزام جميل عارف ، القاهرة .

(وانتهزت فرصة اجتماع الملوك والرؤساء العرب فى انشاص يومى ٢٨ ت ٢٩ مايو لعرض تفاصيل المشكلة الليبية امامهم فى هذا الاجتماع، ودارت مشاورات بين الملوك والرؤساء العرب حول تطورات القضية الليبية وقد اسعدنى ان تضمن البيان التاريخى الذى اذيع بعد المؤتمر فقرة عن ليبيا تقول (ثم تناولوا بالبحث مسألة طرابلس وبرقة وفزان ووجدوا انفسهم متفقين تمام الاتفاق على ان استقلال هذه البلاد امر طبيعى وعادل، وان حكوماتهم متفقة على ضرورته لأمن مصر والبلاد العربية وان على جامعة الدول العربية التى قضى ميثاقها برعاية شئون العرب ومصالحهم إن تمهد لهذا الاستقلال، وان تتعهد فى بادئ الامر بالرعاية اللازمة لظهور حكومة عربية فى تلك البلاد ومعاونتها ماديا ومعنويا حتى تستطيع النهوض بمسؤوليتها داخليا وخارجيا كعضو من اعضاء الجامعة العربية)

كان هذا هو قرار الملوك والرؤساء العرب فى مؤتمر انشاص ومرت عدة ايام ثم جاءت بعض التقارير التى توحى بان خلافا قد نشب بين وزراء خارجية الدول الكبرى حول القضية الليبية، وكان علينا إن نسعى من جديد بين الكواليس لضمان الحق العربى فى الاستقلال ووحدة ليبيا .. انتهى)

ومن المعروف من خلال مداولات المندوبين العرب فى اجتماعات الجامعة العربية إن الخلاف لم يكن بين وزراء خارجية الدول الكبرى وانما ايضا بين الدول العربية رغم كل الجهود التى كان يبذلها الامين العام للجامعة وهو العارف بموقف المجاهدين العرب الليبين، والحقيقة إن الخلاف لم يكن حول استقلال ليبيا ووحدة اراضيها وحق شعبها فى الحرية والاستقلال ولا حول ارادة الولايات المتحدة الامريكية ولا حتى بريطانيا وانما كان الخلاف يتصل بايطاليا ،

ذلك إن هناك دولا عربية كانت قد ألزمت باعلان الحرب على ايطاليا اثناء الحرب العالمية الثانية كحالة العراق، وكان العراق واحدة من الدول التى تصر على اتخاذ قرارات ملزمة للدول العربية بشأن العلاقات مع ايطاليا وربطها بموقف هذه الاخيرة من مصير الشعب الليبى، ويقول السيد عبد الرحمن عزام فى هذا الشأن:(كانت العراق تعرف خفايا المؤامرة على شعب ليبيا وقد ارادت من مجلس الجامعة العربية إن يتخذ هذا القرار حتى تجد مبرراً لموقفها تجاه الحكومة البريطانية وكان ان اصدر مجلس الجامعة العربية بعد مناقشة المذكرة العراقية قرارا يقضى بضرورة النص على اعتراف ايطاليا باستقلال ليبيا عند عقد الصلح بينها وبين العراق باعتبارها الدولة العربية الوحيدة التى اعلنت الحرب على ايطاليا، اما فيما يتعلق باستئناف الدول العربية لعلاقاتها مع ايطاليا فقد تقرر ان تبذل هذه الدول جهودا دبلوماسية للحصول على وعد صريح من الحكومة الايطالية ليس فقط بالتخلى عن ليبيا ولكن بمساعدة عرب ليبيا فى تحقيق مطالبهم القومية فى الوحدة والاستقلال، وعندما عقدت الجمعية العمومية للامم المتحدة اجتماعها لمناقشة قضية ليبيا قمت بالاتفاق مع وزراء خارجية الدول العربية ووزارة الخارجية المصرية بشكل خاص بايفاد و وفد من ممثلى الشعب الليبى وهيئة تحرير ليبيا الى الامم المتحدة ولعب هذا الوفد الذى دفعت القاهرة جميع نفقاته دورا هاما فى الاتصالات مع الوفود المختلفة، وكانت المفاجاة عندما تكتلت دول العالم ضد هذا الاتفاق وحطمت احلام ايطاليا مع رفض الجمعية العمومية للامم المتحدة إن تعود ايطاليا الى اقليم طرابلس، وهنا يؤسفنى ان اقرر ان الدول الكبرى عملت على اثارة البلبلة فى نفوس بعض الزعماء الليبيين، وكانت النتيجة ان فقد بعض الزعماء الليبيين ثقتهم فى تحقيق حقوق بلادهم الوطنية فى الوحدة والاستقلال وكان ان ارتفعت بعض الاصوات تنادى بان يقتصر جهاد الشعب الليبي على منع عودة

النفوذ الايطالى الى الاراضى الليبية بكل الوسائل، وتورط بعض هؤلاء الزعماء الليبين فى التفاهم مع المسؤلين الانجليز على بعض صور الحكم التى لا تخرج عن الحماية الاجنبية، وكان هؤلاء الزعماء الليبيون هم الذين طالبوا بابقاء النفوذ البريطانى، ولم ييأس الايطاليون عقب رفض الامم المتحدة عودة نفوذهم الى الاراضى الليبية وكان ان عملوا على استئناف اتصالاتهم معى سواء بصفتى الشخصية او بصفتى امينا عاما للجامعة العربية، ولقد عملت الحكومة الايطالية علي تقديم اقتراح رغبت إن يقدم الي الجمعية العامة للامم المتحدة هذا نصه :

١. توصى الجمعية العمومية للامم المتحدة بضرورة تهيئة الظروف لمنطقة طرابلس الغرب لتصبح باسرع وقت دولة مستقلة وتحقيقا لذلك يجب فى مدة ستة شهور اجراء انتخابات جمعية وطنية لتختار نوع الحكومة التى تمثل البلاد على ان تشرف على انتخابات هذه الجمعية لجنة دولية مكونة ممثلى من الولايات المتحدة انجلترا وفرنسا ومصر وايطاليا ومن مندوبين يمثلون سكان طرابلس، وتقوم هذه اللجنة بوضع النظم التشريعية التى تسير عليها الانتخابات، وفى اثناء فترة الانتقال يعهد مؤقتا بادارة البلاد لسلطات الاحتلال حتى يتسنى انشاء حكومة وطنية فيها .

٢. تدعو الجمعية العامة للامم امتحدة حكومة ايطاليا وحكومة طرابلس لعقد معاهدة بينهما لتدعيم العلاقات وتصفية المصالح المشتركة الخاصة برعايا ايطاليا المقيمين فى الاراضى العربية)

كان هذا هو الاقتراح الايطالى كما صاغه الايطليون انفسهم ويلاحظ إن ايطاليا بذلك تريد ان تدخل من الشباك اذ كانت قد اخرجت من الباب بحجة المحافظة على المصالح وهى التى لم تراع اية مصالح لأصحاب البلاد اثناء حربها ثم اثناء احتلالها، وكان لابد ان تبذل المساعى لتغيير هذا المشروع او افشاله قبل إن يقدم للامم المتحدة،

وهكذا وبجهود كل المخلصين للقضية العربية والامة العربية اصدرت الامم المتحدة قرارا تاريخيا فى ٢١ نوفمبر ١٩٤٩م هذا نصه :

(طبقا للفقرة الثالثة من الملحق ١١ من اتفاقية الصلح مع ايطاليا المبرمة فى عام ١٩٤٧م وهى التى وافقت الدول المختصة بمقتضاها على قبول توصيات الجمعية العمومية للامم المتحدة بشأن التصرف فى المستعمرات الايطالية السابقة واتخاذ التدابير لسريان مفعولها، وبعد الاطلاع على ما جاء فى تقرير لجنة التحقيق الرباعية وبعد سماع اقوال وآراء ممثلى الهيئات التى تمثل مختلف الاقسام الهامة فى الاقاليم المشار اليها ومراعاة لرغبات سكان تلك الاقاليم ولصالح الامن والسلام ووجهات نظر الحكومات المختصة والنصوص الخاصة بهذا الموضوع فى الميثاق، توصى الجمعية العامة للامم المتحدة بما يلى:

١. إن تصبح ليبيا التى تشمل طرابلس وبرقة دولة مستقلة وذات سيادة .
٢. إن يسرى هذا الاستقلال فى اقرب فرصة وعلى ان يكون ذلك فى تاريخ لا يتجاوز اول يناير ١٩٥٢م .
٣. إن يوضع دستورليبيا بما فيه شكل نظام الحكم والحكومة بواسطة ممثلى السكان فى طرابلس وبرقة وفزان الذين يجتمعون ويتشاورون فى هيئة جمعية وطنية .
٤. لأجل مساعدة اهالى ليبيا فى وضع الدستور وتأسيس حكومة مستقلة يوفد الى ليبيا مندوب هيئة الامم المتحدة تعينه الجمعية العامة وله مجلس يساعده ويرشده .
٥. يقدم مندوب هيئة الامم المتحدة بالتشاور مع المجلس تقريرا سنويا وغيره من التقارير الاخرى التى يرى اهميتها الى السكرتير العام ويضاف الى هذه التقارير اى مذكرة او وثيقة يرى مندوب هيئة الامم المتحدة او اى عضو من اعضاء المجلس رفعها الى هيئة الامم . .

٦. يتكون المجلس من عشرة اعضاء هم:
أ. ممثل تعينه كل حكومة من البلاد الآتية (مصر فرنسا ايطاليا باكستان المملكة المتحدة الولايات المتحدة)
ب. ممثل واحد من كل قسم من الاقسام الثلاثة وممثل واحد من الاقليات فى ليبيا.
٧. يعين مندوب هيئة الامم المتحدة المذكورين فى الفقرة (ب) بعد التشاور مع السلطات الادارية وممثل الحكومات المذكورة فى الفقرة السادسة ومع الشخصيات البارزة وممثلى الاحزاب السياسية والهيئات فى المناطق المختصة .
٨. يستشير المندوب اثناء تأدية وظيفته اعضاء مجلسه ويسترشد بهم وله إن يستنير بآراء اعضاء بذاتهم بالنسبة للمناطق او الموضوعات المختلفة .
٩. لمندوب هيئة الامم المتحدة ان يقدم إلى الجمعية العامة والمجلس الاقتصادى والاجتماعى والسكرتير العام اقتراحات عن التدابير التى يمكن إن تتخذها الامم المتحدة فى اثناء فترة الانتقال بخصوص المسائل الاقتصادية والاجتماعية فى ليبيا ..

كان هذا نص القرار وبذلك تكون الفرصة قد فاتت على المحاولات الايطالية وحتى الانجليزية الى حد ما، وتقرر استقلال ليبيا بعد جهود ومعاناة وتضحيات ولكن الحرية تستحق ربما اكثر من ذلك ... وصدق الذى قال :

هذى الحياة رواية لمشخص   فالليل ستر والنهار الملعب

الوثائق والملاحق

يا امة يسمو بها تاريخها ويسوقها نحو الضياع الواقع
يا امة تصغى الى اهوائها وتسد سمعا حين يصدع صادع
لا تخدعى .. بعض الوجوه قبيحة وتزينها للناظرين براقع
يا امتى عوتبت فيك وانما يخشى المعاتب أن يسوء الطالع

،، شاعرعراقى

١. محاضرة ألقيت بمركز جهاد الليبيين ردا على كتاب القشاط المعنون (الصحراء تشتعل)
٢. صورة طبق الاصل من رسالة قبائل (الزنتان والرجبان والتوارق والسبعه والغنائم والقديرات) الى الشيخ المجاهد عبد النبى بالخير أثر اعتقاله المجاهد احمد السنى
٣. خرائط معارك القبلة، والعميان، وودى الخيل .
٤. صور من حضارة روما التي طبقتها فى بلادنا منذ سنة ١٩١١م الى السنة ١٩٣٣م والى إن خرجت بعدانتهاء الحرب العالمية الثانية منكسرة خاسرة .
٥. صورة صفحة من كتاب الايطالى (انجلو دل بوكا) عن سقوط قارة سبها .
٦. صفحات من مجلة الوحدة العربية (٤ ٥ ٦ ٧) وما ذكره القشاط آنئذ عن المجاهد سالم بن عبد النبى.
٧. صورة حصن قارة سبها، رسم يدوى .

٨. دراسة الاستاذ الباحث فى مركز الجهاد مختار بن يونس عن مـذكرات (عـون سوف) التى زورها القشاط

٩. دراسة الاستاذ الباحث مصطفى هويدى عن كتاب خليفه بن عسكر الذى الفه القشاط والوثائق التى إستخدمها بصوره غير سليمه ذوات الارقام (٣٨٢/٣٧٣) وكيف أنه يأتى با قوال ليست فى الوثائق، وكنا قد ذكرنا فى كتابنـا(حقيقـة معارك الدفاع عن الجبل الغربى كيف ان السيد القشاط يكتب اسـفل الوثـائق ماليس فيها ..

- على.أثر صدور كتاب السيد القشاط الاخير والذى كـان بعنـوان(الصـحراء تشتغل) وكالعادة لم يترك هذا الرجل شاردة فى قلب الحقائق ولاواردة فى اعطاء الاشياء عكس معانيها الاوجاء بها مدعيا انها وقائع تاريخية، والى درجة انه قال عن رجال واحدة من القبائل المجاهدة والتى لعبت دورا بارزا فى الجهاد الوطنى الليبى إن هؤلاء الرجال عندما يدعون الى الجهاد يقولون انهم لابد إن يستشيروا نساءهم !! وكان لابد من الرد السريع على تلك المهاترات، ولهذا القيت محاضرة بمركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالى فى طرابلس بتاريخ (٢٦مايو١٩٩٩م) كـان عنوانهـا (وجهة نظر حول بعض الكتابات والاحداث التاريخية) هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها الاخوة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسعدنى أن نلتقى فى هذا المكان الذى تديره مؤسسة علمية نجّل اعمالها واسمهـا واهدافها، ونقدر عاليا المشرفين عليها والعاملين بها، نقدر جهودهم فى خدمة التاريخ الوطنى، واذا صدق هيجل عندما قال (إن التاريخ هو محكمة العقل) فنحن اذن هنا فى

رحاب محكمة العقل، ولكى يكون البحث فى التاريخ مسئولية وطنية وقومية وانسانية لا مناص من الاعتماد على الحقيقة المطلقة بداية ونهاية، ولذلك فان الباحث فى احداث التاريخ ليجعلها متواصلة متناسقة معبرة عن الواقع وذات وزن وتأثير يجب عليه إن لا يكون حاملا لقناعة مسبة بتفاهة او قية تلك الاحداث، وعليه إن يدرك ان حقيقتـها لابد ان تظهر خلال الايام المتتالية والاعمال المتتابعة والاحكام اللاحقـة، ذلـك ان الحقيقة لا تتوقف على عمل واحد بذاته ولا تنتهى عند شخص بعينه، مؤرخا أو كاتبا او حتى راويا، وكما يقولون فان كل عمل تاريخى ناقص بدون معرفة نتائجه، وهذه تتشعب وتتوالى الى ما لانهاية، وكل عمل فى التاريخ قابل للاستئناف للسبب ذاتـه، ولهذا ايها الاخوة اردت ان يكون بحثى اليوم بعنوان (وجهة نظر حول بعض الكتابات والاحداث التاريخية) منطلقا من قناعة تقول (إن الموضوعية واجب يفرضـه التـاريخ نفسه على الجميع ولابد ان (ميكيافيللى) كان يعنى ذلك عندما قال (إن الزمان خالق كل حقيقة)

ومن مؤكد انه كان يعنى بتعبير الزمان صيرورة البحث والتقصى والتنقيب، وذلك هو المعنى الذى عبر عنه (هيجل) بالقول، اننا لا نستوعب التاريخ الا عندما نستطيع إن نرى الحاضر بصورة عامة كنتيجة لتلك الوقائع التى تمثل حلقاتها الاساسـية اخـلاق واعمال المساركين فيها، ونقول نعم ان الحاضر لابد ان يكون نتيجة لتلك الوقائع، هنا نتساءل (كيف يكون الحاضر اذا ما زورت الوقائع ؟؟)

اسأل وانا اعرف تماما أن كثير من الناس عندما ينشغلون باثبات او نفى الحدث التاريخى او تغييره فانهم غالبا ما ينحرفون بذلك الحدث عن سياقه، وهنا تظهر اللحظة الموضوعية فى سلامة النية او القصد، وفى لحظة الحماس او الانفعـال تـبرز الفكـرة

المتأصلة فى نفوسهم وهى التى تمثل الدافع الاساسى فى الاتجاه الى لوى عنق احداث التاريخ، وهذا بالتاكيد افتقار الى الحياد، وزلل فى التقدير وهو ابتسار للكثير من المفاهيم، كما انه كذلك عائق منهجى كبير فى فهم او محاولة الفهم الصحيح لاحداث التاريخ الوطنى، وهذاموقف تشوبه الشكوك والريب كما انه يشئ بمحدودية الفهم، واذكر إن (فكلاف هافيل) الرئيس التشيكى قال قبل إن يكون رئيسا (ان التاريخ والاخلاق قد تصالحا) ولكن ما نشهده ونقراؤه فى كتابات تاريخية يؤكد عكس ذلك القول اذ ان بعض الكتابات بعيدة عن الاخلاق بعد السماء عن الارض وانما كتابات اشد عدوانية على بلادنا من العدوان الايطالى نفسه، ولابد إن اقول إن من يرجم الناس بالتهم زورا يكون مخطئا اذا اعتقد انه يمكن إن يغير حقائق احداث التاريخ وهنا استميحكم عذرا ايها الاخوة ان استعرض عليكم بعض التطورات السياسية التاريخية التى ادت الى حدوث الغزو الايطالىلبلادنا ومن ثم مرحلة جهاد الآباء والاجداد قبل إن نعرض وجهة نظرنا حول بعض الكتابات التى جاءت بعد ذلك ،نجد انه فى كل مراحل التاريخ الانسانى كانت هناك المطامع وكان هناك الاختلاف والتقاتل، وكان دائما الطرف الصغير والضعيف هو الضحية، وربما ينطبق على ذلك بيت الشعر العربى الذى يقول (والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة لعله لايظلم)

وبطبيعة الحال ليس هناك عفة فى العلاقات الدولية وانما هنالك مصالح وتقاسم نفوذ الخ وليبيا كبلد صغير وضعيف كانت احدى الضحايا فى الحروب ومطامع الاقوياء، ولقد تحمل اهلها اهوال حرب غير متكافئة مع دولة اوربية معتدية هى ايطاليا، عندما تقرر تقاسم النفوذ فى العالم قبل الحرب العالمية الاولى بين دول اوربا، وربما يكون مفيدا فى هذه المناسبة ان نعرض لتلك الاحداث والاتفاقيات والتقسيم

والمساومات، فقد قطعوا وجزاؤا ومنحوا دون إن يضعوا اى اعتبار لأنسان او ارض ناهيك عن المثل والاخلاق والمبادئ، ويجدر بنا إن نتحدث عن ذلك قليلا، فقد حدث التنافس بين دول وسط اوربا، وبالتحديد بين النمسا والمانيا وفرنسا وكذا بريطانيا، وكانت روسيا قد شجعت اهالى البوسنا والهرسك على التمرد والثورة على الحكم التركى العثمانى، وفعلت نفس الشئ النمسا اذ ظهر مصطلح (الرجل المريض) وقتئذ، وبالتحديد منذ سنة ١٨٧٥م عندما صارت المسألة الشرقية مثار بحث وتساؤل، وبعد ذلك اعلنت روسيا الحرب على تركيا عندما امتدت الثورة الى الجبل الاسود وصربيا ،اذ كانت القوات التركية قد تغلبت عليها فى البداية، وفى سنة ١٨٧٥ م نفسها اعلن المستشار الالمانى بيسمارك الى سفيره فى باريس سرا يقول (عليك إن تفهم بطريقة غير رسمية الساسة فى فرنسا بان المانيا سوف لن تقيم اى عراقيل امام الحكومة الفرنسية ان هى ارادت ان تحتل تونس وتجعلها تابعة لها بدلا من الباب العالى) وهذا الموقف بالطبع يسعد الحكومة الفرنسية فى نفس الوقت وبسبب التكالب على المكاسب وتاجيج الخلافات اسرعت حكومة النمسا بابلاغ الحكومة الايطالية سنة ١٨٧٦م بانها لا تمانع بان تعلن ايطاليا حمايتها على تونس وهى بذلك انما تريد دق اسفين فى العلاقات الايطالية الفرنسية وهو نفس الشئ الذى سعت اليه المانيا، وكانت ايطاليا منشغلة جدا بالتوسع النمساوى فى منطقة البلقان، وجاء الدور على الدولتين الاخرين بريطانيا وفرنسا سنة ١٨٧٧م لتقدما نفس العرض لأيطاليا، وكانت بريطانيا تسعى الى الحد من التوسع الفرنسى فى المنطقة وخصوصا فى تونس، بينما تريد روسيا ألهاء ايطاليا ولفت انتباهها بعيدا عن محاولاتها التوسع فى منطقة البلقان، وكان الصراع قائما حول منطقة البلقان والشمال الافريقى وهو الذى عقد من اجله مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨م وعند انعقاد مؤتمر برلين كانت بعض اراض اوما تدعيه ايطاليا اراضيها ما تزال تحت

سيطرة الامبراطورية النمساوية، وبالتحديد الشمال الشرقى، وماكانت ايطاليا فى ذلك المؤتمر بقادرة على إن تقبل سيطرة النمسا على البوسنا والهرسك باعتبارهما من املاكها، فهى كانت راغبة فى التوسع كأى دولة اوربية اخرى انما لا يجب عليها إن تسمح لأحد بان يتوسع فى اراضيها او على حسابها ولهذا رفضت بداية فكرة احتلال تونس عندما عرض ذلك الوفد الالمانى فى المؤتمر، وقد ذكر وزير خارجية المانيا الهر (بولوف)إن ايطاليا يمكنها إن تأخذ تونس ان هى تخلت عن البوسنا والهرسك، ثم جاء دور وزير خارجية بريطانيا اللورد (ساليزبورى) ليلوح بورقة جديدة ربما تكون مرضية لأيطاليا وبالتالى تكون بديلا عن تونس، فقال إن فى الشمال الافريقى متسع من الشواطئ والاراضى لكل من ايطاليا وفرنسا، وعلى ايطاليا إن تحتل ليبيا القريبة منها، وكان ذلك مؤشرا ودليلا على الدهاء الانجليزى حيث اكد دون إن يلفظ ان بريطانيا قد سمحت لفرنسا بان تحتل تونس، وكان وزير خارجية فرنسا المسيو (ويد قنتجون) قد قبل ذلك حتى قبل مؤتمر برلين، وبعد هذا المؤتمر تأجج الصراع السياسى بين قادة الفكر والسياسة فى ايطاليا على اعتبار انها خرجت من المؤتمر بلا فائدة، هكذا كان الحال قبل الحر ب العالمية الاولى.

وكانت تركيا العثمانية اما انها لا تدرى ما بين هذه الدول (وهو امر مستبعد) او انها غير قادرة على مواجهة الاحداث بسبب الصراعات الداخلية والخارجية التي كانت تواجهها (وهذا محتمل) ومن الشمال الافريقى كانت فرنسا قد احتلت الجزائر سنة ١٨٣٥م وانتهى الامر وهى تساوم على تونس والمغرب وربما بعد ذلك ليبيا، وما كان ذلك ليرضى اى من دول اوربا التى كانت كل منها تشد الخيط من طرف خفى او قل كلاها تلوح بالعصا والجزرة للاخرى فى وقت واحد، فبريطانيا لا تريد اى اقتراب من

مالطا ومصر، والنمسا لا تريد التخلى عن شمال شرق الاراضى الايطالية، وروسيا طامعة فى مناطق البلقان، والمانيا تريد الايقاع بالجميع وبين الجميع، واذا كان وزير خارجية فرنسا قد قبل بالعرض الالمانى قبل مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨م وقد تأخرت ايطاليا عن تفهم الوضع الجديد فليس امام فرنسا من وقت تضيعه وهكذا احتلت تونس سنة ١٨٨١م وصارت تفكر فى المغرب، وتركيا ماتزال فى ليبيا ولكن مشاكل البلقان تكبر، وروسيا تزحف بينما النمسا تمدد وتشجع، وبدأت حملات الاعلام الايطالى وصراع الساسة فى التسابق وتوجيه التهم واصطناع المصطلحات السياسية والدبلوماسية لما يجب إن يحدث فى المستقبل القريب، على إن بعض الخطوات فى مسألة التزاحم الاستعمارى تمثل كوارث على البلدان الساعية الى التوسع، ولذا فان احتلال الصومال واريتيريا بواسطة القوات الايطالية كان خطوة يمكن إن تؤدى الى كارثة ما لم تلحقها خطوات اخرى بحيث تتحول هذه من مسألة ضاغطة على ايطاليا الى عنصر ضغط لصالح ايطاليا فى سياستها الاستعمارية التوسعية، فاذا كانت بريطانيا فى مصر وهذه تقع فى شمال غرب تلك البلاد وفى السودان الذى يقع فى غرب مواقع اقدام ايطاليا، وفرنسا فى تشاد وهذه ايضا فى جنوب غرب المواقع الايطالية هناك، فلماذا لاتقوم ايطاليا بعمل سوف يمكنها من الضغط على مواقع حساسة لخصيمتيها ؟ بريطانيا وفرنسا ذلك إن احتلال ليبيا لابد ان يمثل كماشة ايطالية ضاغطة بقوة، وهكذا بدأت التلميحات من طرف وزير خارجية ايطاليا حول الجالية الايطالية فى ليبيا والمصالح الوطنية وكذلك التعنت التركى تجاه المحاولات الايطالية، ولقد ذكر للسفير البريطانى فى روما السير (رينيل رود) بانه من المحتمل ان تقوم القوات الايطالية بمناورات قرب الشواطئ الليبية قريبا، وكان الحديث خلال شهر يوليو ١٩١١م.

كان وقتذاك وزير خارجية ايطاليا السنيور (جوليانو) ورئيس وزرائها السنيور (جوليتي) وملكها (فيكتور عمانويل الثالث) وهؤلاء مع مفكرين ورجال اعلام ايطاليين واجهزة دولية الايطالية الطامحة الطامعة كانوا قد هياؤا وتهياؤا لأحتلال ليبيا، واتفقوا على ان هذه الحملة ستكون نزهة بحرية و لم يكن يزعجهم اى شئ غير حالة البحر ووضع الحاميات التركية فى طرابلس، وقد عرفوا إن الاولى اى البحر سيكون مناسبا وهادئا، وان الثانى، اى الحاميات التركية ضعيفة وغير منظمة وليس هناك الا عدة مدافع قديمة فى قلعة طرابلس يمكن اسكاتها بسرعة من خلال طلقات البوارج البحرية، اما الانسان الليبى صاحب الارض فلم يحسب له اى حساب قبيل الغزو واثناء مؤتمرات ألمنح والتقسيم، ونجد هذا الامر واضحا فى مذكرة وزير الخارجية الايطالية التي اعدها بعد مناقشات مطولة جرت فى قاعات مجلس النواب الايطالى ووجهها الى الملك والى رئيس الوزراء وهذا نصها :

(اكتب هذه المذكرة بخط يدى واعهد الى ذى ثقة باستنساخ ثلاث نسخ منها فقط، اتوجه الى صاحب الجلالة بواحدة والى رئيس مجلس الوزراء بالثانية واودع الثالثة فى خزانة الوثائق الخاصه المظور مراجعتها، فى مواجهة مجمل الاوضاع الدولية وتجاه اوضاع طرابلس الداخلية اجد نفسى اليوم ميالا الى اعتباره محتملا كون ايطاليا قد تجد نفسها وخلال اشهر قليلة قادمة مرغمة على القيام بحملة غزو عسكرية ضد طرابلس (يعنى سائر ليبيا) ولهذا فمن الضرورى اجمالا التوجه بسياستنا بحيث ندخل فى الحسبان هذا الاحتمال على الرغم من اننا فى اعتقادى يجب إن نحاول تجنبه، وبعض الوسائل اللازمة لتجنب هذه العملية كما ساوضح فيما بعد من حيث التأثير ومن حيث الغاية فى ذات الوقت، نفس الاثر فى تهيئة سبل نجاحها وتيسيره وذلك عندما تصبح هذه

العملية ضرورية، والسبب الرئيسى الذى احبذ من اجله تجنب القيام بالحملة ضد طرابلس هو الاحتمال (مجرد احتمال لا يقين) بان نجاح الضربة التي ستتلقاها الامبراطورية العثمانية سوف يدفع شعوب البلقان الغاضبة من جنون نظام المركزية للشباب والترقى التركى (وهذه كانت تسيطر عليها وتوجهها الماسونية الدولية ورجال المال اليهود وقصة هرتزل مع السلطان عبد الحميد الثانى معروفة للجميع) اليوم اكثر منها فى‌اى وقت مضى، الى العمل ضد هؤلاء فى الداخل والخارج، وسيسارع بخلق ازمة من الممكن إن تساعد وتحرك وقد ترغم النمسا على التدخل فى البلقان مما سيتولد عنه فى اغلب الظن تغيير فى الوضع القائم بمنطقتى البلقان والبحر الادرياتيكى الامر الذى هو فى بعضه مضر حقيقة بمصالح ايطاليا وفى بعضه الآخر سينظر اليه على انه كذلك، ولو خطأ، من قبل الرأى العام الايطالى وهما (اى الضرر الحقيقى والضرر المتوهم) وما سيتلوهما من مظاهرات معادية للنمسا وخاصة فى اعالى ايطاليا (الشمال) او ستحدث فى نفس الزمن وستجد ايطاليا نفسها فيه ولو مرحليا جد ضعيفة فى البر والبحر معا وبالتالى اقل تأثيرا فى اوربا، والنمسا اقل تحسبا وخوفا منها عسكريا، لأن حملة الغزو العسكرية في طرابلس تتطلب فرقا من الجيش البرى اضافة الى جميع وحدات الاسطول العاملة تقريبا، وبالنظر الى وضع القوات التركية البرية (المرابطة) فى طرابلس والى القطع البحرية التركية المتواجدة فى البحر التوسط فان مما لا شك فيه ان قوات حملة الغزو ليس عليها ان تعمل الا فى جو تفوق يحقق لها نصرا حاسما وسريعا فضرورة النجاح والسرعة فى هذا الامر واضحة وجلية ومن المحتم ان تجد جميع اوربا نفسها امام الامر الواقع، وحتى قبل إن تشرع فى دراسته وتقييمه ،اما المواقف التي ستنشأ عقب القيام بعملية الغزو فلا بد إن تحل فى اطار العلاقات الدولية وفى سرعة متناهية، إن فرنسا لا يمكنها وبحسب الاتفاقية المبرمة معها أن تمانع، وأنجلترا والنمسا

والمانيا سينظرون الى عملنا هذا باسى وحسرة غير إن هذه الدول لن تجد وسيلة للحيلولة دونه لاسيما اذا ماتم وإنتهى فى سرعة خاطفة، ويمضى وزير الخارجية الايطالية فى مذكراته قائلا: اعود الى تأكيد القول ان السبب الرئيسى الذى اعتقد انه يوجب علينا محاولة تجنب القيام بهذه العملية هو التخوف من ردود الفعل التي قد تنشأ فى شبه جزيرة البلقان وفى البحر الادرياتيكى، ومع انه من الجائز الا يحدث اى رد فعل الا ان احتمالات حدوثه هى اليوم جد كبيرة وخطيرة ولذا نأمل تجنب القيام بعملية الغزو، اما عدا هذا السبب البالغ الخطورة فان جميع تقديراتنا للسياسة الخارجية تنصح حسب راى بالاسراع فى احتلالنا لطرابلس وفيما يلى اشير الى الهام منها :

١. سوف تفى فرنسا بما التزمت به فى اتفاقية سنة ١٩٠٢ م ولكن الآن وهى لم تتونس المغرب بعد (لابد انه يعنى ان فرنسا لم تحتل المغرب بعد تونس حتى وقت كتابه مذكرته ولهذا سمى العملية تونسة) لأن مصالحها آنيا انما هى الوفاء بذلك غير إن فرنسا لن تفى بالتزاماتها ومصلحتها ستتقلص حينما تكون قد تونست المغرب اى حينما ينفذ الجانب الذى يهم فرنسا فى تلك الاتفاقية ويبقى الجانب الذى يخص ايطاليا وحدها ...
٢. مما لا شك فيه إن تونسة المغرب ستتم نتيجة المفاوضات الحالية الجارية بين فرنسا والمانيا وستغير هذه ولغير صالحنا التوازن الدولى فى غربى البحرالتوسط ..
٣. متى حلت مسألة طرابلس قبل تجديد الحلف الثلاثى فاننا سوف نكون فى وضع احسن فى مواجهة حلفائنا حين نتفاوض معهم حول الشروط التي نرغب نحن فى تعديلها ..
٤. من الجائز إن يتمسك حلفاؤنا فى تجديد الحلف بوجوب الغاء الاتفاقية الفرنسية الايطالية المبرمة فى سنة ١٩٠٢م الامر الذى سيولد صعوبات خطيرة سواء رفضنا

هذا الجانب او قبلنا به الا إن هذه الصعوبة سوف تتلاشى وتتبخر اذا نحن، وقبل تجديد الحلف، جعلنا الاتفاقية الفرنسية الايطالية غير ذات مضمون اذ انه سيتم آليا نفاذ الغرض منها باستيلائنا نحن على طرابلس واستيلاء فرنسا على المغرب ..

٥. سيكون من المجدى لنا على اى حال إن نحتل طرابلس قبل إن يتغير الوضع القائم لمنطقتى البلقان والبحر الادرياتيكى وذلك حتى نتجنب إن يعتبر حلفاؤنا طرابلس هى نصيبنا فى اى توسع محتمل للنمسا هناك بينما نحن نطالب ونتمسك بان يكون المقابل لهذا هو فى نفس الحوض الادرياتيكى ذلك إن الاتفاقية الايطالية النمساوية تترك هذه المسألة عائمة وغير محددة ..
٦. سوف لن نقابل اية عراقيل سياسية جد خطيرة فى احتلال طرابلس على ضوء الوضع الدولى الحالى بينما من الممكن إن تصبح هذه العملية اكثر خطورة فى وقت آخر وذلك حين نجد ولأسباب اخرى انها ضرورة لا مفر منها ..
٧. وفقط بعد إن نكون قد قمنا باحتلال طرابلس يصبح من الممكن فعلا اقامة علاقات ودية بين بريطانيا وتركيا بعد مرحلة من التوتر بالطبع ..
٨. الصعوبات الجمة التي تعترض تركيا فى مناطق مختلفة من الامبراطورية العثمانية تجعل الآن من اصعب الصعاب عليها ارسال قوات كبيرة الى طرابلس . .
٩. اذا لم تضعف الامبرطورية العثمانية اسباب سياسية ما او يطرأ ما يحول اهتماماتها فانها فى مدى سنتين او ثلاث ستمتلك اسطولا ضخما يمكنها به ان تجعل عملية غزونا لطرابلس اكثر صعوبة وربما ستصبح العملية حينئذ مستحيلة مما سيشجع تركيا على اتخاذ مواقف اكثر تحديا واثارة من مواقفها الحالية ضد مصالحنا فى طرابلس ..

وهكذا فبعد فحص الاسباب السياسية الخارجية التى هى فى صالح وضد عملية الغزو القريب لطرابلس يجب إن تفحص الاحتمالات الاقوى والاضعف التى ستتعرض لها الحكومة سواء الحالية ام غيرها، من قبل الراى العام الايطالى وهذه الاحتمالات تتزايد يوما فيوم وذلك للاسباب التالية :

١. من المحتمل إن ينتج عن الاتفاقية الفرنسية الالمانية الانجليزية نوعا من المكافاءات المتبادلة وبعضها كاستيلاء فرنسا على المغرب الذى سيزحزح وبالفعل ميزان التوازن الدولى فى البحرالابيض المتوسط ومثل ذلك من الامور مما قد لا يلحق الضرر بالمصالح الايطالية الا انه قد يولد فى اوساط البلاد اندهاشا من المحتمل الا يقوم على اى اساس ولكنه ليس اقل خطورة

٢. لأن سلوك الحكومة العثمانية مستمر فى معارضته لأى اهتمام اقتصادى لنا فى طرابلس ومن المؤكد انه سوف يستمر وبالتالى فان هذا مثيرا لمشاعرنا الوطنية ..

٣. لأن الشعور باستسلامية الحكومة الايطالية فى سياستها الخارجية يزداد انتشارا فى اوساط الشعب على الرغم من كونه على غير اساس مما سينتج عنه الاحساس بان كرامة ايطاليا ليست مصانة بالدرجة الكافية مما يبرر الحاجة الى تأكيد الحيوية الايطالية بطريقة ما ..

٤. لأن اية حادثة مهما كانت صغيرة تقع فى طرابلس او بين تركيا وايطاليا تموّل من قبل الصحافة ولأغراض عديدة منها بنك روما الذى بدسائسة وامواله يسعى ليدفع بايطاليا دفعا لأحتلال طرابلس وفى اسرع وقت ممكن، ذكرت فيما تقدم أعلاه إن ذات السبل التى تستخدم لردعنا عن القيام بحملة الغزو ضد طرابلس يمكن إن تصبح حينما لا يكون هناك اى مفر من القيام بها صالحة لضمان النجاح يصدق هذا على السبل السياسية كما هو صادق بالنسبة للوسائل العسكرية،

وبدءا من هذه الاخيرة فمن الواضح انه بمقدار ما يكون الاعداد العسكرى برا وبحرا اسرع وافضل تكون سرعة وجدية النجاح مضمونة اكثر وبهذا اعتقد انه الانسب لنا الشروع منذ الآن فى القيام ببعض الاستعدادات لأنه اذا كان القرار سيتخذ فانه من الضرورى إن يكون الفاصل الزمنى بين القرار وتنفيده اقل مما يجب بحيث لا يترك فرصة للدبلوماسية الدولية كى تتدخل ولا لتركيا كى تتخذ من الاستعدادات ما سيغير الوضع القائم الذى يبدو الآن مواتيا لنا والشروع فى القيام ببعض الاعداد يجرى ايضا فى اضعاف احتمال بان تصبح عملية الغزو ضرورة لا محيد عنها لأن تسريب خبره بطريقة ماهرة ماكرة يعلم الناس بها ويشيعونها حتى اذا بلغت مسامع الاتراك نفته الحكومة الايطالية بطريقة لا حازمة ولا قاطعة وقد يقنع هذا تركيا باننا لم نعد على استعداد لتقبل اسلوبها فى التعامل معنا ومن المحتمل إن يحملها هذا على تغير موقفها المضاد ويجعل من السهل علينا بالتالى تجنب اللجوء الى الحدة والعنف فالاتراك بالفعل لا يتساهلون مع غير القوى، اما الاساليب السياسية فهى ذاتها التى سبق لنا اتباعها وهى باقترانها بمظهر التخويف هذا يفضل إن نستمر بها لبعض الوقت (على امل لا سند له فى الحقيقة) إن تنجح ولو قليلا فى احداث التحسن المنشود فى العلاقات ولنبرهن كذلك لأوربا على اننا قد استنفذنا كافة المحاولات بالطرق الودية وباننا كنا قبل إن نتصرف جد صبورين، وعلى كل حال فان مدة شهر او شهرين من المحاولات السلمية ليست بالجهد الضائع اذا ما استغلت فى اتقان عملية الاعداد العسكرى، وانى لا يمكننى اخفاء القناعة التى تكونت عندى بان الوسيلة الفعالة لتجنب تيسير حملة عسكرية ضد طرابلس هى ذاتها البدء باعدادها ونشر خبرها دون التصريح الرسمى لتركيا بذلك لأننا وفقط باخافة هذه الحكومة نستطيع حملها على تعديل سياستها

المعارضة لنشاط لنا اى مشروع لنا فى طرابلس وهو موقف سينتهى بنا الى اعتبار القيام بالغزو ضرورة لا مفر منها، واذا كان لابد لهذه وان كانت اقل نفقة وخطورة من احتلال طرابلس فهى ليست بالتى تحل المشكلة او الاشكال، واذا نحن اردنا إن نتصدى لجميع ما قد يترتب على عملية جريئة فان هذه العملية يجب إن تكون حلا جذريا للمسألة وبالتالى فانها يجب إن توجه فى سرعة ومباشرة الى الاستيلاء على طرابلس اولا ثم وبعدها بايام قليلة بنغازى، واذا تم هذا فيجب ان نعطى لممارسة سيادتنا على طرابلس اى ليبيا شكلا يقلل ولبضعة اعوام من مصروفاتنا الى ادنى حد ويخفض حجم القوات العسكرية فى تلك الناطق وربما امكن الاستعانة فى ادارته بالاسرة القرمانلية التي لم تنطفئ بعد او يمكن التواصل مع تركيا الى حل يشبه ذلك الحل الذى اتبعته المانيا ودول اوربية اخرى مع الصين، ولكن مناقشة كل هذا امر سابق اليوم لأوانه ويكفى الآن ان نأخذ بالاعتبار احتمال إن تصبح حملة الغزو هذه امرا لا مفر منه وان نتوجه باهتمامنا وعملنا منذ هذه الساعة نحو الغاية المزدوجة فنحاول من جانب تجنب القيام بحملة الغزو ومن جانب آخر ان نعد ومن الآن لهذه العملية لضمان نجاحها اذا ما اصبحت وكما يبدو اكثر احتمالا، وعلى الرغم من ارادتنا امرا لا يمكننا إن نتجنبه .. انتهى

انتهت عند هذا الحد مذكرة وزير الخارجية الايطالية التي كان تاريخها يوليو ١٩١١م ورغم بعض الاطالة فقد اردنا معرفة الكيفية التي يفكر بها هؤلاء وكيف انهم لم يحسبوا اى حساب لأصحاب الارض الاصليين ثم انهم اعتقدوا انها نزهة بسيطة ربما عبر البحر فقط !! ثم يقللون مصاريفهم ويخفضون قواتهم بعد إن يكونوا فى مدة قصيرة

وبسرعة فائقة قد احتلوا البلاد كلها وانشاؤا ما يريدون من قواعد وحكام الخ ولقد خيب الواقع ظنهم وجعل تفكيرهم خبلا وكلامهم هراء ومواقفهم اختلاج وتهور اذ حارب صاحب الارض فى كل مكان من ارضه و لم يسلم او يستسلم قرابة ربع قرن من الزمان، وكانت التكاليف باهضة على الاعداء والقوات كثيرة ولكن هزائمهم كانت اكثر وخذلانهم كان ابشع، ولقد كان الدور الاساسى فى الصمود والقتال لأبن الارض الذى ارتوى من ثدييها وان كنا لا ننكر مساعدة اخوتنا فى الاسلام الجنود والضباط الاتراك، وربما يكون من الانصاف ان نقول إن الحكومة التركية العثمانية قد بذلت الكثير من الجهد العسكرى والسياسى والدبلوماسى والمالى لمساعدة المجاهدين الليبيين، ونحن نقدر ذلك عاليا ..ايها الاخوة ماذكرته الآن يمثل مسار الاحداث التي ينبنى عليها تاريخ الجهاد الليبى اذ وجد آباؤنا واجدادنا انفسهم امام لحظة يصنع فيها التاريخ على ارضهم وكان لابد لهم إن يكونوا فاعلين فيها، وكان فعلهم مشرفا واعمالهم مجيدة وهو ما يمثل بوارق الامل فى المستقبل وقوة الاحساس بالانتماء ووهج التألق فى العودة اليه لأستخلاص العبر والتزود بطاقة العمل، وكان يجب ان تكون العودة الى احداث تاريخنا الوطنى قائمة على الاسس التالية :

اولا، عدم اخضاع احداث التاريخ لأفكار سياسية مسبقة من سلطة أو قبيلة او عائلة او جهة بحيث لايكون هناك اطراء اوتعظيم او تبخيس ..

ثانياً، الايكون قائما على النقد او التحليل الانانى فى تعليل الاحداث بحيث تنسب اشياء لغير اهلها..

ثالثا، الايكون مخالفا للترتيب الزمنى بحيث يقفز من حدث قريب الى حدث بعيد دون إتصال بينهما فى الواقع..

رابعا، الاينكر تعدد العوامل المسيرة لاحداث التاريخ من فردية وجماعية وروحية ومادية وسياسية واقتصادية، اى إن يكون كما قال (فون رينكه) إن المؤرخ يصف الحدث التاريخى كما وقع فعلا، هذا اذا اراد إن يكون مؤرخاً واخلص الى القول إن الذى يحاول رتق الاشياء المهلهلة غالبا لاينجح حيث انه يسقط عمدا حقائق وتفاصيل الاحداث، ولقد اراد لنا مؤلف كتابى (الصحراء تشتغل ومعارك الدفاع عن الجبل الغربى) إن نسقط من ذاكرتنا تفاصيل الاحداث بالسكوت عليها ولانحاول حتى مجرد التفكير فيما كتبه او قاله اولئك الذين صنعوا تلك الاحداث !؟ فهو يستنطق الوثائق لأظهار ماليس فيها كما انتزع شهادات من صدور الموتى لأنهم لايتكلمون، وتلك مع الاسف نزعة قبلية يرادلها أن تصارع النزعة الوطنية، وعلى الرغم من اننى لست ضد القبيلة كرابط اجتماعى الا اننى أرى وجوب التأكيد على انه لايجب أن يكون هناك بين النزعة القبيلية والنزعة الوطنية او القومية تصادم او صراع بحيث تخدم الاولى الثانية، وقد لاندرك حدة هذا الصراع المختلق عند بعض الناس الاعندما ندخل معمعة الافكار التى تخدم الاولى وتحارب الثانية او الثالثة وبذلك نتصور مقدار التمزق الذى يمكن إن ينتج عن ذلك فى مجتمع كمجتمعنا، ومن يقرا ما يكتبه امثال السيد القشاط يرى توا ان ذلك التمزق آت ما لم ندرك ونستدرك، ومن اجل ذلك اعرض على حضراتكم عينة من تلك الافكار التى يراد لها ان تكون تاريخا خلافا لكل احداث التاريخ الوطنى الليبى ..

(فى كتابه الصحراء تشتعل) يقول الاستاذ القشاط عن واحدة من اهم معارك الجهاد الوطنى أى معركة (قارة سبها) والتى نأخذها كمثال ما يلى :

(محمد كاوصن ومن معه توجهوا الى اوبارى وسالم بن عبد النبى ومن معه توجهوا الى سبها وكان الايطاليون فى سبها اقل من مائة جندى اغلبهم من الاريتريين وتكمن اهميتها فى انها مركز الامداد لقوات ميانى فى الجنوب، وليلة ٢٧ ٢٨ نوفمبر هاجم المجاهدون القلعة اذ اختاروا اربعة عشرة مجاهدا لاقتحامها والصعود اليها يتقدمهم سالم الحطمانى ويسير خلفهم بسيفه رحومه التركى السباعى وكان سالم بن عبد النبى من المنتظرين فى اسفل القلعة ولم يصعد معهم الى إن تم احتلالها ورفعوا الآذان فى اعلاها وكان المؤذن هو المجاهد محمد البريكى، ويقول بترانيانى انه كان يسمع اطلاق الرصاص فى القلعة عند الساعة الرابعة وخمس واربعين دقيقة صباحا اذ انه كان ينام خارج القلعة وكذلك اغلب الجنود بامر من آمر القلعة باستثناء مجموعة الحراسات وقد حاول الجنود الايطاليون الصعود الى القلعة ولكن نارا حامية واجهتهم وردتهم على اعقابهم، وعند الصباح سيطر المجاهدون على القلعة وفر الجنود الايطاليون والاريتيريون باتجاه براك وقتل بعضهم واسر النقيب بترانيانى الذى روى الواقعة فى كتابه الصحراء الطرابلسية وقد استشهد مجاهد من الجعافرة وجرح اثنان، حمل المجاهدون غنائمهم من الالبسة والتموين والسلاح والذخائر على ٧٥٠ جملا استأجروها من على الشنطه الذى كان تاجرا يشترى التمر من الزوائد ولم يحضر المعركة) هذا ما ذكره القشاط عن اهم معركة حدثت بعد ان وصلت القوات الايطالية آخر جنوب غرب الاراضى الليبية حيث انشأ العقيد ميانى قيادته العامة فى مرزق وكانت احداث (قارة سبها) سببا فى هزيمة القوات الايطالية وعودتها الى شاطئ البحر فى منطقة مصراته تحتمى بمدافع القوات البحرية (قارة سبها مجرد مخزن تموين فيه مجموعة من الحراسات ويوجد فى سبها اقل من مائة جندى اغلبهم من الاريتيريين !!

امر عجيب والله، ترى ماذا نفهم من هذا الاستخفاف والاستهانة والجحود ؟؟)
جاء هذا فى صفحات الكتاب، ٦٧ -٦٨ ... نفهم ان ما ذكره المؤلف هنا يخالف تماما ما ذكر عن هذه المعركة التى تعتبر فاصلا وفيصلا فى هزيمة قوات العقيد ميانى وطردها من الجنوب حيث كانت قد احتلت الارض الى الشمال هاربة تحتمى بالبحر حتى إن ميانى لم يجد الوقت او لم يستطع ان ينقل من جنوده غير البيض اى الايطاليين بينما ترك الاريتيريون يواجهون المصير المحتوم، هذه المعركة الهامة فى تاريخنا الوطنى يجعلها الاستاذ القشاط مجرد مخزن تموين يحرسه عدد قليل من الجنود الاريتيريين، للتوضيح والمقارنة فقط هذا الذى ما ذكرعن القارة والقوات الموجودة بها والاسلحة المستعملة، اى الموجودة لدى تلك القوات بكامل ذخائرها ..

يقول (انجلو دل بوكا فى كتابه) الايطاليون فى ليبيا : (إن حامية قارة سبها كانت تحت امرة النقيب الايطالى (ميليوريني) وكانت مكونة من ثمانية ضباط وتسعة من ضباط الصف وسبعين جنديا ايطاليا وتعسة عشرة جنديا حبشيا وتسعة من الجنود الليبيين من سكان الساحل وثمانية وستين عسكريا فزانيا وكانوا جميعا مزودين باسلحة فردية مع مدفعين جبليين عيار ٧٠ مم ومع ما يزيد على الف قذيفة لهذه المدافع وكذلك اربع رشاشات ثقيلة .. انتهى ص ٢٩)

وهنا نفهم من كتاب السيد انجلو ان القلعة كان بها مائة وثمانون جنديا مع ضباط وضباط صف بين ايطالى وحبشى وليبى مع المدافع والرشاشات الثقيلة والبنادق الفردية، ولم يقل لسيد انجلو وهو ايطالى انما كانت عبارة عن مخزن تموين وان الجنود الايطاليين كانوا خارجها، لعل الكاتب الايطالى انجلو دل البوكا كان ضد بلاده ومع جهاد الليبيين !! ؟)

ويقول الاستاذ خليفة التليسى فى كتابه، معجم معارك الجهاد فى ليبيا مايلى :

(كانت حامية قلعة سبها تتألف من ٨٧ جنديا ايطاليا منهم ٨ ضباط و٨٥ جنديا من فزان و٩١ جنديا اريتيريا مزودين بمدفعى جبال عيار ٧٠ مم واربعة رشاشات وصناديق كثيرة من الذخيرة .. انتهى ص ٢٧٥)

وقال الاستاذ احمد عطيه امدلل فى كتابه، المقاومة الليبية ضد الغزو الايطالى ما يلى :

(ان عدد الايطاليين فى القلعة كان ٨٧ من بينهم ٨ ضباط و٨٥ من الجندين المحاربين التابعين للسرية المستقلة وعدد ١٩ جنديا ايتيريا وقطعتين من مدافع الجبال عيار ٧٠ مم واربعة رشاشات ثقيلة وكمية من صناديق الذخيرة انتهى)

ترى بعد هذا ماذا يمكن أن نقول فى كتابات السيد القشاط ؟؟ ألم تكن (قارة سبها) ترسانة سلاح بمقاييس ذلك الوقت حيث كان بها مدافع ورشاشات ثقيلة وذخيرة كافية ؟؟ وهناك مغالطات كثيرة جاءت فى كتابه الصادر سنة ١٩٨٣ م بعنوان معارك الدفاع عن الجبل الغربى اذكر منها اثنتين للتدليل على النية والقصد فى هكذا كتابات، يقول عن المواطن عمر ابوغباقه انه كان قد خاض معارك القبلة وكان من الشجعان الهدافين وفى عهد الادارة الانجليزية انقلب الى قاطع طريق !! هذه واحدة..

وهنا تلاحظون انه من الصعب تجاهل دلالة مثل هذه القفزة بين حدث وحدث، بين تاريخ وتاريخ آخر فقد قفز صديقنا من سنة ١٩٢٩م الى سنة ١٩٤٩م، قفز من الطليان الى الانجليز ليقول إن هذا المواطن الليبى ابوغباقه الذى كان مجاهدا انقلب الى قاطع طريق، واذ نلاحظ انه لا علاقة لهذه الجملة (قاطع طريق) بالموضوع والعنوان اللذين حملهما الكتاب (الجهاد الليبى ضد الطليان) والذى انتهى عمليا فى المنطقة

الغربية سنة ١٩٢٩م بينما نراه قد قفز الى سنة ١٩٤٩ م فقط ليسئ لهـذا المـواطن ويقول انه (قاطع طريق !!)

(وفى نفس الكتاب على الصفحة ١٠٨ يقول (واستمرت مطاردة خيالة العـدو حتى مشارف مخيمهم بسوانى الكردى حيث تقدمت الفرق الاريتيرية لتحمى هروب فرسان العدو الذين يحملون الضابط الايطالى الذى كسرت رجليـه طلقـة مجاهـد وأخبرالسبايس قرسيانى بقولهم، إن الصيعان يضربوننا!!

وهذه الثانية) وهنا ايضا تظهر جلية تلك الطقوسية القبلية والاستخفاف بعقـل القارئ عندما يقال له إن عساكر الطليان يعرفون الرصاص عندما يطلق عليهم من اى قبيلة جاء !! فيصرخون ذاكرين اسم تلك القبيلة، وقد صرخ السبايس لأن رصـاص الصيعان كان يحصدهم !! ومن الواضح انه يصعب على المرء إن يغير طبيعته او نوازعه حتى اذا اكتشف أخطاءه ولذلك يستمر فى التحايل ومخالفة احداث التـاريخ وواقـع الحال بطريقة (دون كيشوتية) وتأكيدا اقول تلاحظون إن الفارق الزمنى بين الكتابين المذكورين حوالى عقد ونصف من الزمان ومازال صاحبهما يتصرف بنفس النزعة مما يدفعنا الى التساؤل (اذا لم تكن موضوعية التاريخ فى ذهن الباحث فى احداث ذلـك التاريخ فهل يعنى انه محذوفا من الواقع ؟ اذا كانت الاجابة بنعم فاننا بلا تاريخ، ولكن الاجابة بالتأكيد بلا، ومن يكتب بتلك العقلية يعنى عجزه الكامل عن ادراك الواقـع على حقيقته وانه يفقد التاريخ بعده المكون له وعدم ادراك الواقع التاريخىعلى حقيقته يعنى انتقائية تبعد الباحث عن تاريخ مجتمعه حتى وان اعتقد إنه قدم خدمة لفئة مـن هذا المجتمع بالاغتصاب، الواقع التاريخى بكل مقوماته يعنى الحقيقة والايجابية وربـط

الاحداث والاقتناع بان الانسان هو صانع التاريخ، وان الفكر التاريخى يكون ذخـيرة العمل الجاد المؤدى الى التقدم والبعد عن ربقة الاوهام والتخيلات ..

وهكذا ايها السادة، فانا اعتقد إن واجب المثقف كاتب التـاريخ او المنقـب الباحث فى احداث التاريخ ان يقدم شهادة صادقة امينة بدون تملّـق ولا تسـامح او انحياز، ولايجوز له ان يتخلى عن هذه الامانة مهمـا كانـت المـؤثرات السياسـية والاجتماعية او المادية، ذلك إن التناسى ممقوت، والاعراض مكروه، والتشكيك لابد من اقامة الدليل علية والدليل شهادة وهى ثلاثة انواع (شهادة علم يقـين، ذلـك اذا سمعت و (شهادة عين يقين ذلك اذا رأيت) و (شهادة حق يقين ذلـك اذا جرّبـت) ويبدو إن صاحبنا لم يسمع بشكل جيد ولم ير بشكل جيد ولم يجرّب، وقد جمحت به الاهواء فخالف جادة الصواب، نرجو له الهداية .....

نص الرسالة الموجهة الى المجاهد عبد النبي بالخير

الحمد الله وحده .....

الى حضرة متصرف لواء فزان عبد النبي بلك دام الله مجده آمين ،

بعد السلام والاحترام الذى لزم به التعريف ...

قد قدمتم الى الشاطئ ورجعتم السيد سيدى احمد السني ووقفتموه من غير اسباب، إن هو ثبت عليه مال على موجب شرعى فنحن مستعدين على دفعه، وان كان توقيفه على سبب إن يصدر منه عيب او تشويش او فساد، فاولا فحاشا من ذلك، انه ينهى ولا ينهوه وتوفقيه هذا شوش وتحيرت منه الناس، كافة الناس لانه سابقا ولاحقا من الاباء والاجداد لم يكن كسر حرم البيت من غير سبب حقيقى ألا من قول المكرهين وانت صغيت لقولهم وما صححته ولا حققته وما كان ظننا فيك بمثل هذا، وكان وسابقا متهيئين لحرب العدو والجهاد فى سبيل الله، والان بعد هذه المسالة صار تغيرنا وتشويشنا فان كان بيننا وبينك موافقة واخوة ومحبة ان تزيل ما قد صدر وحدث من القيل من ألسنة الوشاة المكرهين الذين مرادهم الفساد وتخريب الاتحاد، إن تطلق لنا شيخنا السيد سيدى احمد السبى فان كنت مخوف بان يصدر منه فساد او تغيير فى اشياء من ذلك كما ذكرنا ونحن كافلينه جميعا، ولا يكون تقدمنا الى الحرب الا بعد طلقه لنا، وان كان ما فيه ذلك فلا تعيبوا علينا ولا نقدر ان نمشى لحرب، وهذا ما عندنا من غير طائل والسلام ،،

شهر ذو القعدة ١٣٤٤ هجرية

(من كافة القبائل، زنتان عموم رجبان توارق سبعه عنائم)

وكان الدكتور محمد سعيد القشاط بنية مبيتة وسوء قصد كعادته فى الاساءة الى الناس والتشهير بالمجاهدين الليبيين فى اغلب ما يتناوله من احداث تاريخ الجهاد الوطنى ضد الطليان قد جاء باخر بدعة عندما اورد فى كتاب له صدر بعنوان (الصحراء تشتعل) إن زعماء (ورفله) كانوا عندما يدعون الى الجهاد يقولون (اتركونا نستشير نساءنا) وان الزنتان كانوا يميلون مع الريح من اجل مصالحهم بدليل انهم تخلوا عن زعيمهم احمد السنى عندما اعتقله عبدالنبى بالخير !!

كنت وقت صدور كتابه ذاك قد رددت عليه بمحاضرة القيت فى قاعة المحاضرات بمركز جهاد الليبيين بطرابلس وتوقعت إن يحضر الاستاذ القشاط لمناقشة ذلك لم يحدث، ثم رددت على ادعاءاته تلك عندما نشرت وثيقة موقعة من كافة قبائل الزنتان والرجبان والتوارق والسبعه والقديرات والغنائم في كتابي الذى صدر بعنوان (الجهاد الوطنى ادب وتاريخ) تلك التى كانت موجهة الى الشيخ عبد النبى بالخير وها انا اعيد نشرها فى هذا الكتاب تأكيدا لما اقول وتفنيدا لأدعاءات السيد القشاط وايضا لخدمة التاريخ الوطنى، هذا فيما يتصل باعتقال السيد احمد السنى اما ما قاله عن زعماء (ورفله) فهو من عدم المعقولية بحيث لا يحتاج الى أي رد ولا مناقشة، ومنذ إن نشر كتاب السيد القشاط ثم ردى عليه ظللت ابحث عن شاهد عيان يمكن إن يروى احداث تلك الواقعة التاريخية رغبة فى الاستفادة من اثبات الحقائق التاريخية واملا فى ان يتخلى السيد القشاط عن لوى عنق احداث تاريخنا الوطنى لاغراض لا نعرف من تخدم بإساءتها الى اولئك الرجال الذين يفخر كل ليبى وليبية ببطولاتهم

وجهادهم من اجل الوطن والدين وكرامة الانسان فى هذا البلد، وللصدفة الطيبة ان التقى الحاج خليفه ابو القاسم ابوراوى دون أى ترتيب، وصدق الله العظيم فى كتابه الكريم عندما قال (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) [1] وقال (الله يدافع عن الذين ءامنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور)[2]

صدق الله العظيم

قال الرجل اسمى خليفه ابو القاسم امحمد ابوراوى عميانى من الزنتان مولود فى منطقة تسمى (حطية ادرى) واسمها الان المنصوره بالشاطئ، اذكر إن الشيخ عبد النبى بالخير اعتقل الشيخ احمد السنى لان احمد السنى هذا استلف من بالخير الف مجيدى فضه (عمله تركيه) ولما اجتمعوا فى سبها (عبد النبى بالخير وسالم بن عبد النبى وعبد الجليل سيف النصر) علشان إيديرو دفاع مشترك هاداك الوقت فى الجنوب كان الطليان وصلوا قاهرا وكسرهم (هزمهم) سالم بن عبد النبى وردو الى طرابلس وقعد الجنوب حر مافيهش طليان، اجتمع القاده هادول بعد إن احتل سالم بن عبد النبى قاهرا واحتل كنيفو بلدة اوبارى، وهؤلاء تحركوا من ادرى ولما وصلوا زلاف سالم بن عبد النبى وهو مشهور بالدباره (التدبر) قال لكنيفو احنا اثنين قاده ما يجيش عليك إن تختار اما القاهرا او اوبارى وكل واحد منا معاه المجاهدين اللى يبوه، كنيفوا أختياراوبارى وإحتلها، وبعد تجمع الزعماء هادول (عبد النبى بالخير وعبد الجليل سيف النصر وسالم بن عبد النبى وخليفه الزاوى)

بعد هزيمة الطليان فى الجنوب، اجتمعوا علشان ايديرو دفاع مشترك علشان الطليان يمكن يرجعوا الى الجنوب، والجنوب هذا تعددا سكانه قليل وارضه واسعه

١ سورة الانفال الاية ١٧
٢ سورة الحج الاية ٣٨

ويبعد عن الشاطئ عن سبها وتبعد اوباري عن الشاطئ وعن سبها، اتفقوا على الدفاع المشترك والجهة التي ياتى منها الطليان يلاقوه كلهم، وفى هذا الوقت كان الشيخ احمد السنى مع الشيخ سالم بن عبد النبي، وحمد السنى هذا شيخ علم يعنى يحفظ القرآن الكريم والناس تحترمه على هذا وكان استلف من بالخير الف مجيدي فضه، بعدها رجع سالم بن عبد النبي اليالشاطئ وعبدالنبي بالخير مشى لمرزق وعبدالجليل سيف النصر خذا سبها واطرافها، وبعد فترة عبد النبي بالخير رحل من مرزق وجاء لادري فى هالوقت احس المجاهدون ان الطليان تقوى وقبائل كثيرة خشت معاه، فكر المجاهدون فى الهجرة الى مكانات ثانية، فى ادري هناك ناس كثير ومشو من ادري للحدود الجزائرية واللى فى سبها، الناس اللى في سبها هادى مشت قدا اتشاد، ولما سمع احمد السنى بان الشيخ عبد النبى بالخير جاء لادري مشى اليه من اجل السلام والتحيه وكانت المسافة حوالى خمسة كيلو مترات مشيا على الارجل، مشى يبى يسلم على عبدالنبى بالخير ولما وصل قال له عبدالنبى بالخير هل جبت الالف مجيدى رد احمد السنى وقال لا معنديش فامر بالخير عساكره بسجن احمد السنى، والسجن فى هاالوقت يوقف او يجلس السجين فى مواجهة الشمس فى العراء، اللى قال لاهل احمد السنى الخبر، وعادة النساء السنيات ما يخرجوش، هو السنى رجل عالم، الحقيقة هو رجل قارئ القرآن الكريم يعنى رجل دين، داروا النساوين على روسهم اقصاع بازين والناس في هاداك الوقت الحاكم كان جاته نساء خلاص لابد ياخذ بخاطرهن لكن عبد النبي بالخير علم بمجئ النسوه فقال للعساكر ردوهن وما يوصلونيش هاداك الوقت الزنتان كثير من جرما الى اوباري وفى اماكن اخرى بعيدة من البلاد، من ادري، وفيه انفار قليلين سمعوا بالكلام هذا وجو لعبد النبي بالخير يسالوه علاش حبس الشيخ احمد السنى قاللهم استلف منى الف مجيدى ومارد‌هش ولن يطلق سراه الا بعد رد الالف

مجيدى لين ايجيب الالف مجيدى، هادول الانفار ركبوا المهارى ومشو للزنتان الى فى ادري وغيرها وبلغوا الناس بحبس احمد السنى، الناس كانت تاعبه وماعندهاش شئ، الزنتان داروا حاجه يسموها الفرقيه اللى عندا حاجه ايجيبها، فى الفرقيه جمعوا بضاعة ونقلوها الى عبدالنبي بالخير وقالله انت حابس الشيخ احمد السنى قال نعم انا حابسه علشان استلف منى الف مجيدى ومادفعومهش فقالوا له انت عارف حالة الناس واحمد السنى لا يملك شيا والالف مجيدى موش ممكن جمعها لكن هاهى البضاعة اللى لموها الناس خذها واطلق سراح الشيخ فقال انا سلفته مجيدي وما نقبلش بضاعه لكن قالوله احمد السنى هذا رجل دين وحامل القرآن ولابد يطلق سراحه وماستهلش الحبس واحنا جايين نبو نطلقو سراحه، وعبدالنبى بالخير كزعيم ولابد ان ياخذ بخاطر الناس ويجمع الكلمه فى وقت الشده قال خلاص نطلق سراحه وامر العساكر باستلام البضاعة واطلق سراح الشيخ السنى ،،وسالنا الحاج خليفه، هل سمعت هذه الرواية مباشرة من الشيخ ؟

اجاب، انا نعرف هذا الكلام لان حوش الشيخ احمد السنى كان بجانبنا وانا صغير لكن نعرف كل شئ وسمعت كل التفاصيل هذه من جار الشيخ احمد وكان دائما يحكيل عن الشيخ احمد السنى ونعرف انه رجل دين وليس رجل قتال، واحنا فى هاداك الوقت نقول هادا محارب وهادا رجل دين ابن بيت وغير ذلك والرجل الذى كان يحكيلى اسمه (محمد مشيرى) ومات من مدة قريبه وهو من قبيلة تسمى (السحابيه) من الجنوب وهو متزوج من قريبتى، ابنة عمى، وأبن أخت هذا الرجل مازال على قيد الحياة وأسمه (أحمد أنبيه السحيرى) هذا مازال حيا وهو سمع الكلام من خاله المدعو (محمد مشيرى) ،، انتهى

هكذا نرى إن ما اورده السيد القشاط مختلفا، والحقيقة هى إن الشيخ عبد النبى بالخير سجن الشيخ احمد السنى لكن الحقيقة ايضا إن الزنتان لم يتخلوا عـن الشـيخ السنى (رغم انه ليس زعيمهم كما ادعى السيد (القشاط) وانا عندما قلت إن الشـيخ السنى ليس زعيم الزنتان اعتمدت على اولئك الرجال الذين عرفوه وتعاملوا معه على اساس انه رجل دين يؤم الناس ويرشدهم الى الخير والفلاح وهو ما ذكره ايضا السيد القشاط فى حديثه عن معركة مرسيط والذى نشرته مجلة (الوحدة العربية) وهذا نصه وقد تنصل منه الآن السيد القشاط كعادته فى نقل الخبر ومخالفته بعد زمن، يقول على الصفحة رقم (٦) من المجلة المذكورة مايلى :

(ولقد حضر المجاهد (بلقاسم المعلول الزنتانى) هذه المعركة والتى تليها وهو من ابرز مجاهدى المحلة ومن أهل الرأى والمشورة فيها، اجتمعت به وحدثنى عن المعركـة قائلا ،، (كنا نجوب القبلة ونغير على مواقع الايطاليين بين الفينة والاخـرى وكـان الزرع فى ذلك العام جيدا والناس فى المناطق المسيطر عليها الايطاليون لا يسـتطيعون الخروج لحصد زرعهم خوفا من بطش المجاهدين الذين يعتبرون الاهالى الواقعين تحت النفوذ الايطالى و لم يلتحقوا بالثورة (مطليين) وينالهم ماينال الطليان فى العقاب، (ولقد استغل المجاهدون فرصة وجودهم بالقرب من مزارع القمح والشعيرفقاموا بحصد الزرع للتزود به واطعام المجاهدين وعائلاتهم، وكان الشيخ (احمد السـنى) بمثابـة الـرئيس الروحى للمحلة، فهو الامام وشيخ الفتوى وتبيين الحرام والحلال، كما كان الشـيخ (البدوى الازهرى) يتمتع بين جماعة الزنتان بمكانة مرموقة مما جعلة القائـد الفعلـى للحملة، ومن اصحاب الرأى فيها ايضا (بلقاسم المعلول والحـاج سـالم الشـائبى) وجميعهم من الزنتان انتهى كلام السيد القشاط ،هذا يعنى إن الشيخ احمد لم يكن قائدا

ولا زعيما للزنتان ونحن لم نقلل من قيمته العلمية وحتى الجهادية لأنه كـان مرافقـا ومرشدا للمجاهدين اقتناعا بجهاد الليبيين ضد الغازى الاجنبى، وهو كذلك ليس من قبيلة الزنتان وانما من السودان الشقيق وتحديدا من منطقة سنار، ولقد جـاء السـيد القشاط وهو يرد على ما ذكرت فى كتابى (حقيقة معارك الدفاع عن الجبل الغـربى) بورقة عليها توقيعات بعض رجال الزنتان (كما قال) تؤكد قيادة السيد احمد السـنى لهم، وهو اى السيد القشاط كان يريد تنفيد ماذكرت، واكرر هنا للتاريخ إن قيـادة الزنتان فى كل مراحل الجهاد الوطنى كانت لثلاثة مجاهدين اولهما (الشيخ سالم بن عبد النبى وثانيهما الشيخ احمد البدوى) وفى مراحل اخرى خصوصا منطقة الجبل الغـربى كان الثالث الذى يقود الزنتان والرجبان وغيرهم الشيخ (محمد قكيني) أذكـر هـذا احقاقا للحق فقط ودون غاية أخرى ،،

انجلو دل بوكا

كتاب الإيطاليين في ليبيا

الجزء الأول : ص 266 ، 267

سقوط قاهرة سبها في أيدي المجاهدين

لقد كانت حامية قاهرة بسبها ، والتي كانت تحت أمرة النقيب ميليوريني ، كانت مكونة من ثمانية ضباط ، وستة من ضباط الصف ، و ثلاثة وسبعين جند ايطاليا ، و تسعة عشر جنديا حبشيا ، و تسعة ليبيين من سكان الساحل ، و ثمانية وستين عسكريا فزانيا ، وكانوا مزودين الى جانب أسلحتهم الفردية ، بمدفعين جبليين من عيار (A 70) مع ما يزيد عن 1000 قذيفة و أربعة رشاشات ثقيلة . وهذا فيه ما يزيد عن الكفاية للاحتفاظ بالحصن (ايلينا) الذي كان مقاما على قمة تلة تشرف على السهل. ولكن نظرا لأن أعمال الانشاء لم تستكمل بعد ، فقد كان رجال الحامية لاينالون يقيمون في التكنات المنتشرة أسفله . وفي ليلة 28 نوفمبر تمكن بضعة مئات من السنوسيين ، يرشدهم جندي هارب ، ويقودهم سالم بن عبد النبي ، ومحمد دهموس ، وعلي الشنطة ، وسالم دنه تمكنوا من التسلق الى الحصن دون أن يفطن اليهم أحد وسيطروا عليه . ولم ينتبه الايطاليون الا في الساعة الرابعة وعشر دقائق الى هذه الخدعة التي جعلتهم موضع تهكم وسخرية .



ان الحرية لا تعطى هبة ولكنها تؤخذ قسرا من بين أنياب الطغاة والمستبدين .
والمتتبع لحركات استقلال الشعوب يجد في جميعها ودون استثناء وان اختلفت الطرق انها انتزعت حريتها بعد نضال مرير مشى فيه المنتصرون على جماجم الاموات . تلك الجماجم التي كانت مرصات بناء الحرية ، واهرامات دفن الطغاة والمستعمرين .
ونحن اذ نحتفل هذه الايام في الجمهورية العربية الليبية بجلاء اخر جندي بريطاني عن تراب الوطن .. وجب علينا ان نقف ساعة تامل في تاريخنا وان نلقى نظرة تامل واحترام للذكر بشيء اولئك الرجال الذين قاتلوا من اجل حرية هذا الشعب في ظروف صعبة .. زادهم الصبر وسلاحهم الايمان في متاهات الصحراء القاحلة .. وفي وهج هجيرها اللافح مودعين كل غال في سبيل حرية هذا الوطن والتي هي بالتالي حريتنا ـ نحن ابناء هذا الجيل والاجيال القادمة ـ بائعين انفسهم لله فودعوا هذه الدنيا وتركوا وراءهم ذكرى طيبة ونالوا الشهادة ففازوا دنيا واخرى .
وفي ذكرى الجلاء اخترت للحديث ـ كنموذج من نماذج الكفاح لتحقيق الجلاء ـ معركتين هامتين .. يتجلى في اولاهما التكتيك العسكري البارع لحفنة من المجاهدين احتلوا أعظم قلعة واحصنها في البلاد وبداخلها قوة تفوقهم عددا وعدة .
والمعركة الثانية التي يجب ان نحتفل بذكراها بعد اسبوع من صدور هذا العدد من المجلة لقرائه .. تجلت فيها قوة الايمان « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » .

نوفمبر ١٩١٤

وصل الايطاليون الى فزان بعد انتصارهم على المجاهدين في معارك طاحنة عام ١٩١٣ في معركة « الاصابعة » ومعركة « الشب » ١٠ من ديسمبر ومعركة « اشكدة » ١٢ من ديسمبر « والمحروقة » ٢٣ من ديسمبر التي استشهد فيها المجاهد الكبير قائد اولاد بو سيف « محمد عبد الله البوسيفي » .. ووصل الايطاليون الى « سبها » ١٧ من فبراير ١٩١٤ واستطاعوا في ١١ من اغسطس ١٩١٤ ان يستولوا على غات اقصى مدن الجنوب .

وشمر الكولونيل « مياني » ـ قائد حملة فزان ـ ان يعيد الى الدنيا مجد روما الضائع معتبرا نفسه فاتحا ورومانيا رمت به القرون الخوالي ليعيد ذلك المجد الضائع التليد ! !
وتمركزت القوات الإيطالية في قرى الجنوب وواحاته متناثرة كبقع السوس في الثوب المخزن وكان المواطنون من الجانب الاخر بعضهم استكان تحت [illegible] القرى متحينين الفرصة للانتفاض ، وبعضهم هام في الصحراء يتحين الفرصة للانقضاض وخاصة سكان البوادي في « القبلة » الزنتان والمقارحة والمشاشة واولاد بو سيف واولاد سليمان والمغاربة والزوايد والحطمان والقوايد وغيرهم ..
وقد صارت هذه القبائل تتنقل في الصحراء تلازم بعضها الواحات على شكل مجموعات صغيرة لجني التمر وغرالة [illegible] المعلومات من حوله .
وصاروا شيئا فشيئا يجمعون فلولهم في القبلة .
وكان « سالم بن عبد النبي الزنتاني » ـ من اخلص العناصر الوطنية في الجهاد ـ رجلا لا ينام على الضيم .. ربته الصحراء فاحسنت تربيتا .. وصهرته المحن فخرج قوي العود صلبه صعب الشكيمة ، حاد الذكاء ، سريع التدبير في المواقف الحرجة .
والى جانب ذلك كان شجاعا [illegible] كانت تقوم بها القبائل لاستياق الابل ايام ضعف المهـ

الوحدة العربية ص ٤

كما يرويها شهودها فى الجهاد

لعثمانى .. وكما هى حالة الحرب فى القديم .

استطاع «سالم بن عبد النبى» ان يجمع مجموعة من الاشخاص قرابة الثلاثمائة او كما تقدره بعض المصادر ٣٢٥ رجلا من مختلف القبائل ويخرج بهم من جهة « ادرى » مارا بالقرب من « اوبارى » فى [illegible] سريعة الى ان وصل « [illegible] « زلاف » — وهى [illegible] رملية صعب الوصول [illegible]ها .

وقام فى الرملة باستعراض رجاله وتفقدهم واتضح له عدم صلاحية بعضهم للقتال فاستبقاهم فى « الرملة » وجعل عليهم حراسا من الموثوق فيهم حتى لا يتسرب احدهم ليخبر العدو .

وقسم المجموعة التى اختارها للحرب الى مجموعتين .. الاولى تتجه الى « ادرى واوبارى » لاحتلالهما وعلى راس هذه المجموعة « المهدى بن كنيفو الزنتانى والدحنوس الزنتانى » وسار « سالم بن عبد النبى » على راس القسم الآخر متجها الى قلعة « القاهرة » الحصينة .. قلب فزان وقلب القوات الايطالية الغاصبة —

احتلال قلعة (القاهرة) (سبها) ٢٨ نوفمبر ١٩١٤

قبض « سالم بن عبد النبى على رجل من « [illegible]ان » لم [illegible] على اسد [illegible] ن جنديا مع الطليان فى معسكر القلعة « القاهرة » اخذ اجازته لزيارة اهله واجبر سالم هذا الرجل على [illegible] ليكون دليلا للقوة الصغيرة المهاجمة .

وسارت المجموعة ابقاعيلة فى عددها والكثيرة فى ايمانها ووصلت يوم ٢٧ من نوفمبر الى جبل صغير يقع غربى سبها حوالى ١٥ كيلو مترا ، ومكثت هناك الى [illegible] الليل ..

وقد كانوا [illegible] يتتابعون كالاشباح فى طابور طويل حتى لا تنتبه حواسيس العدو لكثرة الآثار ومواطىء الابل .

... بعنوان : سالم بن عبد النبى يقود (40) مجاهدا ...
يقتحم القلعة (ص - 6 - 7)

اللحظة الحاسمة

وغربت شمس فى بحر الصحراء مساء يوم ٢٧ من نوفمبر ١٩١٤ .. وتناول المجاهدون [illegible] من التمر كعشاء لهم .. ووقف سالم يختار من مجموعته القليلة والتى لا تطال الا اربعين بندقية .. المجموعة القتالية التى ستقتحم القلعة .

وسار اربعون شبحا فى الظلام يتقدمهم قائدهم يسوق امامه الخبير الذى ربطه بحبل من يده وبيده راس الحبل مهددا اياه بالقتل فى حالة اصدار اى صوت او تنبيه للعدو .

ووصلت المجموعة الى مرتفع صغير قرب القلعة غربى « البطاح » بجوار المطار الان — بينه وبين القلعة قرابة الكيلو مترين — وجلسوا هناك للاطمئنان والتأكد من نوم الجنود .

وبعد منتصف الليل تحركت المجموعة وامامها الخبير صاعدة الجبل الذى تقع القلعة على راسه مع طريق ضيق ملتو مجهول بالنسبة للمغيرين الى ان وصلوا الى الباب حيث وجدوا الحارس نائما فقتلوه بالسيف حتى لا يسمع الجنود اطلاق الرصاص .. واخذوا بندقيته وساروا يتسلقون القلعة .. الى ان وصلوا اعلاها فاطلقوا النار على الجندى المكلف بالمراقبة وكان بجواره كلب بوليس قتلوه هو الاخر وارتفعت صيحات التكبير فى ارجاء القلعة .. وكان اول المكبرين الشيخ « سالم » كما هو الاتفاق بينه وبين زملائه المجاهدين .

وفى سكون الليل قبل الفجر بقليل ترددت فى متاهات الصحراء اصداء التكبير والطلقات النارية .. فبثت الرعب والفزع فى جنود المعسكر الذين كانوا يغطون فى نومهم .. فاشجعهم هو الذى تمالك اعصابه وعرف طريق الفرار حافى القدمين حاسر الراس فى لباس النوم واقتحم المجاهدون مخزن السلاح والذخيرة وتسلحوا جميعا .. وتم لهم الاستيلاء على القلعة دون خسائر تذكر .

وفى الصباح لحق بهم بقية المجاهدين الذين تركوا غربى سبها يحرسون الابل .

او ساعدهم باستثناء الحطمانى — الخبير — الذى سبق ذكره .

وبعد معركة « القاهرة » بسبها وسقوطها بيد المجاهدين .. اندلعت الثورة فى كافة البلاد .. وحاولت ايطاليا ارجاع هيبتها فلم تفلح .

الثأر والهزيمة ..

موقعة (مرسيط) ٧ من ابريل

يتحدث الاستاذ « خليفة التليسى » فى كتابه المذكور — وهو يعتبر اعظم مجهود تاريخى قدم للجهاد الوطنى حتى الان — قائلا فى معركة وادى مرسيط :

سالم عبد النبى الزنتانى

وهكذا استطاع اربعون مجاهدا اقتحام قلعة سبها الحصينة والاستيلاء عليها دون مساعدة احد باستثناء ذلك المجند الوحيد الذى اجبر قسرا على ان يقود المجاهدين الى الطريق المؤدى للقلعة فى [حين] ان الايطاليين يقولون فى مصادرهم ان الجنود الفزانيين الموجودين بالقلعة ساعدوا المجاهدين فى احتلالهم لها .. ولقد ردد ذلك الاستاذ « خليفة التليسى » فى كتابه « معجم معارك الجهاد فى ليبيا » معتمدا على المصادر الايطالية التى تريد ان تخفف من هزيمتها ..

ولقد كنت اتمنى ان يكون ذلك حقا — ولكن جميع الذين التقيت بهم سواء اكان من الحاضرين فى المعركة ام من الذين عاشوها نفوا ان يكون اى مجند مع الايطاليين ساهم معهم

« على اثر الثورة التى اندلعت فى القبلة والجنوب .. وادت الى انسحاب الحاميات الايطالية بالدواخل . وتقلص النفوذ الايطالى .. ابدى الوالى الجنرال « تاسونى » محاولات يائسة للتشبث بالمواقع التى كانت بيد الايطاليين .. وكان يستجيب فى ذلك الى توجيهات الحكومة المركزية التى هالها انهيار الوضع .. والشعور الشخصى بعدم وجود ما يبرر هذه الانسحابات الواسعة . وقد اندفع تالي هذا الشعور المغرور الى تشكيل قوتين كبيرتين .. للقيام بعمليتين حربيتين رئيسيتين فى القبلة ، ومنطقة سرت .. وقد انتهت الاولى بالهزيمة المنكرة التى تعرضت لها القوة الايطالية فى « خرمة الخيامة » .. [illegible] « مرسيط » والثانية فى معركة

القرضابية المشهورة » .
والواقع أن الايطاليين جهزوا ثلاث حملات . لاأدرى كيف أهمل الاستاذ « [illegible]يفة » ذكر الثالثة .. ربما لأن الايطاليين كتموها فى مصادرهم .
فالحملة الثالثة خرجت من جادو — فى نفس الوقت الذى خرجت فيه حملة مرسيط وحملة القرضابية — متجهة الى غدامس لحمايتها من القوة المجاهدة التى استولت على « أوبارى وادرى » بقيادة « المهدى كنيفو والدحنوس الزنتانى » وأخيرا التحق بهما « خليفة بن عسكر » فى

وذهب الرجل البوسيفى يصرخ للمجاهدين الذين كانوا بالقرب من المكان فتسارعوا اليه دون تنظيم ودون قيادة ايضا واستطاعوا ان يكروا القوة الغازية والتى قوامها « ٧٨ » جندا باتحمام «المهارى» فغنموا « المهارى » والاسلحة وساقوا الجنود اسرى وارجعوا للبوسيفى « مرحوله » وكان ذلك فى وادى « مرسيط » .
ولقد حضر المجاهد « بلقاسم المعلول الزنتانى » هذه المعركة والتى تليها وهو من ابرز مجاهدى المحلة ومن اهل الراى والمشورة فيها اجتمعت به وحدثنى عن المعركة

وشيخ الفتوى وتبيين الحرام والحلال .. كما كان الشيخ « البدرى الازهرى » يتمتع بين جد[illegible] الزنتان بمكانة مرموقة مما جعله القائد الفعلى للمحلة .. ومن اصحاب الراى فيها ايضا « بلقاسم المعلول » والحاج سالم الشائبى » وجميعهم من الزنتان .
وبعد معركة « مرسيط » الاولى والاستيلاء على « ٧٨ » مهريا قامت القوات من غريان ومزدة بالتحشد لحماية الزرع وابعاد المجاهدين عن المناطق المزروعة فى الوديان » .
وكانت القوة الايطالية بقيادة

ليخبرنا أن العدو خرج فى قوة كبيرة ونزل فى « فم السدو »
ومن هناك تحرك ابراهيم التاكوع والسنى بن الحاج احمد ليستطلعا العدو ويرسلا اخباره للمحلة » .
وسار « بلقاسم المعلول » وعبد الحفيظ الزبريق » الى المحلة التى بقيت فى « الزميلة » ولما وصلا الى « سبع البل » وجدا آثار المحلة قد تركت « الزميلة » متجهة الى « قرارة تانجية » فتتبعا اثرها حتى وصلاها . وبقى « ابراهيم التاكوع والسنى بن الحاج احمد » برقبان العدو . فرحل من « فم السدو » ونزل الليلة

سانى يقود ٤٠ مجاهداً ويقتحم بهم القلعة

رملة « مزوم » بين « غدامس ودرج » ..
وهناك دارت المعركة واستولى المجاهدون على « درج وسيناون » وقطعوا خط الرجعة على القوة الايطاليــة التى وصلت الى غدامس وعزلت هنــاك .. فانسحبت من طريق الحدود التونسية حيث حمتها فرنسا انذاك ورجعت للساحل وبعد هذا الاستطراد نعود الى معركة « مرسيط » .

كيف دارت المعركة فى فروتن (مرسيط) ٦ — ٧ من ابريل ١٩١٥

قبل هذه المعركة بايام اعتدى مجموعة من الجنود الايطاليين « المهارى » على « مرحول » [illegible] فى وادى مرسيط واخذوا الابل بما عليها واستاقوها . .

قائلا :
« كنا نجوب القبلة ونغير على مواقع الايطاليين بين الفينة والاخرى وكان الزرع ذلك العام جيدا والناس فى المناطق المسيطر عليها الايطاليون لا يستطيعون الخروج لحصد زرعهم خوفا من بطش المجاهدين الذين يعتبرون الاهالى — الواقعين تحت النفوذ الايطالى ولم يلتحقوا بالثورة — « مطليين » ويناله ما ينال الطليان من العقاب .
« ولقد استغل المجاهدون فرصة وجودهم بالقرب من مزارع القمح والشعير فقاموا بحصد الزرع لنتزود به ولاطعام المجاهدين وعائلاتهم » .
[illegible] السنى بمثابة الرئيس الروحى للمحلة .. فهو الامام للصلاة

الكولونيل « جانيتزى » قائد منطقة غريان العسكرية ، حيث جمع قوة تتالف من « ١٤٠٠ » مسلح لضرب محلة المجاهدين .
ويقول المجاهد « بلقاسم المعلول » — أحد اركان حرب المحلة — : « سمعنا بالتحركات والتجمعات التى يقوم بها العدو فى مزدة عن طريق رجل من اهالى قنطرار سكان مزدة .. فذهبت فى اربعة من الخيل للاستطلاع الى مشارف مزدة ، وكان الى جانب بلقاسم المعلول ابن عمه السنى بن الحاج احمد وابراهيم التاكوع وعبد الحفيظ زربريق .. وجميعهم من الزنتان .
قال : —
« وعندما وصلنا الى منطقة [illegible] ارسلنا شخصين الى مزدة للاستطلاع فعاد لنا احدهما ليلا

الاخرى فى « ليبقلة » « تصغير باقلة وهى شجرة صحراوية تأكلها الابل » والمكان بالحمادة سمى باسمها .. فتركاه هناك وسارا ليلا الى المحلة ليخبراها خبره وقرب وصوله . ويستمر بلقاسم المعلول فى روايته :
« وفى الصباح كنا على استعداد لملاقاته وعرفنا انه سيصعد مع وادى مرسيط الى مرتفعات فروتن » وهى مجموعة من المرتفعات الصغيرة على شكل حدوة حصان تعترض الوادى من الامام .
وعند الظهر صلى بنا الشيخ البدوى وبعد الصلاة كانت القوة تقترب منا وتقترب حتى لم يعد يفصلها عنا الا مرتفعات فروتن البسيطة ثم اوقفت نصب الخيام .. وقام بعض الجنود باشعال النار لاعداد

الوحدة العربية ص٧

عرض كتاب
خليفة بن عسكر : الثورة والاستسلام
تأليف : محمد سعيد القشاط

مصطفى هويدي

جاء كتاب : (خليفة بن عسكر الثورة والإستسلام) لمؤلفه محمد سعيد القشاط والصادر عن المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان . في أربعمئة وخمس عشرة صفحة من النوع الكبير إلى حدما . والكتاب مجلد وطول صفحاته ٢٨.٥ سم وعرضها ٢٢.٥ سم وهذه هي الطبعة الأولى الصادرة سنة ١٩٨٠ م . هذا وقد قسم الكاتب مادة الكتاب إلى أربعة عشر فصلا إضافة إلى التمهيد والخاتمة . وفي البداية أحيي الكاتب للجهد والمجهود اللذين بذلهما في إعداد مادة هذا الكتاب ولاهتمامه المتزايد بشخص خليفة بن عسكر منذ سنة ١٩٦٦ م وجمعه للمادة العلمية عن جهاده وظروف حياته العامة ... هذا المجهود الذي جاء فردياً وفي ظروف صعبة وبامكانات شخصية محدودة ... كما أحيي في الكاتب شجاعته الأدبية وصراحته وجرأته على ذكر الكثير من المواقف المحرجة والغامضة ...

وسأحاول في هذا الاستعراض السريع والمختصر أن ألقي بعض الضوء على بعض صفحات هذا الكتاب الذي — برغم ما جاء فيه من أخطاء متباينة — فإنه وكما يقولون : ليس في الامكان أبدع مما كان . ويكفي أن يكون هذا الكتاب لبنة أولى في طريق تصحيح وإعادة كتابة تاريخنا الوطني . ويكفيه أن يثير الباحثين والمهتمين بالدراسات التاريخية والمثقفين إلى الدراسة والمقارنة والبحث والنقاش وإثارة التساؤلات المختلفة ... وعموماً فلولا الخطأ ما اكتشف الصواب ... كما أن أي مسار لابد له من مطبات أخطائية : والجمود وحده فقط خال من الخطأ والتعثر ... ولايوجد عمل — مهما كان نوعه — مثالي متكامل .. خال

من للنقص والخطإ والابداع والخلق والابتكار .. اللهم إلا نسبياً

ان معظم المحاولات في كتابة تاريخنا الحديث والمعاصر جاءت مليئة بالنقص والأخطاء . وظهر في الكثير منها الروح العصبي والمزاج الشخصي والنعرة القبلية والطعن في الزعامات الوطنية والجهاد الذى قامت به أيام الشدة ... إنه لمن الخطإ والنكران أن نسخر من آبائنا وأجدادنا وألا نعطيهم حقهم، لأن من خلالهم صوابنا، ومن جورهم عدلنا، ومن جهلهم معرفتنا ، ومن قساوتهم رحمتنا عليهم ، ومن عتمتهم نورنا ، ومن كفاحهم حريتنا ، ومن حروبهم شجاعتنا ..

وهكذا ... أصبح الواحد منا يتخبط بحثاً عن الحقيقة التى لم يتوصل إليها بعد ، وجاء افتتاح مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالى إحدى قلاع ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة في سنة ١٩٧٨ م وأخذ هذا المركز يتحرك سريعاً فتمكن الباحثون به من تسجيل الرواية الشفوية تسجيلا علمياً سليماً ، وجمع الوثائق والمخطوطات والصور وكل ما يحصلون عليه ويفيد دراسة حركة الجهاد الليبى ، وعمل بانجاز المركز مشروعاً استبيانياً علمياً يخص الجهاد والمجاهدين وانتهى المشروع بنجاح ، وعمل المركز أيضاً على ترجمة بعض الكتب الايطالية والتركية والأجنبية الأخرى لإتمام الفائدة وتسليط الضوء على وجهة نظر الأطراف الأخرى ، وكذلك عمل المركز على نشر وتأليف الكثير من الكتب والدوريات ، هذا إضافة إلى تصوير الكثير من المخطوطات والوثائق والأرشيفات والمراسلات الموجودة بتركيا والمانية الشرقية والغربية وايطاليا وبريطانيا ... وغيرها .

ولا ننسى جهود المركز في انشاء مكتبة متكاملة تضم المئات من المصادر والمراجع والكتب والدوريات وغيرها من أشياء تهم فترة الجهاد الليبى . ونود أن نقول هنا : إنه إذا كان في السابق من الصعب لشخص بعينه أن يقوم بعملية الكتابة والتأليف وبصورة علمية سليمة لأن ظروف ومنهجية ومادة هذه الكتابة قد لا تتوفر لديه بامكاناته الشخصية المحدودة ؛ فإن مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالى قد وفر على جميع الدارسين الكثير من الصعوبات والمشاكل ... ويكفى انه يضم الآن الكثير مما يحتاج إليه الدارس والباحث لفترة حركة الجهاد العربي الليبى ضد الغزاة الايطاليين ١٩١١/١٩٣١ م .

وبصورة أخوية سمحة هدفها الوصول إلى ما يسمى بالكمال أو الرقي إليه أتناول وفي عرض مبسط مختصر بعض الفقرات التى أرى أنها لو استبدلت وجيء بها بصورة أخرى غير التى عليها لأعطت للكتاب صورة أجمل وأجود ؛ كما أن هذه الملاحظات القصد منها الروح العلمى والتكامل العلمى المنهجى لإتمام الفائدة للجميع ، وليعتبرها الأخ القشاط أنها من أخ وزميل كان سيقولها له (لو أمكن) قبل نشر وطباعة الكتاب ، وعلى سبيل المثال لا الحصر أورد الآن بعض الملاحظات البسيطة التى حكم عليها الأخ القشاط

حكماً نهائياً وهو في الحقيقة حكم لا يزال يحتاج إلى الدراسة والمقارنة والتنقيح والبحث... والملاحظات هى :—

١ — جاء الكتاب تحت عنوان : (خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام) الكلمة الأولى الثورة التى تبدأ بالنسبة إلى ابن عسكر من معركة «القن عمران» نوفمبر ١٩١٤ م، والكلمة الثانية الاستسلام لسنة ١٩٢٢ م أى أن الفترة التى كان على الكاتب أن يتناولها بالبحث والدراسة هى فترة (نوفمبر ١٩٢٢/١٤ م) ولكنه تناول معظم فترة الجهاد زمنياً ، وانتقل جغرافياً إلى الحديث عن مواقع أخرى لا تخص ابن عسكر كما أن الكاتب يعترف في ص ٣٠٧ أن كتابه يضم صور الأشخاص الذين لعبوا دوراً هاماً سواء الذين جاهدوا أو انضموا للطليان أو أولئك الذين هم « بين بين » كما يقول ، ومعنى هذا أن كتاب القشاط يتناول كل فترة الجهاد وبجميع أوضاعها بينما عنوان الكتاب : (خليفة بن عسكر ....) كما أن الكثير من الصور لا علاقة لها بعنوان الكتاب أو حياة ابن عسكر العامة .

٢ — كنا نأمل من الكاتب أن يغوص في حقيقة ابن عسكر وحقيقة ثورته ، ووضعها وظروفها، وظروف استسلامه إن كان ذلك استسلاماً، وماله وما عليه، ولكن الأستاذ القشاط لم يعمق البحث في حقيقة ابن عسكر ولم يحلل شخصيته وثورته وما سماه باستسلامه، ولم يقارن هذه الأشياء بالظروف التى كانت تجرى في ليبيا والعالم بحكم أن العالم كله كان مرتبطاً بما يدور في الحرب العالمية الأولى ١٩١٨/١٤ م .

٣ — كان الكاتب رائعاً في حصوله على العديد من الوثائق والمحافظة عليها وتقديمها في صورة سليمة، وهنا أطلب من الأستاذ القشاط —وبكل روح التعاون والاخاء والمنفعة القومية — أطلب منه أن يزود شعبة الوثائق والمخطوطات بمركز الجهاد بصورة من الوثائق التى في مكتبته ، لكى يحتفظ المركز بصورة منها لحفظها في أرشيفه ولوضعها في متناول الباحثين ولتساهم في نشر الحقيقة العلمية، ونشير هنا كذلك إلى أن الكاتب جاء تفسيره واستخدامه لبعض الوثائق بصورة غير سليمة ، كالوثيقة المنشورة بصفحة ٣٧٣ وهى عبارة عن رسالة من محمد شلابي إلى أحمد المريض يعلمه فيها أن سليمان الباروني يكتب مكاتيب في بعض أناس من الزاوية يشوههم فيها وكذلك تفسير الكاتب للوثيقة المنشورة بصفحة ٣٨٢ ، وكذلك تفسير الوثيقة في صفحة ٣٦٩ من محمد فكيني إلى هيئة الاصلاح المركزى ، وأيضاً الخطأ في تاريخ الوثيقة بصفحة ٣٦٦ ، وصفحة ٣٦٤ .

٤ — في صفحة ١٦ يقول الكاتب : « بعد انسحاب تركيا وبقاء الليبيين لوحدهم في الميدان انقسم سكان طرابلس إلى قسمين : القبائل التى تقع غربي غريان جميعها كانت

ضد التسليم ، والمناطق التى هى شرق غريان كانت تؤيد التسليم باعتبارها من رعايا تركيا » وهذا في الحقيقة غير سليم وصحيح لا في التسليم وعدمه ولا في التقسيم الجغرافي ولا في الإرتباط بتركيا .

٥ ـ إن أسلوب الكاتب في طريقة التعبير عن فكرة معينة أو رأى خاص كان أسلوباً ضعيفاً وفقيراً في لغته ... ويظهر ذلك واضحاً في الصفحات ١٨ ـ ١٩ ـ ٢١ ـ ٢٤ ٩٥ وغيرها .

٦ ـ يذكر الكاتب اسماء لأماكن معينة ولا يتحقق منها أو يصفها ويحددها بحيث تكون صورتها واضحة أمام القارىء ، فمثلا يذكر في ص ٢٧ (وصلوا إلى وادى الثلث) (واتجهوا إلى وادى اوال) واسماء ومواقع كثيرة في صفحات عديدة أنظر مثلا ص ٩٥ ـ ٩٦ على سبيل المثال .

٧ ـ يذكر الكاتب في ص ٢٧ (أن مجموعة من المجاهدين بها «كورى» على الطوارق..) لم يعرفنا الكاتب على شخصية «كورى» فهل هو الزعيم التارقي محمد كوسن ؟ أوهل هو «كورى» قائد قبيلة منغساتن التارقية ؟ أو هل هو كورى آخر ؟

٨ ـ اعطاء الكاتب بعض المواقف صورة تزيد عن حدها وتحميل الأمور أكثر مما تحتمل كما جاء في ص ٣٧ : « إن مجاهداً في أثناء معركة لايملك بندقية فزحف وقبض على جندى ايطالى وقتله وافتك سلاحه » .

٩ ـ يفسر الكاتب بعض الأقوال بطريقة غير سليمة ، فمثلا ،في ص ٤٩ يقول محمد فكيني : (.. لو واحد مطلين زيى حتّى يدخلوه للطليان معليش) وهذا اعتراف صريح وواضح وجاء أمام بعض زعماء المجاهدين ، إلا أن الكاتب يفسر قول فكيني هذا بأنه نوع من التواضع في الجهاد ومن المعروف أن فكيني له مواقف معروفة تجاه الايطاليين ، وأذكر بالبيت الذى قاله الربعى :

افكيني وبن شعبان لحقوا احسـونة   وباعـوا ضرارى حبهم طواحى

وأذكر كذلك ـ ومن داخل الكتاب ـ برسالة فكيني إلى المريض التى يقول فيها : « ونحن اتفقنا على أنه من لايخضع للقانون الأساسى نخضعه له حباً أو كرهاً .. » وهنا أيضاً يظهر تواضع فكيني بوضوح « ص ٣٦٩ » .

كما أن غراتسياني أورد في كتابه : « نحو فزان» ص٤٢٣ رسالة فكيني إلى جاليانى يقول له فيها : « ان ابنى حسن قد درس في المدرسة الايطالية وانضم إلى حزب الأحرار فانه ذهب إلى وزارة المستعمرات للتحدث مع المسؤولين فيها وعند عودته قمنا بمقاتلة البارونى وابن عسكر ومات ابنى حسن في ساحة المعركة ...) وجاء في نفس الرسالة : (ولما رأيت أن البارونى يعمل لنفسه «وجماعته» فقط

فإننى كنت أول من استسلم ... ولم أتأخر عن العمل في القتال معكم وعن عمل كل شيء لمصلحتكم كما يعرف جنابكم ..)

١٠ ـ ذكر الكاتب بعض الشخصيات وردت في الكتاب تحت عنوان : (شخصيات في حياة ابن عسكر) وللأسف لم يبين لنا الكاتب نوع العلاقة بين هؤلاء : «نصف البوتسعين أحمد العياط» و« عمر ابيالة» والراجح أن هذين الرجلين لا علاقة لهما بخليفة بن عسكر .

١١ ـ في الصفحة رقم ٢١٨ يذكر الكاتب أن هناك مراسلات بين البارونى والايطاليين .. إلا أنه لم يبين ويوضح نوع هذه المراسلات ومتّى كانت وما الغرض منها وما ترتب عليها ... ؟ وكذلك فانه لم يشر إلى مصدرها أو يأتي بصورة لها تمكن القارىء من الاطلاع والاقتناع .

١٢ ـ في الصفحة ١٠٨ يذكر الكاتب أن قائد الجند لمعركة (الجوش) هو مولود الشقرونى إلا أن الرواية الشفوية بمكتبة مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالى الصوتية تؤكد أن عيسى البارونى هو الذى قاد هذه المعركة (الجوش) ، ثم إن الكثير من المعارك جاء بها أخطاء في قيادتها وتاريخها ونتائجها... فمثلا معركة «السميدة» التى جاء ذكرها في الصفحة رقم ١١٤ لم يحدد لها الكاتب تاريخاً محدداً ولا موقعاً لماذا ؟ لا ندرى ...

١٣ ـ يذكر الكاتب في صفحة ١٢٠ أن سليمان البارونى ساهم في إدارة الجهاد في بعض الأحيان ولكنه لم يشترك في القتال إلا نادراً .

ولم يوضح الكاتب لنا الفرق بين إدارة الجهاد والاشتراك فيه . هذا وتبين وتوضح الرواية الشفوية بالاجماع أن البارونى كان وسط المجاهدين مخططاً وقائداً ومرشداً ومسؤولا أول من أوائل المعارك الأولى اثر الغزو الإيطالى إلى جندوبة ١٩١٣م، إلى معارك العجيلات والشريط الساحلى، إلى معركة السدرة ودارت هذه المعارك الأخيرة برجوع البارونى من تركيا أواخر سنة ١٩١٦ م واستمرت إلى سنة ١٩١٨ م .

١٤ ـ وفي الصفحة رقم ٩٥ يذكر الكاتب : (وكان سليمان البارونيقد وصل عن طريق السلوم وأوقفه أحمد الشريف حوالى ثلاثة أشهر لعلمه أن البارونى يكاتب جهات مشبوهة ...) والحقيقة أن المدة التى قضاها البارونى مسجوناً في برقة من قبل أحمد الشريف لأسباب معينة لا داعى للخوض فيها الآن هى أكثر بكثير من ثلاثة شهور بل وأكثر من ضعفها أيضاً إذ إن بداية اعتقال البارونى كانت في اوائل شهر فبراير

سنة ١٩١٥م (١) وتم اطلاق سراحه في ديسمبر سنة ١٩١٥م (٢) وهذا ليس مهماً بقدر أهمية الجهات المشبوهة التى يكاتبها الباروني ... فالكاتب لم يوضح ذلك ويتعرض له .

وفي نفس الصفحة يقول الكاتب: «وفي أحد الأيام وصل الباروني إلى العجيلات»(٣) واعتقد أن هذا الأسلوب هو أسلوب قصصي لا يَنم للعملية التاريخية بشيء ولا للمنهجية الملتزمة بروح الانضباط والامانة العلمية . وفي الصفحة نفسها يقول : « ثم رحلوا للعقربية » ولا داعي للتعليق .

١٥ — ويذكر الكاتب في صفحة ٩٦ : «وقعت للمجاهدين عدة معارك بالعجيلات ذكرها الشيخ الطاهر الزاوى في كتابه جهاد الأبطال ولا داعي لتكرارها ، ولكن الموقعة التى لم يذكرها هى موقعة الشبيكة .. »

أولا: إن الطاهر الزاوى لم يذكر كل المعارك التى دارت على الجبهة الرئيسة للجهاد في العجيلات ، فالزاوى ذكر ثلاث أو أربع معارك بينما تزيد عدد معارك العجيلات عن الست عشرة معركة .

ثانياً : يفترض ان الشيخ الزاوى ذكر كل معارك العجيلات ، ولكن كان يجب على الأستاذ القشاط أن يذكر تلك المعارك ويضيف إليها الجديد لأن الكثير من القراء لا يملكون نسخاً من كتاب الزاوى .

ثالثاً : عندما قرأنا عبارة ان هناك معركة واحدة لم يذكرها الشيخ الزاوى انبعث سرور في نفوسنا حقيقة ولكنه سرعان ما تلاشى ، ذلك أن الكاتب — وبذكره لمعركة جديدة (الشبيكة) ومجهولة — كتب عنها سطراً واحداً ليعرف بها القارىء وبدون تاريخ محدد ولا موقع معين .

١٦ — وفي الصفحة رقم ٧١ يقول الكاتب: «أما الباروني فلم يصل إلى طرابلس إلا في أوائل سنة ١٩١٦ م» والحقيقة أن الباروني وصل إلى ولاية طرابلس قادماً من تركيا في أواخر سنة ١٩١٦ لا في أوائلها وذلك بتاريخ ١٧ من ذى الحجة سنة ١٣٣٤ هـ الموافق ليوم الخامس عشر من شهر أكتوبر ١٩١٦ .

(١) — انظر زعيمة البارونى ، صفحات خالدة من الجهاد ، ١٩٦٤ ، ص ٥٠٤ ، القاهرة ، مطابع الاستقلال الكبرى

(٢) — الطاهر الزاوى ، جهاد الابطال ، ص ٢٦٣ .
عبد المولى الحرير ، مذكرات انور باشا ، ص ٣٣ .

(٣) — كان وصول البارونى إلى مصراتة قادماً إليها من تركيا فى شهر أكتوبر سنة ١٩١٦ م ، والراجح انه ذهب إلى قيادة جبهة المجاهدين بالعجيلات فى أواخر شهر ديسمبر سنة ١٩١٦ م حيث دارت معركة — الجديدة يوم ١٦ من يناير سنة ١٩١٧ التى شارك فيها البارونى وتولى قيادتها .

١٧ — وفي الصفحة ٩٧ يذكر الكاتب أن معركة العقربية كان على رأس المهاجمين فيها أبو بكر بوسنوقة والحقيقة أن بوسنوقة كان مجاهداً شجاعاً وشارك بالمعركة ولكنه لم يكن قائداً لها (٤) .

وفي نفس الصفحة يذكر الكاتب أن معركة الجميل حدثت يوم ١٥ من أكتوبر سنة ١٩١٨ م والحقيقة أن ذلك غير صحيح والأكيد أن هذه المعركة حدثت يوم ٥ من أكتوبر لا ١٥ منه وجاء ذلك واضحاً في موسوعة معاركنا الاستعمارية للجنرال بولاني التى نشرت في سنة ١٩٣٦ م بمدينة تورينو ، وأيضاً ورد هذا في كل المصادر العربية والأجنبية .

١٨ — يذكر الأستاذ القشاط في ص ٢٢٧ « أن الشيخ سوف كان أحد قادة معركة الأصابعة (جندوبة) » التى حدثت طبعاً سنة ١٩١٣ م في أواخر شهر مارس ٢٣ إلا أن الشيخ محمد سوف لم يكن حاضراً أصلا في معركة جندوبة وليس هناك مصدر يدل على حضوره المعركة ، ويقول الشيخ الطاهر الزاوى في كتابه «جهاد الأبطال ص ١٧١» : (وطير الخبر — الهزيمة في جندوبة — إلى الشيخ سوف بناحية زوارة بالواقعة) .

ويقول الأستاذ محمد بن مسعود فشيكة في كتابه : «رمضان السويحلى» ص ٦٦ : «كان الشيخ سوف المحمودى يرابط في بئر الغنم — في أثناء المعركة — على رأس ألف وخمسمئة (١٥٠٠) من المجاهدين .. » .

وقد وصف معركة جندوبة أحد الضباط المجاهدين وهو « خليفة خالد » الذى كان حاضراً لمعركة جندوبة .. وجاء وصفه هذا في « مذكرات ضابط ليبي » بمجلة الأفكار الموجودة بمكتبة مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالى .

وقد نشر الحاج محمد الاسطى النص المروى له عن معركة جندوبة من الضابط خليفة خالد ... في جريدة البلاغ الطرابلسية الصادرة يوم ١٦ من ابريل ١٩٧٣ م ، وقد نقل الأستاذ فشيكة في كتابه : (رمضان السويحلى ص ٦٥ الفقرة الخاصة بقيادة المجاهدين في معركة جندوبة ولم نعثر على اسم الشيخ محمد سوف كأحد القادة في هذه المعركة » .

١٩ — يذكر الأستاذ القشاط في ص ٩٣ (أن معركة الحوى الأبيض حدثت في شهر يونيو سنة ١٩١٦ م) ويذكر في ص ٩٤ (أن بلقاسم خيشة قد قتل في هذه المعركة ..) ويأتي في ص ٢٤٠ ويقول : « إن بلقاسم خيشة خاض عام ١٩١٦ م معارك فساطو ، وفي صيف ١٩١٧ م قاد المجاهدين للهجوم على نجع الشيخ حرب النائلى في الحوى

(٤) — تؤكد الرواية الشفوية (شريط رقم ٧٥/٦ ، ٧٦/٦ ، ٤٩/٦ مثلا على أن أحمد باشا المحمودى هو الذى قاد المجاهدين فى معركة الشبيكة .

الابيض حيث قتل ... » وهذا تناقض واختلاف واضح في نفس الرأى وفي صفحتين من نفس الكتاب مما يجعل القارىء حائراً في الوصول للحقيقة .

٢٠ ـ عند الحديث عن سلطان بن شعبان ص ٢٣٧ يذكر الأستاذ القشاط انه «أى ابن شعبان » اتصل بالطليان عام ١٩١٢ م وهو من أوائل المتطليين في المناطق الغربية ، ويبرهن القشاط الذىفند آراء الشيخ الزاوى في تطلين ابن شعبان وتاريخ ذلك (١٩١٥) على رأيه في تطلين ابن شعبان ابتداء من سنة ١٩١٢ م بالآتي :

(أ) قصيدة قالها الشاعر خليفة الربعى عام ١٩١٣ م جاء فيها : ـ

افكيني وبن شعبان لحقوا احسونة وباعوا ضرارى جبهم طواحي

ان هذه القصيدة لا يمكن لها أن تقال سنة ١٩١٣ م والا فانها لا تعطى نفس الإفادة المطلوبة منها ، ففى سنة ١٩١٣ م وعند الهجرة الليبية إلى تونس عندما قال الربعى قصيدته هذه (كما ذكر القشاط) فان ابن شعبان كان مهاجراً مع المجاهدين وهارباً معهم من ظلم وجور واحتلال الطليان لولاية طرابلس ، وكان سلطان مع الباروني وسوف وحرب النائلى والربعى أيضاً كان معهم في تونس بعد فشل المجاهدين في معركة جندوبة .

وإذا كان ابن شعبان قد لحق «باحسونة» على رأى الشاعر الشعبي الربعى،فهذا مخالف للواقع ، ذلك أن ابن شعبان لم يلحق باحسونة في طرابلس بل إنه هاجر مع المجاهدين إلى تونس وعاش بينهم هناك، ثم إنه إذا كان ابن شعبان قد تطلين منذ سنة ١٩١٢م فما المانع لديه من الذهاب إلى طرابلس والتفاهم مع محبيه وأصدقائه الطليان ومن ثم بقاؤه في زوارة حاكما باسم النفوذ الايطالى ، وهذا ليس غريباً على ابن شعبان فقد فعل ذلك وأكثر منه فيما بعد وبذل نفسه وجهده وماله ووقته لقتال المجاهدين والقضاء عليهم .

(ب) يبرهن الأستاذ القشاط على رأيه في تطلين ابن شعبان سنة ١٩١٢ م بقصيدة لسوف يقول فيها : :

صيَّام فطرهم على مجيوفه كبير كرشته بوطحش بي زوارة

ويذكر القشاط أن هذه القصيدة قيلت سنة ١٩١٣ م ، وأكرر القول : إن إثبات أن هذه القصيدة حقاً قيلت سنة ١٩١٣ م يحتاج إلى أدلة وبراهين حتى تفى الأحداث حقها علمياً وعملياً ، مع أننى لا أميل إلى رأى القشاط هذا ، ذلك أن ابن شعبان وسوف سنة ١٩١٣ م كانا معاً مهاجرين إلى تونس ، وأغلب الظن أنها قيلت سنة ١٩١٥ م ذلك أن الشيخ سوف في هذه السنة قد استبدل عيسى أبا سهمين محل سلطان ابن شعبان كقائمقام لزوارة ، ويبدو ان سوف له مبررات في تصرفه ذلك ، وان

كان هذا التصرف قد أتي بنتائج لم تكن متوقعة .

وباختصار فإنه لا يختلف إثنان على أن ابن شعبان كان من أكبر أعوان الطليان هو وابنه مسعود وأن أعمالهما لم تخف على أحد ... ويكفى أن الله سبحانه وتعالى قد جازاه على ذلك بأشنع موتة وأفظعها ذلك انه سقط في بئر مائية (سانية) وهو مخمور لأنه كان في استراحة مع بعض الضباط الطليان يتناولون الخمر ، وتختلف الآراء في طريقة موته (٥) فالبعض يقول : إنه كان يريد أن يذهب ليتبول ويعود إلى الجلسة الخمرية ... إلا أنه كان بقرب البئر (الجلسة على الميدة) ونظراً لعدم تحكمه في نفسه فقد جره الثقل إلى قعر البئر ، ويذكر آخرون انه كان قد أنهى السهرة على « الميدة » مع بعض الإيطاليين وكان يريد أن يرجع إلى مكانه المخصص له في المبيت إلا أنه لم يتمالك نفسه وسقط في البئر ، ونقل إلى زوارة إلا أنه توفي بسرعة هناك .

والبئر التي سقط فيها ليست بين صبراتة والعجيلات كما ذكر القشاط في ص ٢٣٨ بل إن البئر توجد شمال شرقي صبراتة (بمحلة الوادى الآن) .

٢١ ـ وفي ص ٢٤٣ يقول الأستاذ القشاط :(.. ولقد بقيت العلالقة آخر قلاع الجهاد في الشريط الساحلي الغربي..) .

ونستغرب من الأستاذ القشاط هذا القول .. ومن أين جاء به ؟ هل من الرواية الشفوية ؟ أو من الكتب العربية الليبية ؟ أو من الكتب المترجمة عن الإيطالية واللغات الأوروبية ؟ أو من الموسوعات ؟ أو من المذكرات الشخصية ؟ أم هل لديه وثائق خاصة ومخطوطات تثبت ذلك ؟

ونعرف ان معظم ما كتبه الإيطاليون عن المعارك الحربية لم تكن بينه إشارة واحدة تصدق قول القشاط هذا ... اللهم إلا معركة واحدة كتب عنها الجنرال بولاني في « موسوعة معاركنا الاستعمارية » التي كتبها سنة ١٩٣٦ م وطبعت في تورينوبايطاليا وهي معركة «قصر تليل» (٦) التي خاضها المجاهدون الليبيون سنة ١٩١٨م في أثناء زحف الايطاليين من زوارة على العجيلات فشرقاً حتى طرابلس ، ولم نعثر على أى كتاب أو دراسة تؤكد قول القشاط هذا ، وكذلك فان الرواية الشفوية بالمنطقة رقم ١ والمنطقة رقم ٦و٢ لم تذكر هذا القول أوتؤكده بل وتذكر جميعها أن الايطاليين

---

(٥)ـ هناك آراء كثيرة لايسمح المجال هنا لذكرها ويمكن الاطلاع عليها في منطقة البحث رقم ١و٦

(٦)ـ قصر تليل مبنى ايطالى على الطريق الساحلى المؤدى إلى العجيلات وزوارة ، والمبنى شمال العجيلات حوالى أربع كيلو مترات .

في زوارة والمجاهدين في العجيلات (٧) وانه جرت معارك عديدة أكثر من ست عشرة معركة من أشهر هذه المعارك سنة ١٩١٧م: (الجديدة في ١٦ من يناير قصر العجيلات في ١٧ من يناير، الدورانية في ٦ من ابريل، قصر العجيلات في ٧ من ابريل – العقربية في ١٨ من مايو – المطمر في ٩ من مايو – غوط الديس في ٣ من سبتمبر – الشيخ أبو عجيلة في ٤ من سبتمبر).

ومن بين معارك سنة ١٩١٨ : قصر تليل سبتمبر – العجيلات سبتمبر – الشبيكة ، والجميل .

كل هذه المعارك دارت رحاها بين الجانبين ولم يستطع الطليان من خلالها تحقيق خطتهم الاستراتيجية في الإطباق على المجاهدين بين طرابلس وزوارة بجيشين إيطاليين يخرجان من طرابلس فغرباً ومن زوارة فشرقاً ، .. وظلت العجيلات دون احتلال إلى سنة ١٩٢٢ م في أواخر شهر إبريل (٨) .

٢٢ – يضم الكتاب حوالى مئة صورة (٩) وهو عدد ضخم جداً من الصور قلما تجد مثيلا له في كتاب ، وقد جاءت بعض الصور في صورة فضولية ، ذلك أن مادة الكتاب العلمية لا تحتاج إليها ، وكان بإمكان الأستاذ القشاط أن يقتصر على القليل والمهم منها فقط ووضعه في مكانه المناسب .... كما أن أصحاب الصور لم تؤخذ أو ترد رواياتهم بالكتاب بل اقتصرت الرواية على أربعة أشخاص أو خمسة برغم أنه بذل جهداً مشكوراً في جمع هذه الصور العديدة للاستفادة منها . وكذلك حدث مع القصائد الشعرية (الزجلية) فهناك البعض منها لاضرورة له .

٢٣ – كان المفروض على الأستاذ القشاط أن يعمل خرائط توضيحية تبين ما ذهب إليه في الحديث عن المعارك والمواقع ، وللأسف فإن الكتاب – برغم تعدد صفحاته – لم يضم خريطة واحدة، وأرجو من الأستاذ القشاط – إذا فكر في إعادة طبع الكتاب من جديد وبصورة جديدة – أن يرفق العديد من الخرائط بالكتاب حتى تكون الصورة واضحة في ذهن القارىء .

٢٤ – أما عن المنهجية فإن الأستاذ القشاط لم يراعها ولم يتبع الطريقة العلمية السليمة في الكتابة ، إضافة إلى اعتماده على الروايات الفردية التى غالباً ما تكون قاصرة وناقصة

(٧) – كانت قيادة المجاهدين العسكرية فى العجيلات سنة ١٩١٧ م (الباروني ،سوف،ابن عسكر الجرم، اسحاق فوزى) .

(٨) – الجنرال امبرودجوبلاتى ، موسوعة معاركنا الاستعمارية ، يونيو ١٩٣٦ م مادة العجيلات

(٩) – عدد الصور بالكتاب ٩٦ صورة ، منها عشر صور للاستاذ القشاط

لأنها تمثل وجهة نظر محدودة ومن جانب معين فقط . ولا يستطيع كاتب او مؤلف أو باحث الاعتماد على رواية واحدة لأنه حتماً سيقع في الخطإ الذى أملته عليه تلك الرواية ، ولكن الإجماع على وجهة نظر أو فكرة محدودة أو رأى بعينه من قبل العديد من المجاهدين يمثل في أغلب الأحيان رأياً سليماً إلى حد كبير ، برغم أنه يفترض مقارنته بما كتب من مختلف المصادر.

وأخيراً فإني أحيي – وبصراحة تامة – الأخ الأستاذ القشاط على جهده وعمله المتواصل لإخراج هذا الكتاب إلى حيز الوجود ، وليت كل العناصر القادرة على الكتابة تتحرك وتكتب وتعمل شيئاً ما مهماً كان نوعه ، المهم العمل، الجهد ، البذل ، العطاء ... أما أن نسكت ونجمد .. وننتظر فهذا فشل وسلبية وعدم قدرة ... وفي نفس الوقت الذى أشكر فيه الأستاذ القشاط ، أتمنى أن يستمر مشمراً عن ساعد الجد وباذلا الرخيص والغالى ... في سبيل الكتابة والنشر حتى يحقق للقراء والباحثين والدارسين غايتهم في إيجاد الكتاب الوطنى في المكتبات والأسواق ...

وأخيراً أسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير أمتنا وأرجو من الأستاذ القشاط أن يعتبر هذا المقال البسيط وجهة نظر تضاف إلى ما كتبه وتضاف إليها وجهات أخرى لتكوّن مع بعضها البعض عملا أقرب إلى الحقيقة العلمية . . . والله الموفق

ملاحظـــــــه :-
نشـرت صفـحـة الـدراسـة فـى مـجـلـة الشـهـيـد / الـعـدد (4) سنـة 1983 م .

ملاحظات نقدية حول المذكرات المنسوبة
لعون سوف المحمودي

مختار الهادي بن يونس
مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي

مقدمة :

في لحظات الغفلة والنسيان ينتهز الانسان الفرصة ليفعل ما يشاء بدون وعي لحقائق التاريخ كما لايتذكر في لحظة الانسياق ان التاريخ مهما تطاول به الزمن فهو لاينسى من ذاكرته ما أوتي من أحداث سواء كانت خيرا ام شرا .

انه لايسجل من اخبار واحداث الماضي الذي هو من صنع وفعل الأفراد الاليكون عبرة وعظة يستأنس بها الانسان عبر مسيرة الحياة في الحاضر وليكون منطلقا وقاعدة نحو المستقبل .

ونحن في هذا الحديث نسوق بدون شطط أو تجن على احد ولانقول الا ماتراه الحقيقة والحكم في ذلك الضمير ملاحظات اولية بدون تحفظ وخشية عما سمي مذكرات عون بن محمد سوف المحمودي وهي مذكرات سياسية حربية كتبت عن الحرب الأهلية المؤسفة والمحزنة بالجبل الغربي التي ظلت نارها مستعرة طيلة سنتي ٢٠ و١٩٢١ م والتي استغلها الايطاليون أبشع استغلال ثم تناولت الحرب الليبية الايطالية باقليم طرابلس الى حين الانتهاء من معركة المشرك بجنوب مصراته سنة ١٩٢٣ م .

وهذه المذكرات توجد بشعبة الوثائق والمخطوطات بمركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي بملف عون بن محمد سوف تحت رقمي ٢٣ /أ - و ، ب ، و ج ، و ٣٨ /أ - و د ب ، أي لها خمس نسخ . (١)

وقد تم الحصول عليها من حفيد عون وهو محمد بن احمد بن عون حين اتصل به الباحث محمد البوجديدي الذي أودعها بارشيف الشعبة حيث وثقت وسجلت رسميا ضمن محتوياتها على ذمة البحث والدراسة .

وقد ظلت هذه المذكرات محفوظة بارشيف الشعبة ولم اطلع عليها الابعد صدور كتاب معارك الدفاع عن الجبل الغربي ، لمؤلفه الاستاذ محمد سعيد القشاط فالفيت بين دفتيه نصوصا كثيرة علوها ١٦ نصا تتفاوت في الحجم مابين سطر الى الخمسة عشر سطرا كشواهد منقولة عما قيل عنها أنها مذكرات عون بن محمد سوف (٢) الامر الذي حفزني أو دفعني الى الاهتمام بها والاطلاع عليها من خلال الأوراق التي اطلعت عليها تبين او تكشف لي بكل وضوح من خلال أسلوب حقيقة المذكرات اولا وخلوها من اية بيانات ثانيا عدم صحة نسبة هذه المذكرات لعون [illegible] غير صحيح وهو مجرد انتحال الامر الذي يجعلني أتحفظ في نسبتها بالقول [illegible] مجهول

١- [illegible] وتوثيق نسخ المذكرات تم من قبل كاتب البحث
٢- [illegible] نصوص المذكرات المنشورة لدى محمد سعيد القشاط ، معارك الدفاع عن الجبل الغربي ١٩٢٢م - ١٩٢٥م طرابلس ، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان ، ١٩٨٣م ص ٩٢ - ١١٣ - ١١٩ - ١٢٢ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٨ - ١٤٤ - ١٥٧ - ١٦٣ - [illegible] - ١٧٣ - ١٧٤ - ٢٤١ - ٢٤٢ .

الصفحة الاولى من الدراسة التي اعدها الاستاذ مختارالهادي بن يونس وتناول فيها بالنقد المذكرات التي نسبت الى عون سوف المحمودي، وقد اثبت ان نسبتها اليه انما هي تزوير متعمد وهو تجني على التاريخ الوطني.

وفضلا عن ذلك وجود كثير من الفروق بين كل نسخة وأخرى كما أن ببعضها اسقاطا وتغييرا لاجل انتحال نسبتها وسأبين ذلك تفصيلا باعداد ملاحظات مبدية حولها للقارئ ليتضح له حقيقتها وليكن القارئ على يقين من الترامي بحرفية النص وعدم التدخل فيه بأي شكل من الاشكال .

عون بن محمد سوف المحمودي :

نسبه عون بن محمد سوف بن محمد اللافي المروري المحمودي السليمي أصلا ولد بصرمان سنة ١٨٩٣ م ونشأ وترعرع في كنف والده الذي لم ير الاستقرار الأبعد ان اتفق مع الاتراك وعينوه مديرا لبئر الغنم ثم نقل الى مزده كمدير لها والتي ظل بها الى سنة ١٩١١ م (٣) حين نزول الايطاليين الى بر ليبيا غزاة وكان وقتها عون صغير السن لم يتعد عمره الثامنة عشرة سنة وفي ظل هذه الظروف السياسية والاجتماعية مع حالة التعليم المتدنية التي كانت سائدة آنذاك لم يحظ الابقليل من التعليم ، ومن خلال رسائله أرى ان مستوى تعليمه وثقافته متواضع ومحدود اذ لم تمكنه ظروفه من الدراسة والتحصيل وقد أكد لي ذلك كثير ممن يعرفونه معرفة شخصية .

وفي سنة ١٩١٣ م هاجر الى تونس ومنها الى سوريا صحبة والده والتي ظل بها الى سنة ١٩٢٠

وفي سنة ١٩٢٠ م عاد الى ليبيا في بداية اشتعال نار الفتنة بين اهل الجبل ، وشدتها كانت أقوى من أن تترك المرء دون الانحياز الى أحد الطرفين .

وفي سنة ١٩٢٢ م كان ضمن اعيان المجاهدين يتصدى برجولة وشهامة وثبات للايطاليين عند مابدأوا في التوجه لاعادة احتلال الجبل .

واستمر يقاتل من مكان الى مكان آخر بدون كلل أو ملل بالجفارة ويفرن وغريان وترهونة الى ان هاجر الى اراضي ورفلة

وفي سنة ١٩٢٣ م انضم برجاله الى صفوف المجاهدين واشترك في عدة معارك ضد الايطاليين كان آخرها بجنوب مصراته في معركة المشرك التي استشهد فيها سعدون رحمه الله .

وبعد هذه المعركة ظل ببني وليد الى أن اشترك في التصدي للايطاليين عند غزوهم لها في ٢٣ ديسمبر ١٩٢٣ م بان اشترك في معركة قصر ابن علبون (٤) وبعد احتلال بني وليد مباشرة اتجه شرقا متخذا الطريق للهجرة الى مصر سنة ١٩٢٤ م صحبة والده الشيخ محمد سوف

وفي سنة ١٩٣٠ م عاد الى ارض الوطن زائرا لمدة قصيرة عاد بعدها الى مصر من جديد اذ لم يطب له المقام بها

وفي سنة ١٩٤٥ م اندحر الايطاليون أمام قوات المحور فعاد الى بلده وفي سنة ١٩٤٧ م سافر الى ايطاليا على إثر مرض ألم به ولكن مشيئة الله أبت الا أن تأخذ وديعتها يوم ١٤ اغسطس ١٩٤٧ م بعد أن أجريت له عملية جراحية وهو له من العمر ٥٤ سنة وقد جيء بجثمانه الى طرابلس وشيع في موكب مهيب الى مثواه الاخير حيث دفن بمقبرة سيدي منيذر بطرابلس وذلك بعد ان ابنه الكثيرون من عارفيه واصدقائه رحمه الله .

رموز المذكرات :

قبل البدء في الحديث عن هذه المذكرات علينا ان نحدد ونذكر الرموز التي سنستخدمها في

٣- المصدر نفسه ، ص ٢١٧ .
٤- رواية سالم عبدالسلام الشامي رفيقه في المعركة وهو لايزال حيا يرزق .

المجموعة الثانية ٣٨ / أو ٣٨ / ب وقد تغير اسلوبها بان اصبح الحديث بضمير المتكلم اى اصبح عون بن محمد سوف هو المتكلم والكاتب خلافا لواقع وحقيقة المذكرات .

وهنا اسوق امثلة على ذلك وهى نفس الأمثلة السابقة بعد حصول التدخل فيها بالتحريف :ـ

١ ـ اصبح عون يقول :ـ

« . . وتوجه اليهم العاجز وبرفقتى احمد عبدالمجيد المصرى وقسم من العسكرية ومدفع . . . »

٢ ـ واستمر يقول :ـ

« . . فرجعت انا وقسم العسكرية . . . »

٣ ـ وقال :ـ

« . . وطلبوا منا ان تسلم لهم نفسى والعسكرية والمدفع اسرى . . »

وفى الصياغة الجديدة يلاحظ كثرة استعمال كلمة العاجز فى النسختين كما حصل بها اسقاط ما يزيد على الثلث من مواضع مختلفة ونتيجة لهذا التصرف المقصود لم يعد للمذكرات اية قيمة كوثيقة تاريخية واصبحت لا يعتد بها وهى بشكلها ووضعها الحالى .

انتحال المذكرات :ـ

ونظرا لخطورة مثل هذا التصرف فى المذكرات الذى يتنافى ومنهج البحث الذى يحرم المساس بالنص الاصلى بالتحريف فيه سواء بالاسقاط او الدس[٩] او التعديل بل يؤكد على ضرورة الحفاظ على صورة النص او المتن الاصلى وبالابقاء على كل ما به من عيوب ونواقص لكى يكون مقياسا صحيحا يستدل به على معرفة عصر المذكرات الثقافى والاجتماعى والسياسى من خلال معلومات كاتب المذكرات وما التصرف الذى تم فيها الا تجرد من الامانة العلمية وانتهاك لحرمة نصوصها فضلا عن اهدار قيمتها كمادة مرجعية من اجل انتحال نسبتها لعون بن محمد سوف بحيث اصبحت بضمير المتكلم اى اقحم بعون بان اصبح متحدثا وكاتبا ومؤرخا بدل الحديث عنه بضمير الغائب كعين من اعيان الجهاد والنضال من قبل كاتب مجهول تم ذلك دون التنبه الى خطورة مثل هذا التصرف وما ينجر عنه ويترتب عليه من نتائج وانعكاسات سلبية على قيمة المذكرات وهذا التصرف ليس الاول او الاخير فهناك الكثير من حالات التصرف فى الوثائق بالحذف ـ والزيادة ـ والتزوير ـ والانتحال توجد منها امثلة حية بين يدى تم كشفها مؤخرا قام بها البعض ممن يتطوعون فى محاولة فرض انفسهم على التاريخ فى حين غفلة وانسياق وراء الرغبة فى بناء امجاد زائفة ومفتعلة[١٠] !

فهل كان عون فى [illegible] من مثل هذه التصرفات غير المسؤولة بان يقولوه ما لم يقله ويجعلوه كاتبا ومؤرخا ؟

---

٨ ـ [illegible] باسقاط ما لا يعجبه من [illegible]

[illegible] والدراسات الادبية [illegible]

٩ ـ انظر [illegible] عن مذكرات الطرابلسى [illegible]

حسن عثمان . منهج البحث التاريخى . القاهرة [illegible]

وانظر ايضا [illegible] كاملة الى عهد قريب [illegible]

[illegible]

١٠ ـ انظر [illegible] بجامعة نبراسكا بالولايات المتحدة

حسن عثمان . نفس المصدر ص ٨٥

صورة من اوراق المذكرات وهي بخط اليد وقد نسبت الى عون سوف.

يصل بنا الاستاذ مختار هنا الى التاكيد بالدليل والبرهان على ان المذكرات مزوره وان الذي استخدمها انما كان ينتوي غرضا خاصاً، وذلك مخالف لمنهج البحث العلمي.

وكاذا هذا المساس بالتغيير فى الصيغة والملامح الحقيقية للمذكرات ؟

الم تعد المذكرات والكتب المجهولة الكاتب او المؤلف ذات قيمة وشأن ولا تصلح ان تكون لمصدر او مرجع ؟

الوثيقة رقم (٣) وهى الصفحة الاولى من النسخة ٣٨ ـ أ من المذكرات بخط احد عون

صورة من اوراق المذكرات وهي بخط اليد وقد نسبت الى عون سوف.

ايطاليا اعمالنا وتمثيلها في المياكر التي احتلها باعتزام انسحب وربط . . . »
والاستاذ القشاط في كتابه « خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام » حيث في
نشره لرسائل سليمان الباروني قال : ـ

« . . . ولقد تركت جميع الرسائل والوثائق التي تضمنها هذا الكتاب بأخطائها الاملائية والنحوية دون تدخل مني أو تعديل وذلك حفاظا على صورة النص . . . » (١٢)

هذا كلام صحيح وهو مبدأ أو قاعدة من قواعد التوثيق والتحقيق والبحث النزيه وهو الحفاظ على صورة النص كما هو بدون تدخل فيه باى حال من الاحوال .

ولكن اراه في كتابه « معارك الدفاع عن الجبل الغربي » قد تخلى عما قاله في كتابه « خليفة بن عسكر » ولم يلتزم به بأن أجاز لنفسه حق التصرف بالزيادة والتعديل والتصحيح في أصول النصوص المأخوذة عن المذكرات فضلا عن علمه بحقيقة وضع نسخ المذكرات الاخرى من إسقاط وزيادة وانتحال والتي انتهكت حرمتها عدة مرات وأهدرت قيمتها كوثيقة أثرية .

ومجموع نصوص نسخة المذكرات المنشورة بكتاب معارك الدفاع عن الجبل الغربي تعد نسخة شبيهة في صياغتها بالنسختين ٣٨ / أ و٣٨ / ب المتحلتين ما عدا النصين الواردين بصفحتي ١٧٤ و ١٧٥ فيما لايوجدان الا بنسخة ٢٣ / أ فقط المنشورة بآخر البحث ضمن الملاحق .

وفيما يلي امثلة على ما تنفرد به النسخة السادسة من زيادات

فضلا عن التصحيح النحوى والاملائي بتعديل بعض الكلمات

١ ـ ففي ص ٩٢ ، ٩٣ أضيف الى النص . ـ

« . . . وقبل وصوله اخليت المركز وقمت بتوزيع قواتنا على الهضاب والجبال المحيطة ببئر الغنم والمشرفة على الطريق المؤدية الى يفرن . . . » .

٢ ـ وعند الحديث عن التحام المعركة ببئر الغنم أضيف : ـ

« . . . وكانت قوة العدو أكثر منا عددا وجلها من الاحباش لاتقل عن ستة آلاف جندي مزودة بجميع ماتحتاج اليه من المعدات الحربية . . . » .

٣ ـ وعند الحديث عن الشيخ الصادق الكبير الحرارى قاضي ـ ونائب مدير بئر الغنم قال : ـ

« . . . حتى انه كان يقول لي دائما الكلمة التالية : ـ انهض شمايلك ينايك وأضرب بالسوط . . . » .

٤ ـ واستمر التدخل بالتعديل في النص كالآتي : ـ

« . . . ولكنه للأسف كان على اتصال مع العدو بواسطة بن نتوش . . . »

٥ ـ وفي نطاق الاستعداد وجمع القوة أضيف : ـ

« . . . وفعلا تمكنت من تجنيد مليطيه ٤ مسلحا في اليوم التاسع من المعركة من قضاء الحوض وتاغمة . . . »

٦ ـ وفي ص ١١٣ زيدت على النص الذي ورد في المذكرات الآتي : ـ

« . . . قاصدا احتلال يفرن . . . الطريق الوحيد المؤدية الى يفرن . . . احتلت جميع

١٢ ـ القشاط خليفة بن عسكر ص ١٢ .

يبرز هنا الانتحال وانتهاك حرمة المذكرات التاريخية، وقد اوضحه الاستاذ مختار بعد دراسة علمية متأنية ومقارنة بين نسخ المذكرات التي نسبت لعون سوف، ولقد اراد القشاط بذلك العمل الذي قام به الاساءة الى اناس كان لهم دور طليعي في الجهاد الوطني، وما درى ان الحقيقة لا تخفى طويلا.

الصوارى وهجمت بهم دفعة واحدة حتى اختلطنا جميعا . . . وبنصرة الله انهزم يفرون بنظام وصرت الاحق بالصوارى فلول قواته المنهزمة . . . »

٧ ـ وفي ص ١١٩ زيدت العبارة التالية : ـ

« . . . وبعض من الشاشيات . . . » .

٨ ـ وفي ص ١٢٥ زيدت ايضا : ـ

« . . . والصوارى . . . » .

هكذا وبكل بساطة ويسر وفي حين غفلة يتم تسريب وتمرير الجمل والعبارات وتعدل اخرى وتسقط ثالثة لعلها تصبح على مر الايام حقائق ثابتة وتكون مصدرا من مصادر تاريخنا الذى لم نفلح بعد في كتابته بصورة صحيحة وشاملة لما يعتريه من عراقيل كعدم التزام الصدق والتجرد من الانانية والروح القبلية وعدم اتباع منهج البحث التاريخي وأصوله ، وندرة المصادر ايضا

فعلى المؤرخ أو الكاتب أن لايقبل أو يستخدم كل وثيقة أو أى محررة مهما كانت قبل التثبت من صحة نسبتها لكاتبها وصحة وخلو نصوصها من الدس وايضا صحة معلوماتها ، اى قبل استخدامها عليه ان يقوم بعملية نقد منهجي من جميع النواحى حتى لايقع في الخطأ وحياله مثل ماوقع الاستاذ القشاط الذى ربما كان عن حسن نية ولكن حسن النية لايشفع ولايبرر للكاتب موقفه مهما يكن .

وعلى العموم فالنسخة السادسة التى استخدمها الاستاذ القشاط بها زيادات واضحة ربما كانت من وضعه .

ولكن تدخله في النص الاصلي بالتعديل والتصحيح فضلا عن علمه بحقيقة المذكرات كان صريحا .

تساؤلات : ـ

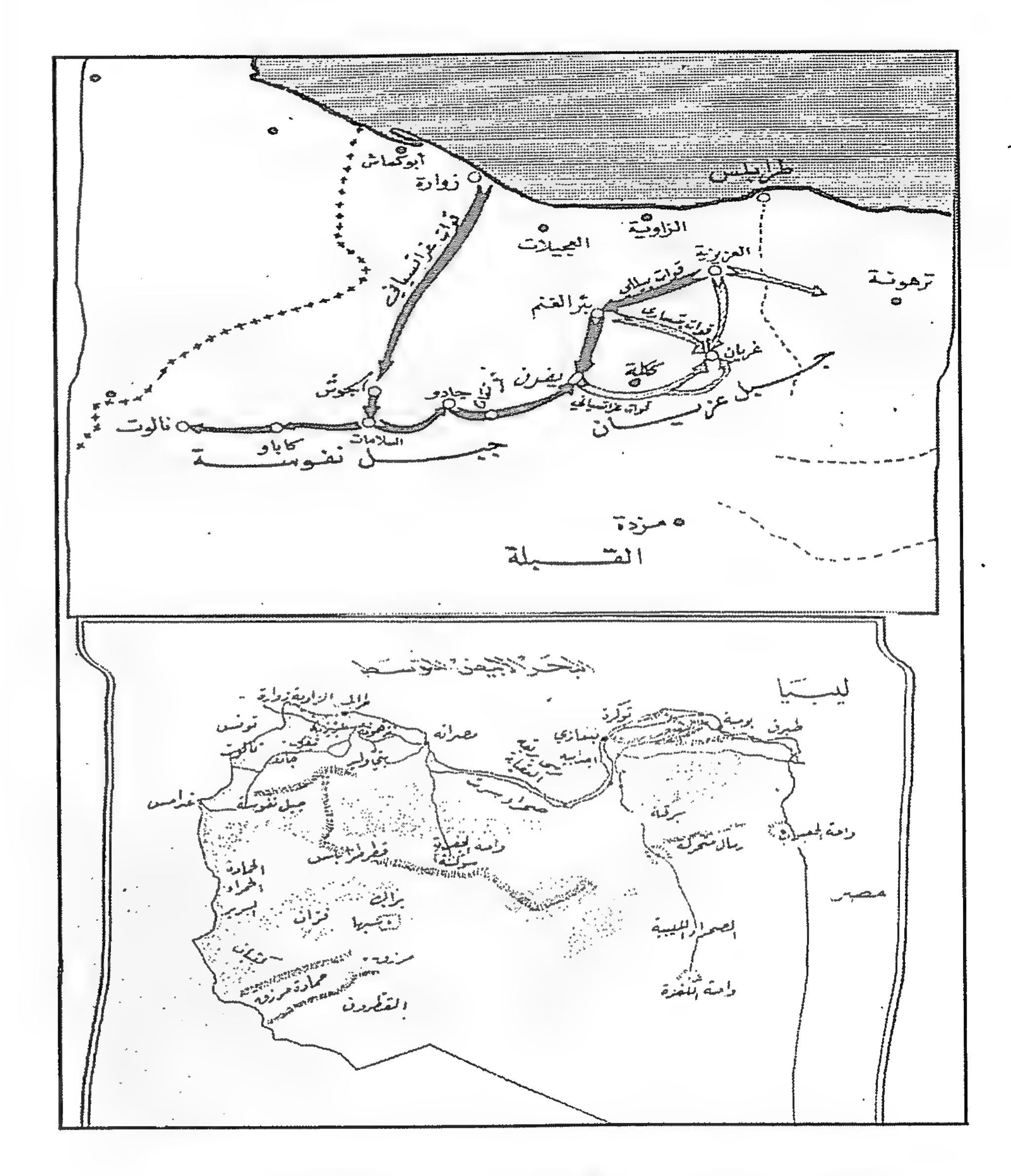
وقبل اختتام الحديث توجد عدة أسئلة ربما تتبادر إلى ذهن القارىء المتتبع والمهتم الذى من حقه ان يتساءل ليتعرف على الحقيقة من جميع جوانبها ولعلي أوفق لاستكمال فائدة بزيادة تفصيل وتوضيح ، أجيب عليها باختصار وبقدر الحال : ـ

١ ـ مادامت المذكرات لم يكن عون كاتبها الحقيقي و نسبتها اليه مجرد انتحال وما هو الا ناسخ فقط اذن أين الصورة الاصلية للمذكرات التى نسخ عنها عون ؟

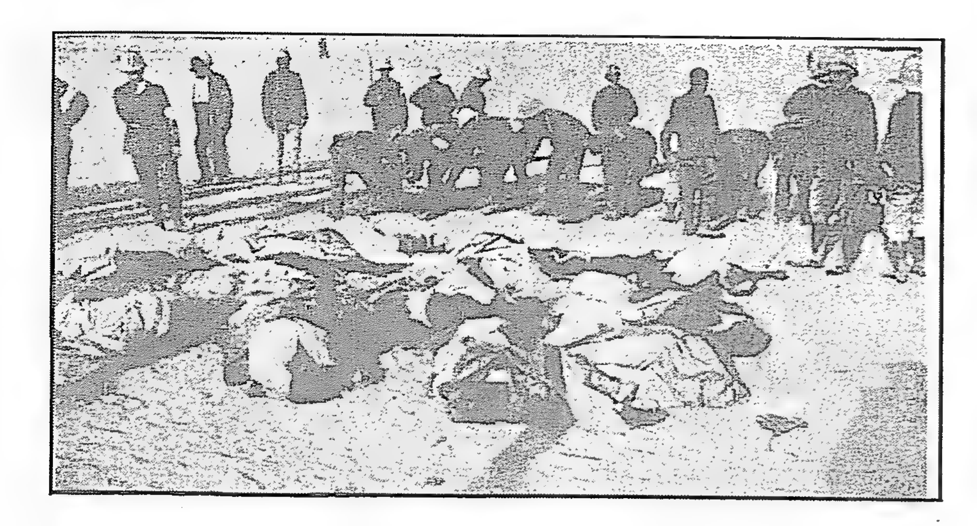
من خلال واقع نسخ المذكرات الخمس التى بين أيدينا وبوضعها الحالي يكون ثابتا عدم صحة نسبتها لعون وما هو الا ناسخ فقط وما لم يظهر من جديد ينقض هذا الرأى الذى اتمسك به بدون جور على أحد أو تحيز لأى اعتبار الا للضمير المحتكم اليه فحسب .

والسؤال سوف يظل قائما اذ لايمكنني الاجابة عليه ولعل الايام تجود بما يوضح الحقيقة ويزيل اللبس والابهام عنها لنتمكن من معرفة الكاتب الحقيقي للمذكرات وبالتالي يصحح وضعها ويعادلها اعتبارها كوثيقة صحيحة سليمة لها قيمة أثرية .

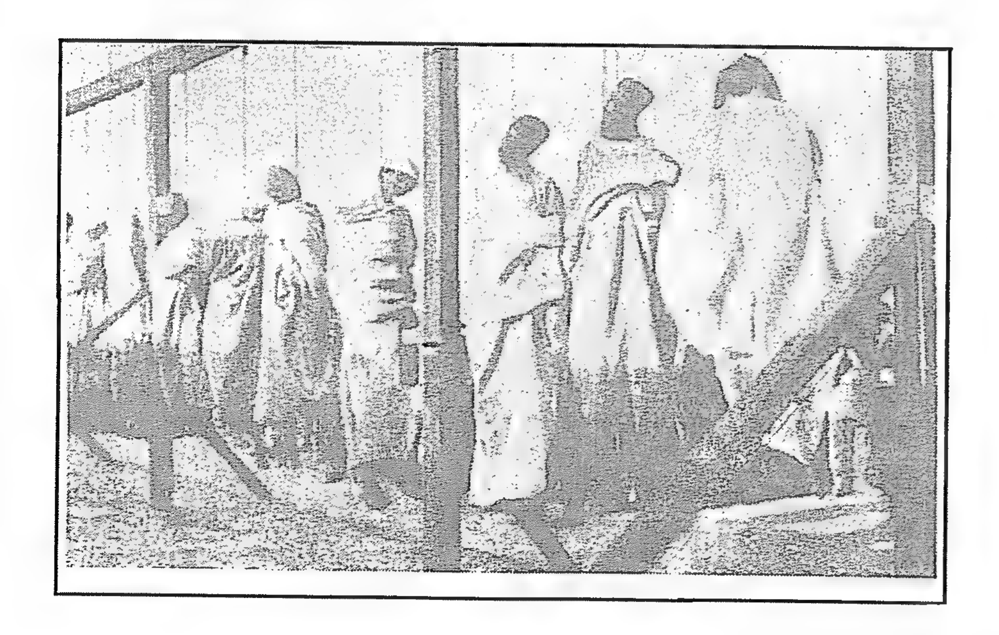
ريما لم نعد في حاجة الى تكرار ما ذكرناه حول تزوير المذكرات فقد برهن الباحث عن ذلك حيث قال (وعلى العموم فالنسخة السادسة التي استخدمها الاستاذ القشاط بها زيادات واضحة ربما كانت من وضعه).



صعود الجبل ومعارك الجنوب،، خرائط توضيحية،،



هـذه هي حضارة أيطاليا ،، القتل والتنكيل بلا تمييز ،،



رؤوس الأبرياء والعزل في حبال مشانق الدولة الأوربية (ايطاليا)

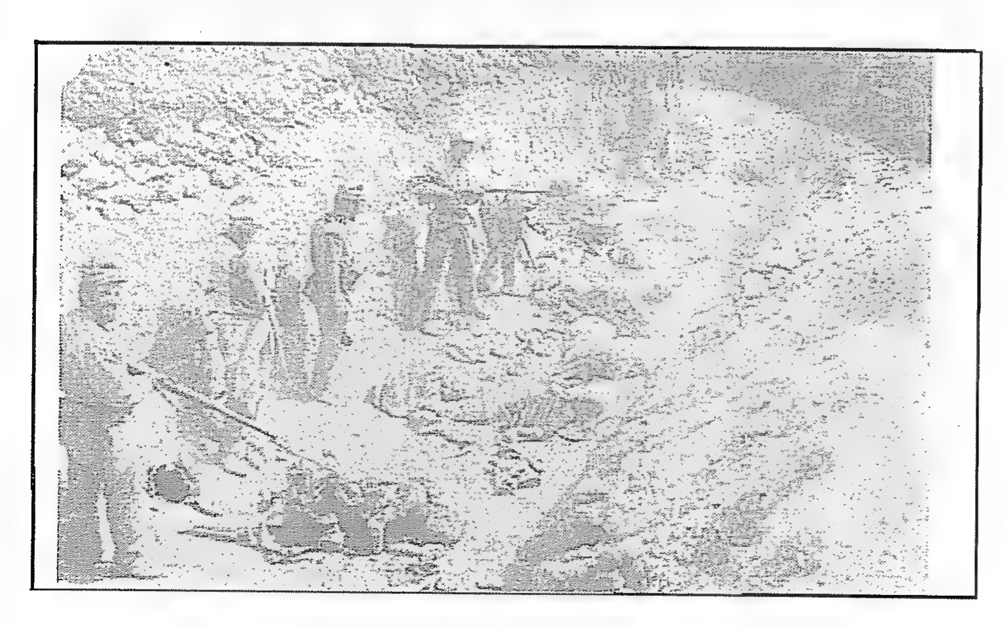


جنود ايطاليا وراء المتاريس خوفا من المجاهدين

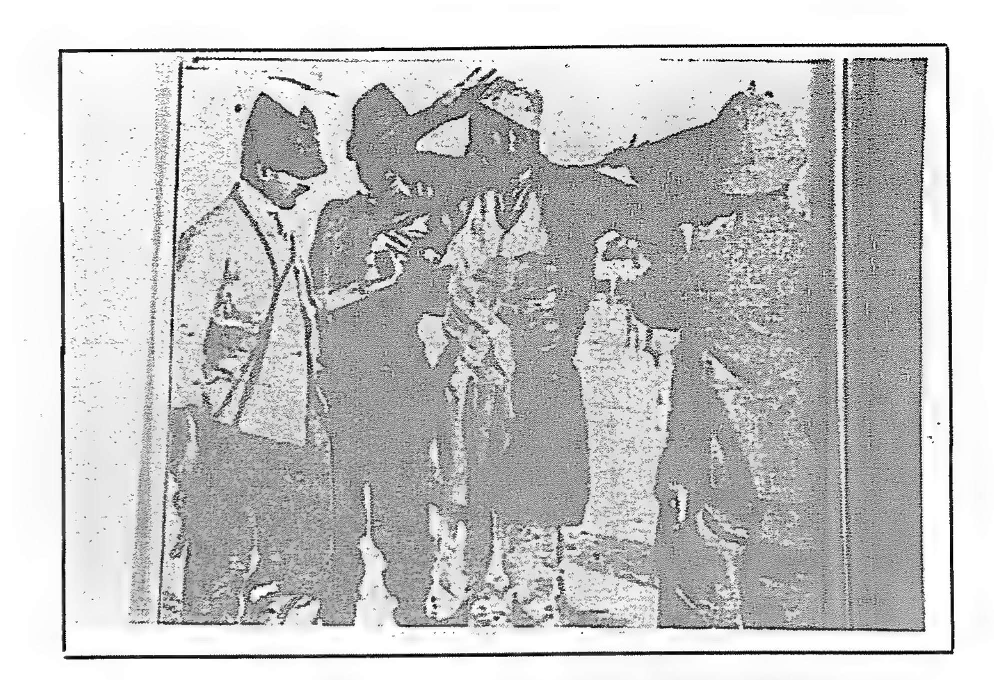
صوره من خيال رسام أيطالى , السلاح الأبيض مقابل الرشاشات والمدافع .

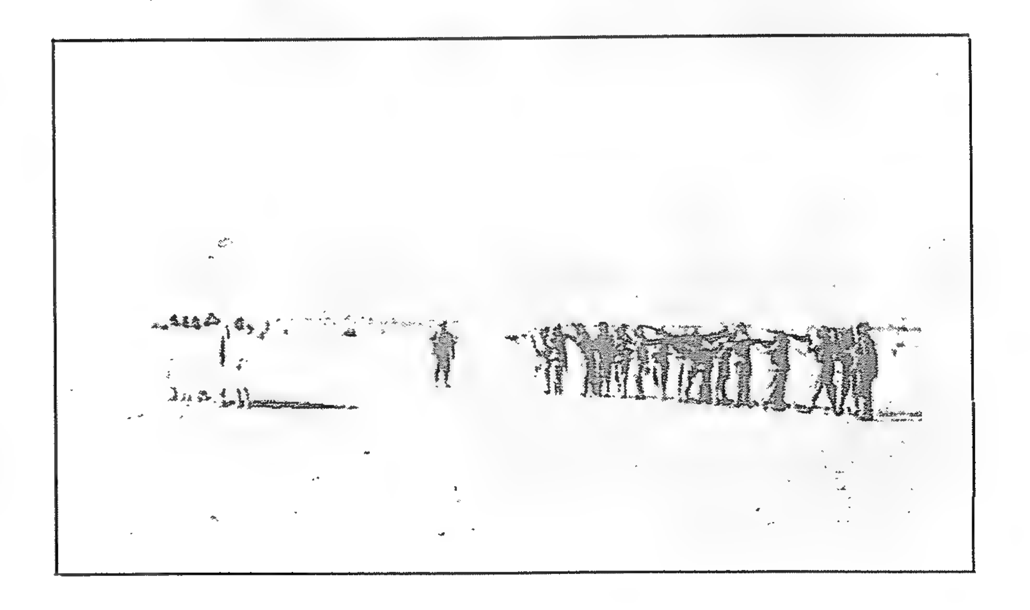


طرابلس الغرب
صفحة (حضارة الايطالية) أكداس من القتلى العرب المدنيين بمدينة طرابلس وحولهم الجنود الايطاليون المدججون بالسلاح . وقد امتطى بعض الضباط صهوة خيول عربية اغتصبوها من اصحابها .

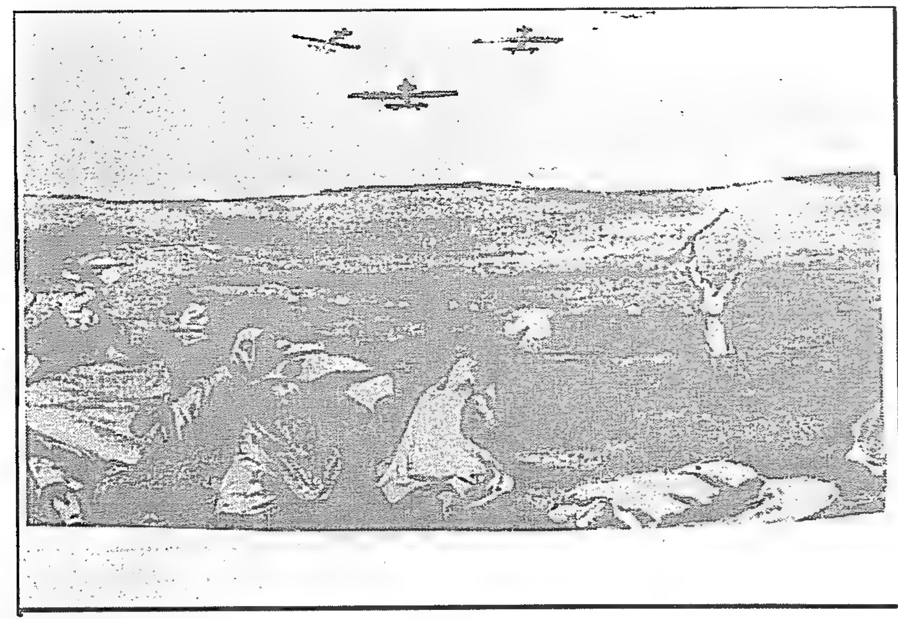


نماذج من حضارة ايطاليا في بلادنا .. الأعدامات الجماعيه بلا محاكمات ولا قوانين



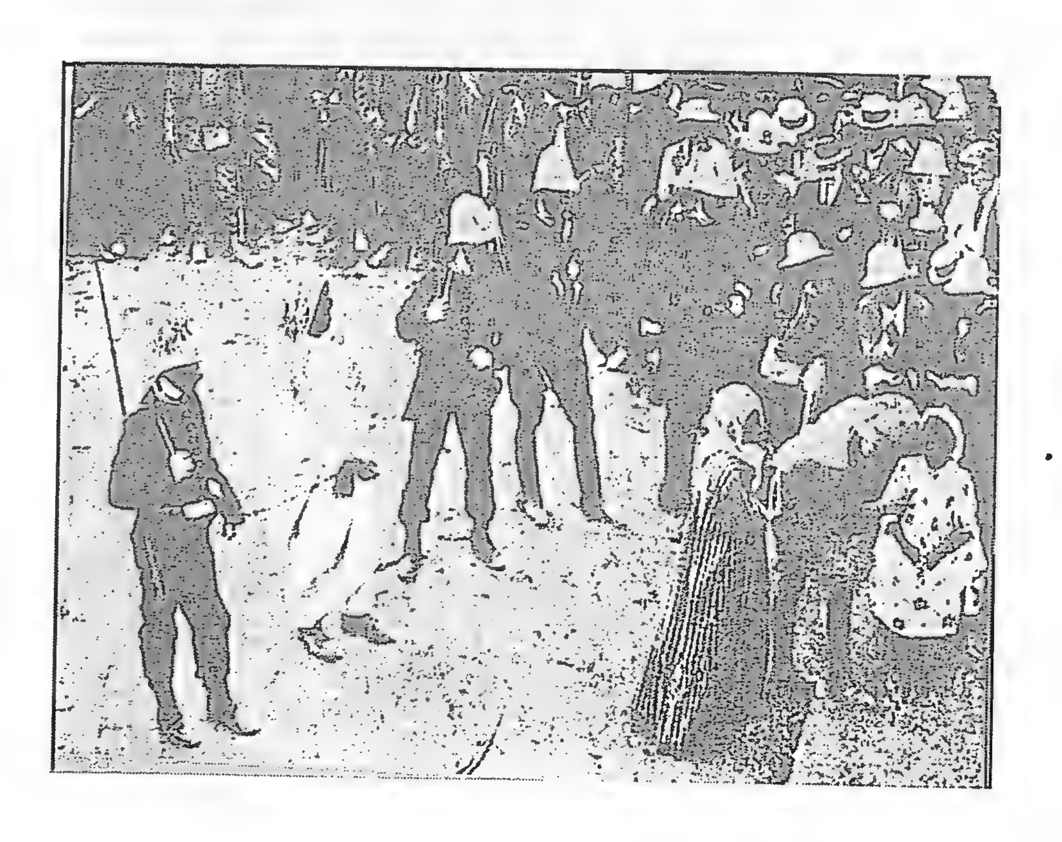


وهاهم جنود وضباط ايطاليا بخسة ودناءة يعدمون النساء والأطفال رميا بالرصاص لا لشئ إلا تهمة تقديم الغذاء للمجاهدين وهى تهمة وأهمية يمكن إن تلصق باى مواطن ليتم إعدامه فورا ورميا بالرصاص ، أما المجاهدين الذين لا يملكون إلا بنادق قديمة يدافعون بها عن وطنهم وكرامتهم فلا بد من قصفهم بالطائرات والقنابل الحارقة ،،





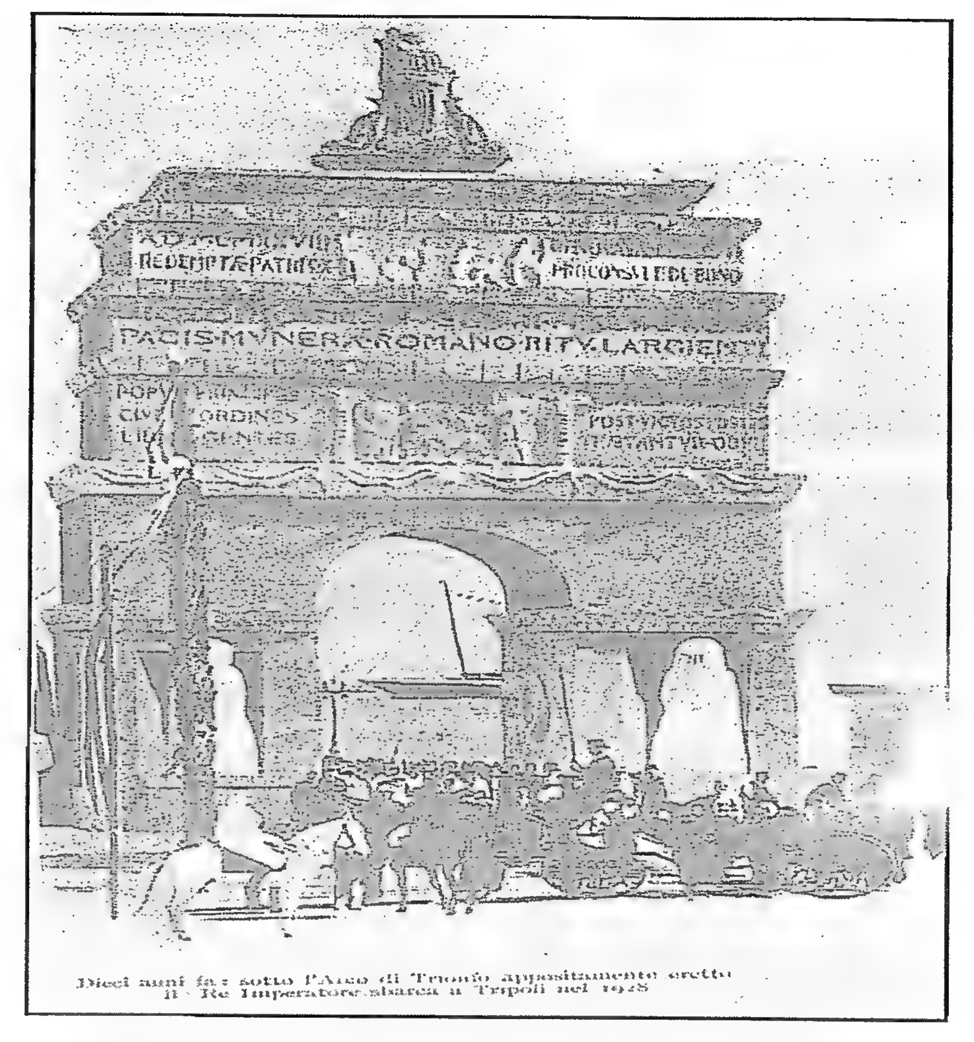
هذه حضارة إيطاليا الدولة الأوربية الصناعية ، شيخ الشهداء عمر المختار يقتاد إلى ساحة المشنقة التي نصبت قرب سلوق الليبية الواقعة جنوب غرب مدينة بنغازي وقد حكم عليه القائد الايطالى الجنرال غراتسيانى بالاعدام قبل إن يقدم إلى المحكمة العسكرية ، يرى الشيخ مكبلا بالسلاسل وهو العجوز الذي تجاوز السبعون سنة من العمر، وعلى الرغم من إن فترة جهاد الليبيين التي استمرت قرابة ثلاثة عقود ضد ايطاليا الغازية كادت إن تنتهي وقت القبض على عمر المختار فان جنرالات ايطاليا قرروا محاكمة وإعدام هذا الشيخ قرب قرية في الصحراء خوفا من ثورة جديدة يقوم بها الليبيون ، وقد جمعوا النساء والأطفال في الساحة ليروا مشهد الاعدام ،، وا أسفاه.



بعد كل التقتيل وحشر المواطنين بالجملة في معسكرات الإبادة وتدمير الزرع والضرع شرع الإيطاليون في العمل من أجل القضاء على الدين الإسلامي في ليبيا بعد إن منعوا تعليم اللغة العربية وهى لغة القرآن الكريم وهم بذلك أدركوا إن أمتها هذا دينها لا يمكن إن تقهر ولإنهم لم يدركوا تلك الحقيقة عندما جندوا قواتهم البحرية والجوية المجهزة بكل المعدات المتقدمة لتقوم بنزهة في ليبيا واعتبارها الشاطئ الرابع لايطاليا علي اعتبار إن هذا البلد ليس فيه من يدافع عنه !! وعندما اكتشفوا الحقيقة حاربوا كل شيء ، الأرض والإنسان واللغة والدين والتقاليد والعادات وكل ما يمكن إن يوحي بان هناك شيء اسمه ليبيا بعد غزوتهم ، لكنهم فشلوا وما كان لهم إن يغضوا علي الأصابع ويعبروا البحر ألي غير رجعة ،،



Scolaresche indigene a Jefren, che attendono il passaggio del Re Imperatore

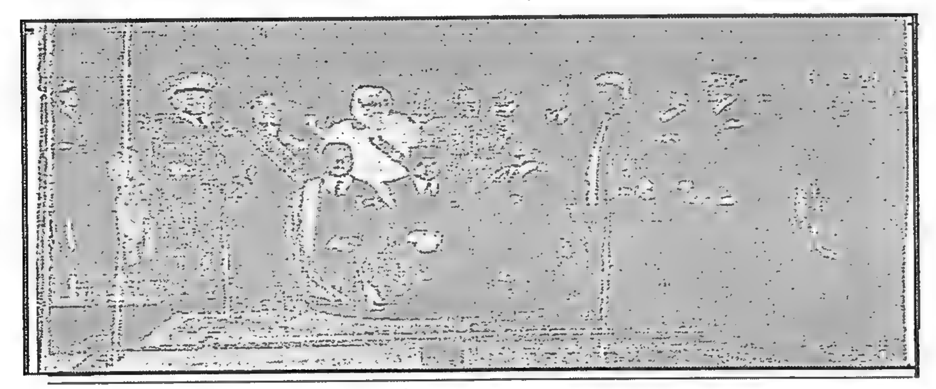


Dieci anni fa: sotto l'Arco di Trionfo appositamente eretto
il Re Imperatore sbarca a Tripoli nel 1928

إيـطالـيا لدولة لأوربـيـة لـصـنـاعـيـة تحـتـفـل وتـقـيـم مـعـلـمـا طـخـمـا با انتهاء الـحرب مع الشعب الـليـبي سنـة ١٩٢٨م ،الـشـعـب الـذي قاومهـا قرابة ثـلاثة عقود وهو لا يملـك ألا بـنادق قديمة ولكـن إيمانه بالـلـه كـان عظـيـمـا،،

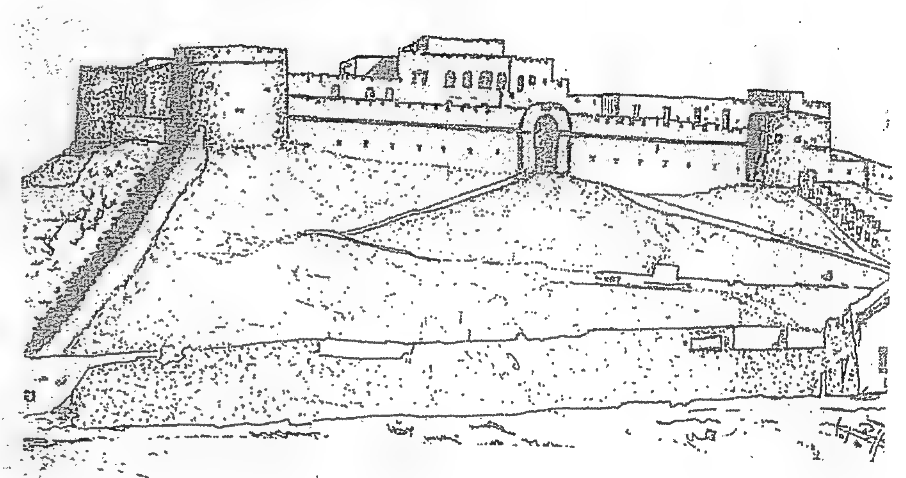
الجزار الايطالي الجنرال غراتسياني لم يألو جهدا في أظهار عظمة لدولة الإيطالية الفاشيستية التي أرادت إن تكون ليبيا شاطئها الرابع وقد بدأت حملتها حينها أن الحملة هي نمزة بحرية ، لكن النزهة تحولت إلى كارثة لها ولجيشها اذ إن لنزهة صارت حربا ضروبا استمرت أكثر من ثلاثة عقود مع الشعب الليبي الفقير الذي لا يملك من السلاح والعتاد ألا بنادق قديمة تركية وإيطالية ،،

... نرى غراتسياني في هذه الصورة يتوسط مع ضباطه بعض الوجهاء من الليبيين ، ومع الأسف يظهر في أحدى الصور الأمير السنوسي !! الذي كانت دعوة جده دعوة جهادية أصلاحية تقوم الغازي وتساند الحرية وتصون الدين وتدعو إلى الخير ، كانت دعوة صلاح وخير ولكن السياسة أفسدتها ، والذي مارس السياسة باسمها خسر الدنيا ، أما الآخرة فالله يعلم بـهـا ،،









الصورة تبين قارة سبها التي تسمى الآن (قاهرة) وهى فعلا التى قهرت قائد القوات الايطالية الغازية فى مرحلتها الاولى العقيد (مياني) وهو الذى اجتاح البلاد من الوسط حتى وصل الجنوب واقام تجهيزاته ومخازنه وقياداته فى هذه القارة لكن ابطال ليبيا بقيادة الزعيم الفذ (سالم بن عبدالنبي الناكوع اقتحموها ليلة ٢٧_٢٨ نوفمبر ١٩١٤م وبذلك هرب مياني وقواته عائدا الى الشاطئ يحتمي بمدافع البوارج البحرية ،،

ختامها مسك

حيث ان هذا الكتاب يعنى بالجهاد الوطني ودورالادب الشعبي فى هكذا جهـــاد، وجهاد امتنا العربية لم ينته ولا توقف رغم تخاذل الحكام العرب الذين لا يحرسون الا على اموالهم التي يسرقونها من قوت شعوبهم مثل حرسهم على كراسـيهم الـتى لا يتخلون عنها الا بالموت او القتل او الهروب الى الخارج عند حدوث ما يزعزع تلـك الكراسي، وفى حكمهم يمارسون ابشع وسائل التعذيب والقتل والتنكيل بمن يعارضهم او حتى يرفع الصوت (فقط) متحدثا عن الفساد (ومن الغريب انهم يتحدثون عــن حقوق الانسان ويشاهدون ما يجرى فى العالم كما ان شعوبهم تسمع وترى وتدرك) ولأن جهاد شعبنا العربى الابى فى فلسطين الحبيبة لم يتوقف ولن يتوقف باذن الله حتى تتحرر اولى القبلتين وثانى الحرمين الشرفين، ولأن اعظم وأجمل وأقدس ما ظهــر فى حياتنا كعرب تلك الانتفاضة العظيمة المتمثلة فى ثورة الحجارة (حجارة من ســجيل باذن الله) .....

فان هذا الكتاب لابد ان ينتهى بقصيدة جميلة نظمها شاعر شعبى يدعى مــيلاد محمد الهمالى كان يشاهد حجارة اطفال فلسطين فى مواجهة دبابات العدو الاسرائيلى وينفعل بشجاعة الا ستشهاديين الفلسطيين الذين يفجرون اجسادهم فداء لفلســطين ولمقدسات العرب والمسلمين، انما شجاعة شباب الانتفاضة، وبعد إن انتهى مؤتمر قمة الحكام العرب دون جدوى غير الوعد الكذوب بالمساعدات المالية، نظم القصيدة التي تقول :

طز طز فيكم ما نبوش أفلوس احنا دفعنا من اجل الارض نفوس

كان الامل وقت الشّده تجى طافر اجيوش العرب تتحدى ،

تزحف على سور العدو وتّمدا وناسا تولى كيف قبل تحوس

لقينا العرب فى امريكا تجدّا قدا بوش قداما حنت الروس

وهو على اليمين دوّر خدا عطا الاذن لشارون بيش أيدوس

طزطز فيكم ما نبوش افلوس

درنا الامل فى القمه وقلنا العرب بشانا مهتما وتو حل

ازمتنا البيان ايضما مفهوم من قادة عرب مدروس

وكان أملنا ترجع امجاد الامه وتعدل حظها المنحوس

شوي [١] كل حاكم وين يفتح فمه ويحكى ايزيد السامیع انعوس

استسلام واضح جاى منهم هما وسلاحهم صدّا كلاه السوس

باعوا القضيا وشعب هدروا دما وطلبوا مع اللى معتدين جلوس

وكل حد روّح شد شعبا غما[٢] وكل من تظاهر جوه بالدبوس[٣]

طزطز فيكم مانبوش أفلوس

راح الامل والمرجى تبخر وصار الوضع حلما عرجا

وجت هاجما اسرائيل دارت خرجا ودعست [٤] على الضفا الكل دعوس

وصرنا على الشاشا الصغيرا فرجا قتل ودمار وقهر نفس وبؤس

---

١ شوى تعنى قليلا

٢ غما تعنى طمس

٣ الدبوس تعنى العصا الغليظة

٤ دعست تعنى قفزت

وروس العرب كل حد خاش إفبرجا[١] حرام ما أستنكر لا ظهر قطوس[٢]

اللى قبل دايرها القضيا درجا وباسمها يخطب وفى داموس[٣]

ونحساب وقت الضيم ياتى فرجه لقيناه فى اخدود العدو ايبوس

طزطزفيكم مانبوش أفلوس

طز ما نبوش إعانا يكفى مهزلا واها نا

شن قبل درتو منين صارت قانا وتوا إفراملا العدو ايحوس

وبيت لحم وسط المهد منهو جانا وجنين وين دارو التريس[٤] اتروس

بدا عالطبيعا أيدور فصل خيانا بسيناريو من اميركا مدروس

طزطزفيك ما نبوش أفلوس

تعالوا انعد السيرا شن دار هالحاكم وداير غيرا

قدا[٥] بوش ديما دايرين مسيرا الواحد ايرّوح يصطفق متروس

وقال استحالا وطنكم تحريرا وراهو غباه الطين والميلوس

وجلسوا افشرم الشيخ داروا شيرا اكبار العرب فى رايهم منحوس

قالوا الجهاد ارهاب كان إديرا والاقصى وحماس اتخش فى داموس [٦] وراحت العزة

والوفاء والغيرا

ومنطق ثوابتنا بدا معكوس

---

١ أفبرجا تعنى يختبى

٢ قطوس تعنى قط

٣ داموس تعنى سكن تحت الارض

٤ التريس تعنى الرجال

٥ قدا تعنى فى اتجاه

٦ داموس تعنى سكن تحت الارض ..

طزطزفيكم ما نبوش أفلوس

راحوا حماة الماضى منين لا تفاوض لا احتلال اراضى

تبخّر أولى دردشا عالفاضى وصار بدل ردان العدو اخنوس

وخلوا عدو الوطن يبدأ قاضى وسكين وسط قلوبنا مغروس

وراس العرب ولى بحكما راضى وعندا جحيم امريكيا فردوس

وصار راى بوش الابن نافذ ماضى وصهيون فى جسم العرب فيروس

طزطزفيكم ما نبوش فلوس

كتب صدرت للمؤلف

١ المسطرة الحاسبة سنة ١٩٦٦ م

٢ هندسة الراديو والتلفزيون ١٩٦٧ م

٣ حرب الشرقالاوسط بين الحقيقة والخيال ١٩٦٧ م

٤ مستقبل التلفزيون الملون ١٩٦٨ م

٥ مذكرات جندى فى سيناء، ترجمه ١٩٦٨ م

٦ مولد دولة افريقية، ترجمه ١٩٧٨ م

٧ ثورة الادغال فى افريقيا ترجمه ١٩٧٨ م

٨ وثائق الوحدة لا وثائق اكتوبر تأليف ١٩٧٩ م

٩ خرافة الستار الحديدى حول بلاد السوفييت، تأليف ١٩٨٠ م

١٠ نفط الشرق الاوسط وازمة الطاقة فى العالم، ترجمه ١٩٨١ م

١١ الاتحاد السوفييتى نظرة من الداخل، تأليف ١٩٨٥ م

١٢ تاريخ المخابرات الاسرائيلية، ترجمه ١٩٩٠ م

١٣ عدوى نفسى، أسرار الانتفاضة الاولى، ترجمه ١٩٩٠ م

١٤ الفقى مصباح مؤذن الفجر، روايه، تأليف ١٩٩١ م

١٥ مذكرات ذو الفقار على بوتو، ترجمه ١٩٩٣ م

١٦ تدمير العراق بعد ١٣٥ يوما من المبادرات الدولية، ترجمه ١٩٩٣ م

١٧ حقيقة معارك الدفاع عن الجبل الغربى، تأليف ١٩٩٣ م

١٨ قائد معركة القارة ومعارك القبلة، سالم بن عبد النبى، تأليف ١٩٩٣ م

١٩ تاريخ الشعوب الاسلامية فى الاتحاد السوفييتى سابقا، ترجمه ١٩٩٩ م

٢٠ الجهاد الوطنى ادب وتاريخ، تأليف ١٩٩٩ م

٢١ تاريخ الاسلام والمسلمين فى البوسنا والهرسك، ترجمه ٢٠٠٠ م

٢٢ قبرص من معاويه الى اجاويد، تأليف ٢٠٠٠ م

٢٣ مسافر يبحث عن الموت، جزء اول، روايه، تأليف ٢٠٠٠ م

٢٤ ليلة الحلم الطويل روايه، تأليف ٢٠٠١ م

٢٥ شهداء الكردون العشرة، تأليف ٢٠٠١ م

٢٦ مسافر يبحث عن الموت، جزء الثانى، روايه، تأليف ٢٠٠٢ م

٢٧ ازمات السودان بين الديموقراطية و الديكتاتورية، تأليف ٢٠٠٣ م

٢٨ الليبيون والثورة الجزائرية، تأليف ٢٠٠٤ م

٢٩ حجارة من سجيل، الانتفاضتان، دروس ونتائج، تأليف، مخطوط

٣٠ رحلة فى الصحافة، ١٩٦٠ م ١٩٩٥ م، مخطوط

٣١ جمال عبد الناصر والعرب، تحت الاعداد

٣٢ اسهامات الليبين في النضال الفلسطيني من الحسيني الى عرفات تأليف، ٢٠٠٥ م

٣٣ الجهاد الوطنى ادب وتاريخ، الجزء الثانى، تأليف ٢٠٠٥ م

٣٤- مؤذن الفجر – الفقى مصباح – جزء أول – ١٩٩١

٣٥- مؤذن الفجر – الفقى مصباح – جزء الثانى – تحن الطبع

مسرحيات :

١ المجد فى اربعة فصول

٢ صخب المدينة فى فصلان

٣ الجشع فى اربعة فصول

٤ الرجل الذى لم يفقد الانتماء فى خمسة فصول

المراجع

١ معجم معارك الجهاد فى ليبيا خليفة التليسى .

٢ جهاد الأبطال الشيخ الطاهر الزاوى .

٣ ديوان الشعر الشعبى المجلد الثانى د .. على الساحلى وسالم الكبتى .

٤ نحو فزان الجنرال قراتزيانى ترجمة طه خزى .

٥ ليبيا أرض الميعاد باولو مالتيزى ترجمة عبد الرحمن سالم .

٦ القرضابية مجموعة من الباحثين، مركز الجهاد الليبى .

٧ قصائد الجهاد، الجزء الأول سالم الكبتى سعيد عبد الرحمن مركز الجهاد ..

٨ موسوعة روايات الجهاد المبروك الساعدى، مركز الجهاد الليبى .

٩ ديوان الشعر الشعبى لجنة جمع التراث، جامعة قاريونس .

١٠ المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالى أحمد مدلل مركز الجهاد الليبى .

١١ ماقبل الغزو الإيطالى، مخوط محمد مصطفى بازامه .

١٢ معارك الجهاد الليبى خليفة التليسى .

١٣ صفحات من المذكرات السرية عبد الرحمن عزام، إعداد جميل عارف .

١٤ الوجود الإيطالى فى ليبيا دى البوكا أنجيلو .

١٥ حاضر العالم الإسلامى الأمير شكيب أرسلان .

الفهرس

الجهاد الوطني في ليبيا
أدب وتاريخ.. أمس واليوم وغداً

هذا الكتاب ... يحاول تصحيح بعض الاحداث التاريخية وهو كذلك ردا على بعض الافتراءات التى كتبت أو قيلت من جانب بعض المغرضين والناكرين والمتجنين على الناس وعلى التاريخ الوطنى ، انه محاولة لرسم ابتسامة على شفاه الذين آلمهم واشقاهم ظلم ظالم عندما نسب الى نفسه وأهلة ما ليس من حقهم وحاول ان يخفى عين الشمس بالغربال ، سامحه الله ، ورحم الله شهدائنا الابرار الذين قال فيهم الخالق القدير :

(إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجهدوا بامولهم وأنفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصدقون .. صدق الله مولانا العظيم – الحجرات – 15 ..)

ومؤلف هذا الكتاب لم يكن يوما اقليميا ولم يسعى الى الفرقة او إثارة النعرات القبلية لكنه كان مضطرا الى ان يرد دفاعا عن الحقيقة ، عن التاريخ الوطنى الذى يراه جزءا مكملا للتاريخ القومى فى حياة امة بجلّها الله (الامة العربية الاسلامية) ولا يحتل ولو جزء صغير فى تفكيره اى خلاف شخصى او عداء قبلى مهما كان بعيدا او قريبا ..